كتاب الإذاعة والتليفزيون

حازم عرابى

أحمد عرابي

راهب الليل .. وفارس النهار



كتاب
الإذاعة والتليفزيون
سلسلة كتب شهرية تصدر عن مجلة
الاذاعة والتليفزيون

كتاب الإذاعة والتليفزيون

(٢٠)

أحمد عرابي

راهب الليل .. وفارس النهار

● حازم عرابي ●

* الاخراج الفنى : مكرم شحاتة

* الغلاف بريشة الفنان
مجدى نجيب

الإهـــــــداء

الى من اسـتقيت من نبعها ومن سلسلها الدفاق ، فارتويت وارتوى من رحيقها عود شبابى ، الى روح ابى المرحوم عبد القادر احمد عرابى نجل الزعيم احمد عرابى .

اهـدى ما اسـتطعت جاهدا ان اوضح به آثار زعيم أضحى ملـكا لأمته قبل أن يكون ملكا لى ولأسرته جمعاء . تلك الأمة العربية سـليلة الحضارات السـامقة السـحيقة ، ومنشئة العبقريات الخالدة العريقة .

فالى تلك الأمة الكبيرة الخالدة . اهدى القصة الكاملة لحياة البطل احمد عرابى .

حازم عبد القادر احمد عرابى

تقديم { بقلم: محمد السيد أيوب
محافظ الشرقية

منذ عهد ليس ببعيد صدر كتاب بعنوان « اسماعيل المفترى عليه » كتبه واحد ممن ارادوا الزلفى والكسب المادى من أسرة محمد على .

على ان أحدا فى تاريخ مصر لم يفتر عليه أو يظلم مثلما حدث لاحمد عرابى فان الكتاب الذين تصدوا لتدوين تاريخ مصر الحديث كانوا تحت تأثير عوامل شتى كالخوف من الحاكم أو محاولة التقرب او تحقيق اهداف مادية أو وظيفية ولذا لم يسلم عرابى من النقد المر والتجريح والتهوين من شانه ومن قدره حتى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى تناوله فى كثير من المواقف بعبارات السخرية والاستهزاء .

ففى نظر هؤلاء الكتاب كان احمد عرابى « الفلاح » ليست لديه الثقافة العسكرية .. ولا العقلية السياسية .. كان الدرويش الذى يحضر حلقات الذكر .. الجاهل .. المجنون .. خضع للانجليز عقب عودته من المنفى .. الى غير ذلك مما لا يتسع له المقام .

واذا كان لكل عظيم ذكره التاريخ أخطاء أو عيوب فان اخطاء وعيوب احمد عرابى ما كانت لتنزل من مقامه أو تهون من قدره ويكفيه فخرا انه كان أول واحد من ابناء الفلاحين استطاع أن يقف فى شجاعة وقوة أمام واحد من حكام مصر من سلالة محمد

على ويرفع الصوت عاليا مطالبا بحقوق شعب مصر .

واذا كان هو السبب المباشر فى احتلال الانجليز لمصر فان هذا الاحتلال كان آت لا ريب فيه فان تنازع القوتين الأعظم فى ذلك الحين ـ انجلترا وفرنسا جعلهما فى تسابق الى التخطيط سرا وعلانية الى احتلال عسكرى لمصر ولقد فعلت فرنسا من قبل بسنوات قليلة على يد نابليون الذى غزا مصر ودام احتلاله لهـا مائة يوم . ولم يرحل الجيش الفرنسى الا لأن الهزيمة لحقت بنابليون فى كل البلاد وأطبقت عليه من كل جانب ولولا ذلك لاستمر الاحتلال الفرنسى قرنا أو بعض قرن .

ومنذ الحملة الفرنسية والمخطط البريطانى يدبر ويفكر لاحتلال مصر ويتحين الفرص الى ان جاءته ميسرة بقيام الثورة العرابية واستنجاد الخديوى توفيق الحاكم الغريب بغرباء مثله يستعين بهم على حكم البلاد وحماية عرشه المهزوز .

ان فشل الثورة العرابية واحتلال الانجليز للبلاد لا ينقص من قدر عرابى .. انها سوء المقادير .. ويكفيه انه كان أول من بدأ حرب الطغاة من اسرة محمد على وان لم يتحقق الأمل والرجاء الا بعد سبعين عاما حينما هيأ الله ثوارا من أبناء الفلاحين قضوا على أسرة محمد على دون رجعة وطردوا الانجليز .

ان عرابى كان أول من أطلق صيحة الكفاح مدوية عالية فى شجاعة ورجولة مطالبا لشعب مصر بالحقوق وهو الفلاح سليل الفلاحين .

هو اول من حمل المشعل عاليا دون خوف أو تردد

هو أول من اضاء درب الحرية بضياء الفجر الذى اشرقت الأنوار من بعده

ولكن عرابى هزم عسكريا . والويل للمهزوم فلم يكد يرحل عن البلاد منفيا مع أسرته ورجاله حتى كثرت السهام المسمومة

ترشقه غائبا وتناولته الألسنة والاقلام المأجورة والحاقدة والمريضة .

وتحت الظلال المعتمة للحكام من احفاد محمد على امثال توفيق وعباس وحسين كامل وفؤاد وفاروق شبت اقلام طفيلية أرادت أن تسود تاريخا فقد زعموا انهم من المؤرخين وانهم من الكتاب وجهلوا ان التاريخ سيعرف لهم سيئات ما فعلوا .

وهكذا وجدنا تصارع الآراء الخطيرة بالآراء الخبيرة والأمانة مع الخيانة والآمال الطامعة بالآمال الطامحة حتى اختلط على الناس أمر عرابي وتاريخه .

لقد افتروا على عرابي وظلموه حيا وميتا فقد كان الميدان فسيحا امامهم والرجل فى منفاه لا يستطيع أن يرد فلما عاد لم يطل به المقام ولقى ربه فسهل امر الكتابة على كل من أرادها .

ولقد كان هذا البطل فى منفاه البعيد يسمع قليلا عما يقال عنه وعندما رجع الى وطنه فى شيخوخته سمع ورأى الكثير .. لقد صادروا أملاكه وهذا لا يهم فى كثير أو قليل ولكنهم أرادوا مصادرة مجده وطمس تاريخه فاخذ يتجرع مرارة الظلم وادرك انه فى وطنه يعيش فى مجتمع لا يحس فيه الا بعصف الريح وآلام التبريح ومرارة التجريح ففارق الدنيا وهو غير آسف .

ولكن التاريخ نفسه أكبر من كل هؤلاء فانه لن يظلم احمد عرابي .

وهذا الكتاب الذى نقدمه محاولة لنفى الأكاذيب وتبديد الأباطيل التى لحقت بتاريخ ابن من ابناء مصر الأبطال ولا ينقص من قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه واحد من أحفاد أحمد عرابي .

وفى ظلال الحرية التى نعيشها ستظهر الكتب تباعا منصفة لاحمد عرابي مقدرة لوطنيته ورجولته الفذة ولن ينال منه احد لانه أخطأ لان الخطأ من طبيعة البشر .

ولقد عرفت محافظة الشرقية لابن مصر قدره وهى تبـذل كل الجهد للحفاظ على تاريخه وكل ما يتصل به .

لقـد اقامت المحـافظة فى قريته هرية رزنة من قرى مركز الزقازيق متحفا يضم كل ما استطاعت الحصول عليه من مخلفاته الشخصية والبيانات التاريخية وأقامت مسـجدا ترجو لو كان المثوى لرفاته الطاهر .

واطلق اسمه الـكريم على مدارس من مختلف المسـتويات وأقيم له تمثالان فى مدينة الزقازيق أولهما فى ميدان المحطة الذى شهد أياما من تاريخ حربه وتحركات جيشه والثانى فى حديقـة مدرسة الصنايع .

ثم اتخذت من يوم التاسع من سبتمبر عيدا لها وهو يوم وقوفه فى عابدين على ظهر جواده صارخا بأعلى صوته : « لقـد ولدتنا أمهاتنا أحـــرارا ولم نخلق تراثا أو عقـــارا فوالله الذى لا اله الا هو اننا لن نورث أو نستعبد بعد اليوم » .

ومن المصادفات الطيبة أن يصـــدر هذا الكتاب فى وقت نحن احوج فيه للالمام بعظمة وتاريخ مثل هـذا البطل وفى وقت ولدت فيه جامعة جديدة من جامعات مصر مقرها الزقازيق وأطلق عليهـا اسم أحمد عرابى .

سلام عليك يا عرابى

سلام عليك يوم ولدت فى الشرقية

سلام عليك يوم وقفت فى عابدين تهز عرش الطغاة

سلام عليك .. عشت بطلا وانتقلت الى الرفيق الأعلى كريما راضيا مرضيا

ان دنيا الله للاخيار جيلا بعد جيل ،،

النشأة الأولى

اعتاد الشيخ محمد عرابي ، وكان شيخا جليلا رئيسا على عشيرته وعالما ورعا ، أمينا عفيفا ..

اعتاد أن يكون امام أهل قريته فى الصلاة حين يؤذن المؤذن لصلاة الفجر . وفى هدأة الليل وكان يتأهب للخروج الى مسجد القرية لاداء صلاة الفجر كما تعود وكما عود أهل قريته اذا به يسمع صوت زوجته «الحاجة فاطمة» تناديه فى صوت خافت مخنوق ، فيعود اليها مسرعا للوقوف على سبب هذا النداء ، فيراها تتألم لما تشعر به من آلام الوضع ، وبرغم مارآه أمام عينيه من امارات فقد هدأ من روعها واستأذنها فى أداء صلاة الفجر ، وما ان خرج مسرعا حتى توجه الى مسجد القرية ، ولكنه كان على غير عادته هذه المرة : شاحب الوجه ، زائغ العينين تبدو عليه الحيرة ، ويرتسم فى عينيه القلق ، وقد لاحظ الجميع ما يبدو على وجهه ، فلما أتموا صلاة الفجر ـ التفوا من حوله علهم يعرفون اسباب قلق الشيخ محمد عرابي أو « شيخ البلد » كما يطلقون عليه ..

الا أن الشيخ لم يجب بأكثر من جملة «الله معهن ومعنا جميعا» .

واسرع الشيخ الى داره وما ان بلغها حتى قابله بعض النسوة من قريبات زوجته وعلى وجوههن علامات البشر والسرور قائلات فى صوت واحد : ـ «مبروك .. مبروك ياعم الشيخ

محمد ، ألف مبروك ، الحاجة وضعت بالسلامة ، ولد ، والنبى ولد ... »

وهنا تنفس الشيخ محمد الصعداء وصمت قليلا ثم قال : «أحمدك يارب» .

ثم توجه مسرعا الى زوجته وما ان فتح باب حجرتها ، حتى نظر اليها فى ابتسامة تحمل كل معانى الحب والعطف والحمد لله وقال : ــ «مبروك ياحاجة ... ألف حمد الله على سلامتك » .

فنظرت اليه زوجته نظرة كلها تقدير وحب واعجاب وقالت: بارك الله فيك ياشيخ محمد ، ونظرت الى وليدها قائلة : ــ

وما الاسم الذى اخترت ان تنادى به مولودنا الجديد ؟

فقال : عليك انت تختارى الاسم الذى يحلو لك .

فقالت : سمعتك قبل دخولك وعند سماع الخبر تقول احمدك يارب ، فلنسميه اذن أحمد .

فقال مبتسما : نعم . احمد . **أحمد عرابى ...**

وهكذا ولد «احمد عرابى» فى صبيحة اليوم السابع من صفر عام ١٢٥٧ هـ الموافق ٣١ مارس عام ١٨٤١ م . بقرية **«هرية رزنة»** محافظة الشرقية ، وهى من ضواحى مدينة «بوبسط» المشهورة بتل بسط وهى بلدة تاريخية قديمة وجدت قبل زمن « الملك تغلب بن الملك شيشاق بن نمرود الأشورى ، لا كما يزعم البعض من أنها من منشآت محمد على ، وكان اذ ذاك لايزال فيها كثير من ذرية الفرس كأسرة « كيوان » واسرة «الدويتدار» دراز وأسرة «تمراز» وهذا مما يدل على قدمها ، وتقع «بوبسط» على بعد ميلين شرقى الزقازيق ، أما الزقازيق

فقد انشئت فى زمن محمد على بعد الفراغ من أنشاء قناطر التقسيم على بحر « مويس » أو (المعز لدين الله الفاطمى) وتقع على مقربة من «تل بسطة» .

النشأة الثانية

وقد عنى الشيخ محمد عرابى بتربية ولده أحمد وعلمه القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية فى «كتاب القرية» الذى كان قد انشأه هو لتعليم أبناء القرية وممن حفظ فيه القرآن فى صغرهم : العالم الأزهرى اللغوى الشهيد الشيخ محمد حسين الهراوى والطبيب النابغة عبد الرحمن الهراوى والكيماوى عبد العزيز «باشا» الهراوى . وكان الشيخ محمد عرابى قد أمر بترتيب درس لعلوم الفقه فى المسجد ، ينعقد بعد عصر كل يوم وبعد صلاة العشاء ، فتفقه اغلب أهل البلد فى دينهم وصحت عبادتهم وحسن حالهم بفضل قيام الشيخ على تعليم أهل بلده ، ثم الحق ابنه احمد بالأزهر الشريف ، لتلقى العلم وكان هذا هو المنهج الذى يختاره لأبنائهم أكثر المصريين .

ومرت الأعوام سراعا ، ووقع الشيخ محمد عرابى ، فريسة لمرض «الكوليرا» وكان قد بلغ من العمر ثلاثة وستين عاما وتوفى فى ٢١ من شعبان عام ١٢٦٤ هـ وكان ابنه أحمد قد بلغ الثامنة من عمره ، فتولت والدته الحاجة فاطمة تربيته برعاية شقيقه الأكبر السيد محمد عرابى الى أن تربع محمد سعيد على ولاية مصر فى ١٤ من شوال عام ١٢٧٠ هـ وسرعان ما أصدر أمره بانتظام أولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك العسكرية ، ولما سمع احمد عرابى بهذا النبأ فرح فرحا عظيما وبادر بتقديم نفسه ولكنه لم يقبل لصغر سنه ، فأخذ يتحين الفرص حتى سنحت

له فرصة الالتقاء بوالى مصر ، وعرض عليه رغبته فأعجب بـه سعيد باشا ووافق على الحاقه بالجيش لشجاعته واقدامه بالرغم من أن كثيرين أكبر منه سنا كانوا ينفرون من العسكرية وكانوا يقدمون أموالا طائلة لاعفائهم من التجنيد .

والحق أحمد عرابى بالعسكرية فى ١٥ من ربيع الأول عام ١٢٧١ هجرية فى عهد محمد سعيد الذى كان محبا للمصريين ، وتقدم بعـد ذلك أحمد عـرابى لامتحانات الترقى أمام رجـال العسكرية ورقى بعد ذلك بسرعة كبيرة الى رتبة الملازم الثانى فى ١٥ ربيع الأول عـام ١٢٧٥ هـ والى رتبـة الملازم الأول فى ١٧ جمادى الثـانى عام ١٢٧٥ هـ ونظرا لما عـرف عنـه من الذكاء والتفانى فى العمل فقد تقدم لامتحان الترقى الى رتبة يوزباشى (نقيب) فى ١٣ من شـعبان من السـنة المذكورة ثـم الى رتبـة صاغقولياغاسى (رائد) فى ٢٣ من ربيع آخر عام ١٢٧٦ هـ ثم الى رتبة بكباشى «مقدم» فى ١٥ من شعبان من السنة المذكورة والى رتبة قائمقام فى ٢٤ من صفر عام ١٢٧٧ هـ وهى رتبـة لم يرق اليها أحد من قبله من العنصر المصرى . ثم ترقى بعد ذلك فى عهد الخديوى محمد توفيق أيضا الى رتبـة الأميرالاى وكان ذلك فى رجب ١٢٩٦ هـ ثم الى رتبة اللواء عام ١٢٩٩ هـ

وكان عهد سعيد من أكثر الفترات فى حياة أحمد عـرابى أسفارا وتمرينات حربية فكان دائم التنقل من الاسـكندرية الى مريوط ودمنهور ثم القاهرة والخانقاه والعباسـية وطـره ثم بنى سويف وجبل الطير بمديرية المنيا اذ ذاك وقنا وسهل باب الملوك واسنا . فأعجب به سعيد باشـا واختاره دون سـواه لمرافقته فى زيارة المدينة المنورة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما عـاد من الزيارة النبوية اهتم بالجيش وتدريبـاته العسكرية وأخذ يدرس حاجيات الجيش ، وكانت هذه الفترة

أيضا من أسعد فترات حياته فى عهد محمد سعيد باشا وكان سعيد باشا يشركه فى ترتيب المناورات الحربية وينيبه عنه فى تلقينها الى كبار القواد فى حضرته وعلى مسمع منه . ولشدة اعجاب سعيد باشا به أهدى اليه كتاب **((تاريخ نابليون بونابرت))** باللغة العربية طبع بيروت .

وكان اذ ذاك يبدو عليه الغيظ من تمكن الفرنساويين من غزو البلاد فكان يحرص على ابعاد الوطن عن طمع الأجانب . ولما طالع عرابى ذلك الكتاب شعر بحاجة البلاد الى حكومة دستورية وبعث فيه الدوافع لمطالعة كثير من التواريخ العربية وازداد هذا الشعور فيه تأصلا عندما سمع خطبة القاها سعيد باشا فى مأدبة أقامها بقصر النيل للعلماء والرؤساء الروحانيين وأعضاء الأسرة الحاكمة وكبار رجال الحكومة ملكيين وعسكريين بعد تناول الطعام فى سرادق كبير اذ قال :

((ايها الاخوان ... انى نظرت فى احوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مستعبدا لغيره من أمم الأرض ، فقد توالت عليه دول ظالمة كثيرة كالعرب الرعاة ((الهكسوس)) والآشوريين والفرس حتى أهل ليبيا والسودان واليونان والرومان وكان هذا قبل الاسلام ، وبعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول الفاتحة كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب ومن الترك والأكراد والشركس ، وكثيرا ماأغارت فرنسا عليها حتى احتلتها فى أوائل هذا القرن فى زمن (بونابرت) وحيث انى اعتبر نفسى مصريا فوجب على ان اربى ابناء هذا الشعب واهذبهم تهذيبا حتى اجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الأجانب ، وقد وطنت نفسى على ابراز هذا الرأى من الفكر الى العمل)) .

ولما انتهى الخطاب خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين

حانقين مدهوشين مما سمعوا . أما المصريون فخرجوا ووجـوههم تتهلل فرحا واستبشارا ، أما سعيد باشا فقـد اعتبر خطابه أول حجر فى تحقيق فكرة «مصر للمصريين» . وفى سنة ١٢٧٨ هـ رأى سـعيد باشا أن الحكومة مدينـة لمعامل ألمانيا وفرنسا بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ثمن بنـاء حوض للسفن بالسويس ومدافع «كروب» من ألمانيا وملابس ومهمات حربية وأسـلحة جـديدة من فرنسا ، فاستعظم هذا الدين وأمر بصرف عسـاكر الجيش الى بلادهم وبيع مافى الخزائن الأميرية من الأمتعة الثمينة ، وبيع جميع المعامل والورش القديمة الكائنة بالعاصمة والمحافظات والمديريات وبيع الأطيان المتروكة وغير ذلك للوصول الى سداد هذا الدين ، كما أمر بمنح من يرغب الخروج من الخـدمة العسكرية أرضـا ومعاشا له ولأولاده من بعده كما أمر باحالة الضباط الى المديريات والمحـافظات بنصـف مرتباتهم وأمر بتخصيص ما يلزم لهم من الرواتب على الأرض الزراعية ، فخص كل فدان قرشا واحدا وربع قرش علاوة ، الى حين سداد الدين المطلوب من الحكومة .

ثم أمر بأن تجمع العساكر والضباط بعد ذلك وتلغى الضريبة المؤقتة ، وقد استمر الحال على هذا المنوال الى أن سافر الى أوربا للعلاج من داء «السرطان» وهناك كتب وصيته الى قائمقامه فى مصر وكان «اسماعيل باشا» قال فيها :

«بما أن الضباط الوطنيين المترقين من تحت السـلاح قـد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم العسكرية ولو تركناهم على هذا الحال التى لاتعود عليهم الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر، وصاروا عبرة لمن اعتبر ، وبما اننا نحن الذين ربيناهم واظهرناهم فلا يصح لنا تركهم فى هذه الحال التى ذكرنا ،لذلك اقتضت ارادتنا جمعهم من البلاد التى يعيشون فيها وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولو بالنظر اليهن والتشديد عليهم بمداومة تدريس القوانين ليـلا ونهارا فى قصر النيل» .

ولاية إسماعيل

ثم تولى اسماعيل ولاية مصر فى اليوم الذى توفى فيه «سعيد باشا» وعمل بالوصية فأصدر أوامره بجمع العساكر وتنظيم الالايات وكان أحمد عرابى اذ ذاك قائمقاما على الالاى البيادة السادس مع الأميرالاى « بكرى » بك ، ولم يكن يحمل هذه الرتبة من العنصر الوطنى بالالايات غير احمد عرابى ، ولسوء حظه ترقى أمير الالاى الثانى «خسروبك» الى رتبة اللواء «باشا» لا بعلمه ومعارفه وحسن قيادته بل لكونه جركسيا وكان ممن خرجوا على الدولة العلية مع ابراهيم بن محمد على فى الفتنة الدهماء التى هزت الاسلام وفضحت المسلمين وكسرت شوكة الدولة العلية (الحامية لجميع الموحدين) وقد تعين خسرو أميرا على اللواء الثالث المكون من الالاى الخامس والسادس .

وعندما تكامل حشد العساكر اجتمعت الالايات البيادة والسوارى فى ميدان «طره» بسفح جبل المقطم وهناك كانت تؤدى التمرينات الحربية التى كان يحضرها اسماعيل باشا نفسه وجميع ضباط العسكرية . وسر الخديوى اسماعيل كثيرا لنجاح التمرينات فدعا جميع الضباط العظام من رتبة البكباشى فما فوقها الى مأدبة فخمة فوق ظهر سفينته التجارية ، وكانت المأدبة حافلة بأنواع الخمور المحرمة والكئوس المختلفة . وتلك الحالة لم يسبق لعرابى وصحبه المصريين من الضباط رؤيتها لأنها غير مألوفة ومعروفة عندهم . وأكل المدعوون طعاما شهيا لذيذا وشرب من أراد الشرب منهم من تلك الخمور وتعفف من كره وبعد أن فرغوا من تناول الطعام أعلن الخديوى سروره وشكره لضباط الجيش على ما أبدوه من النشاط وحسن الترتيب فى أثناء التمرينات الحربية وأمر لكل واحد من الباشوات بخمسمائة فدان ولكل واحد من أمراء الالايات بمائتى فدان ولكل واحد من القائمقامات بمائة

وخمسين فدانا من زيادة المساحة التى توجـــد فى بلاد مديريتي الغربية والمنوفية • وصـــدرت الأوامر الى المديريتين المذكورتين بتسليم الاراضي المذكورة الى أصحاب الرتب المختلفة ، ولكن عند الشروع فى استلام تلك الأطيان ظهر الظلم وتجسم بأكمل معانيه . فقد كان يتوجه كل واحد من المندوبين من طرف المنعم عليهم بأمر من المديرية الى بلد يختارها من أحسن البلاد تربة ، ويطلب تحديد المقدار المعين قطعة واحدة فى أخصب حوض من الأراضى المملوكة لأربابها فيجاب الى طلبه ، ثم يحال المالكون الضعفاء على الحيضان الاخرى التى توجد بها زيادة المساحة وقد لاتوجد ، حيث يخصص مقدار الأرض المأخوذة منهم على جميع الافدنة الموجودة فى البلد . فيخص الفدان الواحد قيراطان أو ثلاثة أو أربعة فتؤخذ من الكل وتجمع فى جهة وتعطى لأولئك المساكين بدلا من أراضيهم التى كانوا يملكونها وقد تكون هذه الأراضى من أردأ أنواع الأرض . وتلك أول مظلمة من المظالم الكثيرة التى وقعت فى عهد اسماعيل .

اما عرابى فقد حماه الله تعـــالى من الوقوع فى شرك هـــذه المهازل على غير ارادة منه وذلك ان خسرو باشا كان جاهلا متعصبا لجنسه تعصبا يفوق الحد المعقول . وكان قد أخبر ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم (الرومى الاصـــل) بأن عرابى صلب الرأى ، شرس الأخلاق لاينقاد لأوامره ولايحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية (الحربية). وفى الحق لم يكن عرابى شرسا ولكنه رجل حق وعدل وانصاف ويبغض الاجحاف والظلم . ولذلك طلب عدم تسليم الأطيان المنعم على عرابى بها لحين تحقيق ماافترى به من الكذب . فعرض ناظر الجهادية الأمر على الخديوى شفاهة . وصدر بناء على ذلك امر المعية لمديرية الغربية بعدم تسليم احمد عـــرابى تلك الأطيان حتى صدور أوامر أخرى . وأصدر ناظر الجهادية امـــره بالتحقيق فيما نسب الى عرابى . فتألف مجلس عسكرى برئاسة حسين باشا الطوبجى وعضوية محمد بك أمين أمير الالاى الخامس

وقائمقام الالاى الخامس رشيد بك راقب وغيرهم من الجركس والأتراك والسبب فى ذلك كله أن خسرو وهو رجل متعصب لجنسه كان يكره ان يكون تحت امرته رجل شريف من العنصر الوطنى مثل احمد عرابى الذى يتفانى فى نصرة الحق على الباطل . وقد عمل خسرو على اقصاء عرابى من مركزه ليتسنى له ترقية المدعو مصطفى سليم احد بكباشية الأورطه التى تحت ادارة أحمد عرابى الى رتبة القائمقام وترتيبه بدلا من عرابى لكونه من ابناء الجركس ولكونه صهر (جاهين كنج باشا) قومندان اللواء الأول . واتفق فى ذلك الوقت امتحان الضباط الأصاغر لترقيتهم فى مجلس خسرو باشا هذا وبحضور عرابى كعضو فيه أيضا . وبعد ظهور نتيجة الامتحان والاقرار على ترقية المستحقين كتبت العرائض عند خسرو باشا وختمت من أرباب الامتحانات . ولما عرضت على أحمد عرابى وقع على العرائض وأبى التصديق على ترقية ملازم ثان يدعى «حسين افندى» لأنه لم يجب فى الامتحان باجابة حسنة ، بينما كان آخر يدعى حسين أفندى أيضا أجاب فى الامتحان جوابا حسنا وتقرر فعلا ترقيته بمجلس الامتحان . ولكن تأخر هذا وتقدم ذاك بدلا منه بسبب المحسوبية ولكونه كان ملازما لخدمة البكباشى مصطفى أفندى سليم ، ولما رفض عرابى التوقيع على العريضة المذكورة طلب اليه خسرو الموافقة على التوقيع لأجل خاطر البكباشى المذكور . فرفض عرابى ذلك كل الرفض وطلب ترقية المستحق . فرفض خسرو وتأخر الاثنان فى الترقى بعد جدال عنيف . وكانت هذه الحادثة سبب الوشاية بعرابى عند ناظر الجهادية وقد أوعز الباشا الى البكباشى المذكور بأن يختلق مكيدة يوقع عرابى فيها واحالته الى محكمة عسكرية . وتمت المكيدة . ولكن برغم ثبوت براءة عرابى من هذه المكيدة فقد حكم المجلس العسكرى بحبس عرابى واحدا وعشرين يوما محاباة لخسرو باشا وناظر الجهادية . فاستأنف عرابى الحكم وطلب احالته الى مجلس عسكرى أعلى

وبذلك قرر المجلس العسكرى الذى شكل خصيصا الغاء الحكم وحفظ الاوراق لفساد التهمة وثبوت تزويرها .

وهنا وقع الخلاف بين ناظر الجهادية وبين رئيس المجلس العسكرى الأعلى (على باشا سرى) بسبب حكم هذا المجلس بالغاء حكم الحبس الابتدائى وكان ناظر الجهادية يريد تأييد الحكم الابتدائى تصديقا لما أخبر به الخديوى سابقا . فسعى الى الخديوى لفصل أحمد عرابى .

فصل عرابى

وفصل أحمد عرابى من الآلاى وتم له ماأراد ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون . ففى الأسبوع الذى فصل فيه عرابى صدر أمر الخديوى بالغاء أورطة اللواء الثالث الذى كان تحت امرة خسرو باشا وتفرقت تلك الفرقة على الآلايات الاخرى . وفصل أيضا البكباشى مصطفى سليم مدة عشرين عاما ثم أصيب حسين باشا بمرض أودى بحياته وكذلك أصاب محمد بك أمين الذى وافق على المحاباة مرضا أودى بحياته هو الآخر . أما أمين بك القبرصلى ناظر قلم تركى بديوان الجهادية وهو رجل رومى الأصل فقد أصابه الله بقارعة قبل موته لميله مع الظالمين حيث زور امرا خديويا ماليا فضبط وسجن ثم ضرب نفسه بمطواة للانتحار ؛ فعولج وأرسل الى السودان ومات قبل وصوله . واما ناظر الجهادية فقد هلك فى حرب (كريد) لا كشهيد ولكن لأنه أكل فريكا من القمح فانعقدت امعاؤه وقضى نحبه وأرسل الى مصر ودفن فى قرافة الإمام الشافعى وارسل خسرو باشا الى السودان . وهكذا نرى أن جميع من اشترك فى هذا الظلم أصابه الله بمصيبة عظمى .

ولما كان فصل عرابى من الآلاى بأمر ناظر الجهادية فصلا

تعسفيا وبطريقة استبدادية ظالمة فقد قدم إلتماسا إلى الخديوى اسماعيل يطلب اعادة النظر فى أوراق القضية وفحصها بديوان المعية وانصافه بوجه العدل لأن **(العدل ان دام عمر ، والباطل ان دام دمر)** وطلب الخديوى من راغب باشا النظر فى التظلم . وكان حينذاك باشمعاونا للخديوى وله نفوذ تام فى جميع المصالح الأميرية فوعده خيرا وفى الحال كتب لديوان الجهادية يطلب جميع الأوراق الخاصة بمسألة احمد عرابى . وبناء على ذلك أرسلت جميع الأوراق الى ديوان المعية . ففحصها ابراهيم باشا خليل رئيس قلم العرضحالات وعمل عنها نتيجة أوضح فيها تلفيق القضية وفسادها ثم عرضت النتيجة على الخديوى ولكنه لم يبد رأيا فيها . فمكث عرابى على هذا الحال ثلاثة أعوام وهو يتردد على المعية بلا فائدة . وفى ربيع أول سنة ١٢٨٣ هـ كتب عريضة استرحام ثانية للخديوى فصدرت ارادة سنيه مآلها أن العرضحال المقــدم منه عرض على الخديوى وأنه عفا عنه وبناء على ذلك صدر امر باستخدامه عند ظهور خدمة مناسبة ومما تقدم نرى أنه لم يقع خطأ من عرابى يصح صدور عفو عنه وانما كان الغرض من هذا العفو هو اضاعة مرتباته مدة فصله والتخلص من فطنة الظلم وضياع الحقوق . فكانت هذه المرحلة خالية من العدل الحقيقى .

ولنرى حادثة مشابهة لما حدث مع أحمد عرابى وفى هذه المرة مع يعقوب سامى باشا وذلك أنه كان معــاونا بضبطية مصر بعــد حضورة من حرب القرم سـنة ١٢٧١ هـ برتبة صـاغقولغاسى فوقع بينه وبين الضابط عبده باشا خـلاف لعـدم موافقته على اغراضه الدنيئة انتهى بفصله من غير ذنب وكان عبده باشا وجيــلا شريرا لايعبأ بفضيحة الحرائر . فرفع سامى باشا شـكواه الى سعيد باشا فصدر أمره بتحقيق تلك الشكوى فى ديوان الداخلية ولما ظهر أن سامى باشا فصل ظلما أمر سعيد باشا بفصل عبــده

باشا من الخدمات الأميرية والزامه بدفع مرتبات سامى باشا من تاريخ فصله حتى اعادته الى عمله .

ولما اخذ احمد عرابى أمر الخديوى توجه الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم واعطاه اياه وقرأه ، ثم نظر الى عرابى قائلا : (الحمد لله على ذلك ، فقد كنت خدعت وصدقت قول خسرو باشا وتسرعت فى الأمر وعرضته على الخديوى ولم أستطع بعد ذلك تكذيب نفسى عنده وأنا آسف على ماحصل مع علمى بما أنت عليه من الذكاء والفطنة والاستقامة فأرجو منك ياولدى قبول عذرى واعتذارى) .

فقال له احمد عرابى : ــ (عفا الله عما سلف والذى أرجوه الآن هو احالتى على مفتش الأقاليم) .

عودة عرابى إلى خدمة الجيش

وكان ذلك بقصد اتقاء عرابى شر أعدائه السالف ذكرهم له فأجابه الى طلبه ولما عرض أمر الاحالة على المرحوم اسماعيل صديق باشا رحب بعرابى واكرمه وامر فى الحال بتعيينه فى مأمورية مؤقتة هى المحافظة على النيل بمديرية الشرقية . وكان النيل فى ذلك العام قد بلغ ٢٧ ذراعا فبذل عرابى جهده فى اخذ الاحتياطات اللازمة لرد طغيان الماء وحفظ البلاد من الغرق وبعد انقضاء زمن النيل أحيل على عهدته انجاز بناء قنطرة فم الاسماعيلية بحرى قصر النيل والقنطرة البولاقية ثم انجاز سد فم رياح الترعة الاسماعيلية بالقرب من شبرا وانجاز قطع الاحجار بجهات العباسية والبساتين وطره والمعصرة وشحن الأحجار بجهات العباسية وجميع مديريات الوجه البحرى .. وفى سنة ١٢٨٤ هـ أحيل على عهدة عرابى انجاز بناء كوبرى قشيشة العظيم على خط السكة الحديدية قبلى الواسطى وطوله ٥١٤ مترا وكوبرى الرقة البحرى

بحرى الواسطى وكوبرى أطواب على فرع الفيوم ثم السكة الحديدية من المنيا الى بندر ملوى . وبعد اتمام تلك الأعمال المهمة على أكمل وجه مع مراعاة الاقتصاد فى النفقات . اقام احمد عرابى . وليمة من ماله الخاص دعا اليها رؤساء مصلحة السكة الحديدية ورؤساء الهندسة والعمال ورجال مديرية بنى سويف احتفالا بأول قطار يمر على الكوبرى المذكور وكان يوما مشهودا . وبمراجعة الحساب كان الوفر من المال خمسة وعشرين ألفا من الجنيهات عن طلب المقاولين الاجانب الذين حاولوا أخذ تلك الأشغال . وبسبب توفير هذا المبلغ وسرعة انجاز البناء والتركيب واحكام الأعمال على أحسن مايرام كوفىء ناظر الدائرة الخاصة قاسم باشا رسمى بخمسة آلاف جنيه مصرى ولم يكن سوى واسطة للمخاطبات بين عرابى ومصلحة السكة الحديدية وكوفىء عرابى على تلك الاعمال الجليلة الشاقة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة اخرى !!

ثم عين قاسم باشا ناظرا للجهادية وهو رجل رومى بارع فى الأشغال الحربية والملكية نشيط فى كل اعماله عين فى سنة ١٢٨٧ هـ . وكان يعرف قدر أعمال عرابى وقدرته مدة انشاء الكبارى المذكورة . وطلب عرابى وكلفه بالرجوع الى خدمة الجهادية . فوافق عرابى وترتب قائمقاما فى ٣ جى آلاى بالاسكندرية وفى سنة ١٢٨٨ هـ انتقل الى رئاسة الآلاى الثانى البياده ولكن برتبته من غير ترق . وفى أواخر سنة ١٢٩٠ هـ توجه بالآلاى المذكور الى رشيد بطريق البر وفى أوائل السنة المذكورة أحيل ديوان نظارة الحربية الى عهدة الأمير حسين كامل بن الخديوى اسماعيل . وأصبح فتح فرقة ثانية وثالثة فى الجيش مكملة من الأسلحة الثلاثة وهى بياده وسوارى وطوبجية وصار ترقى الضباط اللازمين لذلك استعدادا للحملة الحبشية المشئومة . وبعد اختيار المختارين للفرقة الثانية من

الذين ترقوا بحضرة الأمير حسين كامل قال الأمير للذين تأخروا عن الترقي : —

((اجتهدوا أيها الضباط في التعليم والتمرين حتى تدركوا ماوصل اليه اخوانكم الذين ترقوا))

ثم التفت الامير الى عرابى قائلا وبلهجة الآسف : انى طلبت من افندينا ترقيتك الى رتبة أميرالاى فقال انك من بتوع سعيد باشا .

فقاطعه عرابى قائلا : انى لست بتاع أحد بل خادم الوطن والحكومة وبلدى هرية رزنة بمديرية الشرقية ولكن بتاع سعيد باشا هو راتب باشا لأنها ملكه .

فقال الأمير : (لا تفتر همتك فى تأدية واجباتك وانى سأبذل جهدى فى ترقيتك عند الترتيب الخاص بالفرقة الثالثة) . فشكر له عرابى هذا الوعد . وخرج وهو شاعر بأنه لن ينال خيرا فى عهد والده لأنه متحقق أن خسرو باشا وراتب باشا ورؤساء الجراكسة يعارضون فى ترقيته بكل مافى قدرتهم . وقد سمع من احد امرائهم وهو رجل معتدل غير متعصب لبنى جنسه على مافيه من غلظة ، أنه حضر مجلسا لأولئك الجراكسة حيث تذاكروا فى اختيار الذين يريدون ترقيتهم الى الفرقة الثالثة . فعرض عليهم ترقية عرابى الى رتبة أميرالاى مراعاة للحق والانصاف فأبوا عليه ذلك فقال لهم : (ربما ترقى قهرا عنكم يوما ما اذا لم يرق برضائكم واختياركم وانتم تعلمون أنه أقدم القائمقامات وأعلمهم وفيكم من كان تحت امرته فالأولى بكم الا تعرضوا أنفسكم للانتقاد) . ولكنهم ازدادوا عتوا ونفورا . ولما ترتبت الفرقة الثانية والثالثة وتم ترقى الضباط لم يقدر ناظر الجهادية الأمير حسن كامل على الوفاء بوعده لاصرار السردار راتب باشا على رفض ترقية أحمد عرابى . ومن الغريب أن الآلاى التى تحت ادارة أحمد عرابى ظل خاليا من ضابط برتبة الأميرالاى مدة ثمانية أعوام وكان عرابى

قائما بوظيفة الأميرالاى بأحسن نظــام وأكمل تربية وأدق تعليم وأحسن هيئة عسكرية فما أوضح هذا الظلم المبين .

الحملة الحبشية

ثم قامت الحملة الحبشية فى سنة ١٢٩٢ هـ وبدأت بالسفر الى «مصوع» بعد قتل الاورطات الثلاث التى قام بها «أراكيل بك الأرمنى محافظ مصوع» وكان معــه يومئــذ البكباشى على رائف والبكباشى أحمد فوزى والبكباشى أحمد سعيد قومندان الطوبجية والبكباشى عمر رشدى أركان حرب . فأغار على حدود الحبشة من جهة «ستهيت» وفرق العساكر فرقا صغيرة وســار بهم الى اقليم «أسمره» فأحاط بهم الأحباش وأفنوهم عن آخرهم ومثلوا بالقتلى وجبوا مذاكير من سلموا من القتل من العساكر المصريين وكذلك ذبحت الفرقة التى أرسلت مع «مسنجر بك الانجليزى» الى «تجره» ومنها الى الملك «منليك» ملك «شــوا» بطريق قبيلة الحنفلى بقصد الهجوم على الأحباش والتغلب على بلاد «يوحنا» بمســـاعدة منليك الذى صــار امبراطورا بعد قتل يوحنــا بين الدراويش السودانيين . فلما قرب مسنجر بك من حدود «شوا» قام شيخ قبائل الحنافل برجاله وباغت العساكر المصرية ليلا وهم نيام وذبحهم عن آخرهم وأخذ أسلحتهم وذخائرهم وجميع مامعهم من الهدايا الثمينة المرسلة الى منليك فلما جاءت هذه الأخبار الى مصر عظم الأمر واشتد غضب الخديوى اســماعيل باشــا فأمر بارسال الجيش المصرى المركب من ثلاث فرق الى الحبشة بطريق البحر الأحمر الى «مصوع» وعهد بقيادة الجيش الى راتب باشا سردار العساكر المصرية وأمر هذا القائد العام أن يكون مقيدا برأى أركان حــربه الجنرال « لورنج » وهو أمــريكى لا يعرف الفنـــون العسكرية وانما كان رئيس فرقة فى الحــرب الامريكية من ضمن

الفرق غير المنتظمة اى (المتطوعين) وكان اكثر رجال الحرب الذين معه من بنى جنسه فكان هذا الترتيب سبب الفشل الذى حاق بالمصريين فى تلك الحملة وقد عسكرت العساكر المصرية بقرية « حرفيفوان » فى جنوب مصوع على بعد خمسة أميال ، وقرية أم «كللو» غربى مصوع على بعد ستة أميال وقرية «حطملوا» فيما بين مصوع وأم كللو . ولعدم وجود ماء لهذا الجيش الكبير ، اشتغل فريق بحفر الآبار فلم يجدو ماء الا ما يكفيهم ثلاثة أيام ثم يصير الماء ملحا .

- أما عرابى ، فكان مأمور الحملة وفى عهدته عشرة آلاف حيوان من الجمال والخيل والبغال . واغلبها اخذ من المصريين غصبا بلا ثمن وكذلك العلف من الشعير والفول والذرة والتبن . الذى اخذ من المصريين بلا عوض غير الوعود الكاذبة بخصم الأثمان من الضرائب المطلوبة منهم . وتلك الضرائب لانهاية لها ولايمكن لأى حاسب أن يعرف ما له وما عليه لكثرة الضرائب غير القانونية . ولعدم وجود الماء الكافى لهذه الحيوانات ، أمر عرابى بحفر بئر فى قرية أم كللو لبعدها عن البحر . وبعد حفرها ظهر ينبوع ماء عذب سائغ شرابه وماؤه كثير لاينقطع ولايتغير . فأمر عرابى ببنائها بالحجر بناء قويا ، وبناء حوض بجانبها امتداده ثلاثون مترا وعرضه متران لشرب البهائم المذكورة . واقاموا على البئر ساقية حديدية استحضرت من مصر الى جزيرة مصوع حيث أجروا الماء فى مواسير استحضرت من مصر أيضا لهذا الغرض ، حيث عمل فيها حوض كبير مستدير لسقى أهل البلد ومستخدمى المحافظة. ولاريب فى أنها باقية اثرا عظيما يعرفه سكان تلك البلاد الذين أصبحوا فى راحة عظيمة من عناء طلب الماء من الجيران البعيدة . ومكث الجيش مقيما فى مضاربه مدة ثلاثة أشهر بغير عمل ولا تدريب وفى تلك المدة كان الخديوى يرسل كثيرا من الطرشى (المخلل) والفجل والبصل والكرات خشية حدوث داء «الاسقربوط» وكان

جميع الرؤساء من أمراء الالايات والباشوات من العنصر الجركسي الا واحـدا فقط يدعى «محمد بك جبر» وكان مصريا . وهـذا لارأى له في الأمر . وقد كانوا يحسبون للجيش ألف حسـاب ويتهيبون من لقائهم ويظنون أن طول المكث في مصوع وماحولهـا يحمل الحكومة المصرية مصاريف باهظة تعجزها عن القيام بنفقات الجيش اللازمة له الى النهاية فترجعهم الى مصر بلا قتال وهذا الفكر الضئيل سمعه الضباط المصريون وسمعه عرابي من أحـد الأمراء المشار اليهم وهو ناقم مشفق من النتيجة المنتظرة والمتوقعة ولطول المكث في مصوع ونواحيها ، قلق الخديوى اسماعيل وشدد على القائد العام راتب باشا رئيس أركان حـربه بضرورة سرعـة الزحف على بلاد الحبشة والانتقام منها لما وقع منهم من الاعمـال الوحشية والتمثيل بالقتلى والأسرى . وقد أرسـل ابنه حسن باشا ليشهد الحركات الحربية ويتدرب فيها ولاوظيفة له في الجيش غير ذلك . وصدرت الأوامر بالشروع في الزحف . وأمـر رئيس الجيش ، راتب باشا ، عرابي بأن يسلم كل آلاى خمسين جملا خالية لحمل ذخيرتهم الحربية وخيامهم ومؤنهم . فقال عرابي له: — «انه من الضرورى أن يكون مع كل آلاى عشرة جمال خالية من الحمل حتى اذا ضعف بعض البهائم عن السير استبدل بغيره» .

فقال له راتب باشا : — «لاتفعل ذلك ودع كل دابة تتأخـر بحملها لاترجع» .

فتعجب عرابي لذلك الأمر ولكنه لم يراجعه . ولكى يتحقق من نفاذ أمره أمر اثنين من معاونيه أحدهما يدعى عبد الله الكردى البكباشي والآخر يدعى رجب صديق البكباشي الجركسي بأن يقفا في باب الممر عنـد الشروع في السـير ولايتركا دابة تمر بـدون حمل ...

وسافرت الفرقة الأولى بقيادة أمير اللواء عثمان رفقي باشا وسافر معها راتب باشا القائد العام وأركان حربه ليلا في أول يوم

من شهر أغسطس سنة ١٨٧٦ م ٠ وفى ضحوة ذلك اليوم سير عرابى على آثارهم بحملة قدرها خمسمائة دابة مخملة مؤونة وعلفا وأورطة من العساكر بقيادة البكباشى فرج عبد العال المشهور «بالدكر» ولما بعدوا عن مركز أم كللو بنحو ستة أميال وجد عرابى الجمال والخيل والبغال السابق ارسالها مع الفرقة الاولى منتشرة على رؤوس الجبال وبطون الأودية بأحمالها . بعضها يرتع ويرعى وبعضها مشتبك فى شجر السلم وشجر الأبنوس وشجر أم غيلان. وبعضها خلع أحماله من الجبخانة والبقسماط والتبن والشعير والفول . ولما رأى عرابى ذلك راعه الأمر وقال : هذا ماخشيت وقوعه وهذا ماأراده القائد العام برفضه ماعرضته عليه من قبل. وهنا أمر عرابى الحملة بالوقوف عن التقدم وامر قائد الأورطة الحامية للحملة بسرعة جمع الدواب المنتشرة بأحمالها . وفى أثناء ذلك مر عليهم حسن باشا ابن الخديوى بمن معه من معاونيه وخدمه وشاهد ذلك بنفسه . ولما سأل عرابى عن تلك الحالة أخبره بحقيقتها . فتركه وسار ليلحق بالفرقة الاولى وعند جمع البهائم المنتشرة بأحمالها وجدوا خمسين حملا من البقسماط مبعثرة هنا وهناك وتبين أن فرقة الجمالة التى أتت من «سواكن» هى التى ألقت أحمالها وفرت بجمالها . ومن حسن الحظ أن كان بالحملة خمسون جملا خاليا من الأحمال كاحتياطى ، فحملوها الميرة . وواصل عرابى ومن معه السير الى الأمام . وكانوا يجدون بين فترة وأخرى بغلا محملا جبخانة أو جملا متروكا بحمله فيأخذونه معهم ، حتى انتهوا الى أرض «مسبعة» بعد اجتيازهم عقبة «نيقوص» حيث وجدوا فى مجرى السيل منها حفائر ماء فبأتوا فيها وسقوا الدواب ، وهى على بعد ثلاثين ميلا من أم كللو . وماؤها عذب وهواؤها لطيف وفيها يثبت شجر (القفل) ولأوراقه رائحة ذكية . وفى اليوم الثانى توجهوا الى «خور بعرظا» فوصلوها بعد العصر وقد استقبلهم كثير من عساكر الفرقة الأولى التى كانت

قد عسكرت على شاطىء هذا الخور . وشكوا اليهم الجوع لعدم اعطائهم القوت الكافى حيث كان لايصرف للنفر أكثر من مائة درهم من البقسماط ومائة درهم من اللحم البقرى فى اليوم الواحد .

فصرح لهم عرابى بالاكل حتى يشبعوا على أن يأخذوا معهم شيئا واقاموا هناك حتى اتت الفرقة الثانية بعد ثلاثة أيام وقامت الفرقة الأولى الى « قياخور » ثم قامت الفرقة الثانية الى « قياخور » ايضا ومنها الى «قرع» وصدر الأمر لهم باتخاذ «بعرظا» مركزا متوسطا للحملة والمؤن والذخائر الحربيــة بين مصــوع وقرع . وعسكر القائد العام بالفرقة الاولى وقائدها راشد باشا راقب فى قرع واختط فيها قلعة خفيفة . وكذلك فعل عثمان رفقى باشا بفرقته فى قياخور . واقاموا على ذلك أربعين يوما بلا عمل . فلم يستكشفوا ماحولهم من الأودية والخيران والجبال المنقطعــة ، حتى القريب منها . ولم يضع رئيس أركان الحرب رسما لذلك لمعرفة ابعاد المواقع المناسبة لاتخاذها ميدانا حربيا . وفى تلك المدة كانت الذخيرة ترسل يوميا الى قرع لاتخاذها مركزا عاما استعدادا لامداد الجيش اذا تقدم الى مدينة (عدوى) عاصــمة مملكة الملك «يوحنا» حتى صارت زكائب البقسماط فى داخــل الاســتحكام كالبروج المشيدة العظيمة . ومع ذلك كان القائد العام يأمر بشراء كثير من الدقيق والشعير من سوق الأحباش . كل هذا والعساكر لايعطى لهم الا نصف المرتب من البقسماط مع أن النفر كان يعطى بأمر أركان الحرب مائة درهم من اللحم البقرى اى ثلاثة أمثــال المقرر له من اللحم حتى فشا فى الجيش داء «الدوسنتاريا» ولولا جودة الهواء لهلكت العساكر من الجوع والاسهال .وكان أحــد القساوسة الفرنساويين المبشرين فى بلاد الأحباش يتردد كل يــوم على رئيس أركان الحرب الجنرال « لورنج » الأمــريكى مستطلعا أحوال الجيش المصرى حتى علم بمقداره واتفق معــه على الحــركة الحربية التى تكون سببا لهلاك الفرقة المصرية عند الصدمة الأولى

وكان يبلغ معلوماته فى كل يوم الى الملك . فحشد هذا الملك جيشه وكان عدده يزيد على الثلاثمائة ألف من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال على حسب عادتهم فى الدفاع عن كيـان بلادهم . وأتى على مقربة من الجيش المصري المعسكر فى «قرع» وفى ١٢ سبتمبر من السنة المذكورة ، قام عرابى بآخر حملة من مركز «بعرظا» وكان معه ثلاث أورط بقيادة أمير اللواء راشد باشا كمال حتى وصلوا الى عقبة «بمبا» وهى عقبة صعبة الرقى مرتفعة عن سطح البحر بمقدار ثلاثة آلاف قدم لايمكن للراكب أن يجتازها على ظهر جواده أو مطيته بل لا مناص له من أن يترجل ويمشى على قدميه لصعوبة الصعود والهبوط ولاتمـر الدواب الا الواحـدة تلو الاخـرى . فاجتازوها بكل صعوبة بعد أن سقط بعض الجمال بأحمـاله من أعلى العقبة الى حضيض الوادى . ثم تابعوا السير حتى وصلوا الى خور (عدرسا) . فباتوا هناك حتى وجدوا على شاطئه غابات من نخل البلح قيل انها من آثار عسـاكر السلطان سليم الذين أكلوا التمر والقوا بنواته فى شاطىء الخور المذكور . وفى ١٣ منه قاموا من تلك المحطة وساروا الى الامام حتى وصلوا الى سهل «عالا» وهو سهل واسع كثير الاشجار وهناك سمعوا دوى المدافع المتتابع وعلموا بوقوع الحرب . فأسرعوا فى السير حتى وصلوا الى قلعة السلطان سليم الكائنة على سفح جبـل (قياخور) بعـد غـروب الشمس بساعتين وكانت قد انقطعت أصوات المدافـع فحطوا الرحال وهيأوا الطعام للعسـاكر والعلف للدواب وبعد الاستراحـة استأنفوا السير ليلا . فارتقوا عقبة قياخور فى ساعتين ووصلوا الى فرقة قياخور التى كان يرأسها أمير اللواء عثمان باشا رفقى . وتقدموا منه وهو جالس يصطلى بالنار الموقدة أمامـه من شـدة البرد . وسألوه عن الحالة فأجابهم وهو فى حيرة واندهاش عظيمين بأن فرقة «قرع» هلكت عن آخرها وكانت مركبة من سبع أورط بيادة وبطاريتين طوبجية . فأحزنهم الخبر المفجع وجلوا معه الى

منتصف الليل حيث جاءت اشارة ضوئية بأن راتب باشا وحسن باشا ابن الخديوى وجميع رجال أركان حرب الأمريكيين وصلوا الى مركز الفرقة سالمين . أما راشد باشا راقب والأميرالاى محمد جبر وبقية الضباط والعساكر فقد استشهدوا فى المعركة ومن سلم منهم أخذ اسيرا . ولم يبق فى المركز الا أورطة واحدة من العساكر المستجدة كان لايزيد سن أحدهم على خمسة عشر عاما . وفى ١٤ من الشهر المذكور أطلق الأحبــاش قنابل المدافع المصرية التى غنموها بالأمس على مركز العساكر المصرية . ثم هجموا هجوما شديدا على القلعة المذكورة وتسلقوا جدرانها بشجاعة عظيمةوكانوا يدوسون قتلاهم وجرحاهم ولايبالون بالموت . الا أن عساكر الأورطة المستجدة وضباطهم وراتب باشا ومن معه من المعاونين أبلوا بلاء حسنا فى ذلك اليوم وردوا الأحباش الى أعقابهم خاسرين وقد شوهد راتب باشا وهو يصب نارا حامية بيده على الأحباش الذين حاولوا الصعود الى قمة القلعة . وكان البكباشى على الروبى البكباشى السوارى يطوف بالقلعة مرارا يحثهم ويشجعهم على المقاومة والدفاع عن الشرف والنفس حتى ملئت الخنادق وماحولها بجثث الأحباش وكان عدد القتلى منهم يزيد على عشرين ألفا .

ولما رأى الأحباش من هذه الأورطة ماراوا مما لم يكن له حساب فى نفوسهم ندموا على هجومهم وتحولوا بعددهم وعديدهم ومن معهم من الأسرى المصريين من (قرع) الى مركز آخر داخل بلادهم .

وترى مما مضى من أحداث أن «لورنج» رئيس أركان الحرب الذى وضع الخديوى اسماعيل كل ثقته فيه ، حينما كان يتردد عليه القسيس الفرنسى كان ينقل أخبار الجيش الى الملك «يوحنا» ويخبره بكل صغيرة وكبيرة مما دار بينه وبين الجنرال « لورنج » .
ولما أدرك «لورنج» أن الملك يوحنا قد انتهى تماما من ترتيب جيشه بالقرب من «قياخور» ، طلب من القائد العام الخروج من قلعة

«قرع» في صباح يوم ١٣ سبتمبر ١٨٧٦ . فخرجت سبع أورط بلياده وبطاريتان طوبجية الى النقطة التى اتخذت ميدانا للقتال .
وكانت على بعد ميلين من «قياخور» وكان ترتيب الاورطة البياده على شكل طابور والطوبجية على اليمين ووراءهم جبل وامامهم خور عميق لا ماء فيه كأنه خندق طبيعى . وكان هذا الخور ملتفا حول الجبل على اليمين واليسار . فظنوا أنهم بهذا الخور فى حرز منيع من هجوم العدو عليهم . وكان (مكلس بك الطلياني) من أركان الحرب قد توجه من قبل بالأورطة الأولى من آلاى عثمان بك غالب وبكباشيها احمد إفندى شعبان وعسكر خلف الجبل المذكور بحيث لايرى ميدان القتال ولايعلم سبب وضع أورطته خلف ذلك الجبل واستعد جميع اركان الحرب الاوربيين والامـريكيين للملحمة .
فألقوا طرابيشهم الرسمية جانبا وارتدوا قبعاتهم ثم ربطوا حول أعناقهم مناديل بيضـاء دلالة على أنهم مسـيحيون ليأمنوا على انفسهم من الخطر عند دخول الجيشين الحرب حسب الاتفاق مع القسيس الفرنسى السابق ذكره . وبعد أن استعد كلا الجيشين ، بدأ جيش الحبش باطلاق المدافع وكان معه ثمانية مدافع كانت قد أهديت للملك «يوحنا» من رئيس الحملة الانجليزية مكافأة له لمساعدته الانجليز فى محاربة الأحباش فى عهد الملك «تيودور» الذى انتحر فى قلعة (مجدله) بعد هزيمة جيشه . وخلفه يوحنا فى ملك الأحباش علما بأنه لم يكن من بيت الملك بل كان رئيسا للأشـقياء وقطاع الطرق وكان معه أيضا ستة مدافع مصرية كان قد حصل عليها فى هجومه على (اراكيل بك) كما سـبق ذكره . فأخـذت الطوبجية المصرية فى قذف الأحباش بنار حاميه • وعندئذ قسم الملك يوحنا جيشه الى ثلاثة أقسام فذهب قسم الى خور يخفيه عن عدوه ثم دار على يمين المصريين بالأسلحة البيضـاء وقسم ذهب الى شمال المصريين فى خور أيضا ومعه الحراب والسـيوف • وقسم مسلح بالبنادق قصد القلب مستترا بالأشـجار الملتفه والخيران

المتشبعه . حدث كل هذا تحت النيران ولم تكد الأحباش تقترب من العساكر المصرية حتى أطلقوا عليهم نارا شديدة ثم اشتبك الجيشان في قتـــال عنيف هجمت فيه ميسرة الحبش على ميمنة المصريين بالسلاح الأبيض من خلفهم بقوة عظيمة فأفنوا رجال الطوبجية في طرفة عين واختلطوا بالآلاى الأول اختلاطا هائلا هزمت فيه العساكر المصرية وسلموا ظهورهم لحراب العدو واندفعوا الى الشمال بدون انتظام . وأحاطت الأحباش بالأورطه التى يقودها البكباشى أحمد أفندى شعبان التى خلف الجبل على غرة ، فقاتل برجال أورطته قتال الأبطال حتى فرغت ذخيرتهم الحربية فاستعملوا « السونكى » حتى خارت قواهم واختلط بهم الأحباش حتى أفنوهم جميعهم . وأما باقى الأورط فكانت مندفعة فى هزيمتها كالســـيل الجارف والسيف يعمل فى أعناق رجالها من خلفهم ومن ألقى بنفســـه فى الخور المذكور قتله الأحبـــاش من القسم المعين لليســـار وبقوا هكذا حتى أفنوهم عن آخرهم الا من كان على رأسه قبعة وفى عنقه منديل من أركان الحرب أو من أسرع بجواده مثل راتب باشا وحسن باشا ابن الخديوى واغتنم الأحباش الأسلحة والذخائر الحربية والأموال وملابس العساكر وما معهم من حلى وساعات ونقود بعد أن قتلوا وأسروا من قتل وأسر من الجيش المصرى .

وأحب أن أذكر قول عرابى : **انه مما يحمر له الوجه خجلا مرور الأحباش فى أثناء هجومهم امام فرقة « قياخور » بحيث من السهل الوصول اليها مقلوفات المدافع المصرية وتمنعهم من التقدم ومع ذلك لم تطلق عليهم مقلوفة واحدة ولم تخرج البياده الى الميدان لتساعد اخوانهم من الفناء المحدق بهم . وأدهى من ذلك ان البكباشى خسرو افندى كان بأورطه خارج القلعة فلما رأى تقــدم الأحباش أراد أن يعترضهم فمنعه عثمان رفقى باشا قومندان نقطة « قياخور » من ذلك وأمر برجوعه ودخوله القلعة وهم ينظرون الى اخوانهم حتى تم فنــــاؤهم . مع أنه كان فى امكان العساكر المصرية الهجوم على**

ميسره الأحباش وتبديد شملهم لو ادوا واجباتهم العسكرية على أكمل وجه . لقد كان ترتيب الأحباش على شكل مقعر حربى لا يمكن لأحسن قائد حربى أن يأتى بأحسن منه وكان وضع العساكر المصرية بلا ترتيب يحميهم من اليمين واليسار . فكان كمن اوقع نفسه فى مضيق لا مخرج له منه الا بالقتل أو الأسر . وتلك نتيجة مخالفة أمر الله تعالى حيث يقول : ـ « ولا تأمنوا الا من تبع دينكم » . وانتهت تلك الحملة التى سببها الطمع بالخيبة والفشل والهزيمة والعار .

وبعد ذلك عقد الصلح مع الملك « يوحنا » بمعرفة البكباشى على أفندى الروبى . وتمت العودة الى مصر ثم عاد مرة أخرى على أفندى الروبى بهدايا ثمينة من قبيل الخديوى بعد أن رقاه الى رتبة أميرالاى الى الملك يوحنا ملك الأحباش وفى مدة اقامته عند الملك كان الأحباش يشترون منه الريال « أبو طيره » بجنيه ذهب من النقود المسلوبه من القتلى والأسرى وحصل منهم بهذه الطريقة على مبلغ كبير من المال لأنهم لم يكونوا يعرفون العملة الذهبية ولا قيمتها . وأحب هنا أن أذكر أن البقية الباقية من القوات المصرية التى عادت الى مصر بعد فشل الحملة لم تلق الا وجوها عابسة وكان الخديوى قد عزم على محاكمة القائد العام والباشوات وأمراء الآلايات . ولكن حدث اذ ذاك أن هجم حسن شركس مملوك السلطان عبد العزيز على مجلس الوزراء فى الآستانة العلية وأطلق عليهم الرصاص من مسدسه فقتل أحمد باشا القيصرلى وغيره ثم قبض عليه وحوكم وقتل فخشى الخديوى أن يصيبه ما أصاب القيصرلى اذا أصر على محاكمة قادة جيشه الجراكسة . فغير عزمه وضحك فى وجوههم ووضع بيده النياشين على صدورهم ..

وبرغم هذا كان يفكر فى مكيدة يتمكن بها من تحقيق أغراضه، وأخيرا توصل الخديوى اسماعيل الى رسم الخطة اللازمة لتنفيذ

ما يدور برأسه . وفى أوائل سنة ١٢٩٦ هـ أصدر أمره الى ثلاثة آلايات بيادة كانت برشيد للحضـــور وتسليم الأسلحة والمهمات وصرف العساكر الى بلادهم . فحضروا وسلموا المهمـات فى يوم وصولهم . وفى صباح اليوم الثانى ذهب أحمد عرابى الى منزل « محمد بك النادى » الذى كان قد حضر بآلايه من رشـيد معهـم وما أن جلس الاثنان حتى جاء أحد ضباط آلايه برتبه « بكباشى » ويدعى أحمد أفندى نجم وأخبرهم بأن تلاميذ الحـــربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية . فجاءت عساكر برنجى آلاى وأطلقت النار عليهم فشغلهم ذلك وأرسلوا أحد الضباط ليأيتهم بحقيقة الأمر. ولما عاد أخبرهم بحقيقة تلك الحركة وهى أن الخديوى اسماعيل اضطرب وقلق قلقا شديدا من ضغط الوزارة المختلطة التى كانت برئاسة « **نوبار** » وعضوية « **رياض** » **وعلى مبارك والسير** « **ولسون الانجليزى** » **و** « **دى بولوينير الفرنسى** » . وأراد أن يتخلص منهـا ويسقطها فأوعز الى « جاهين باشا كنج » بخلق تلك الحركة العابثة الصبيانية . وهذا حمل صهره « لطيف بك سليم » الضـــابط بالمدرســـة الحربية على أخذ التلاميذ والذهاب الى المالية بمن ينضم اليهم من الغوغاء فيصـــيحون متظاهرين بالتظلم من عدم صرف مرتباتهم المتأخرة من عشرة شهور ، وينســبون ذلك التـأخير الى الوزارة المذكورة ويطالبون بسقوطها تخلصـا من الأوربيين الذين كثر استخدامهم فى مصالح الحكومة المهمة ذات الايراد العظيـــم كالجمارك وميناء الاسكندرية والسكة الحديدية والتلغرافات والدائرة السنية ومصلحة الدومين وصندوق الدين ومصلحة المساحة . وكانت كل مصلحة من هذه المصالح تعتبر نفسها حكومة مستقلة . فذهب «لطيف بك» ومن معه من الضباط الذين أضاع صوابهم الفقر والجوع الى المالية وصاحوا : (**اصرفوا لنا حقوقنا من هذه الأموال المتراكمه فى خزينة المالية**) .

وقد صفع بعضهم « ولســون ونوبار وحقر رياض باشــا وعلى مبارك » وعندما خرجت تلك الألعوبة من مركزها وتعاظم خطرها ، جاء الخديوى بنفســـه الى المالية ومعه أميرالاى الحـرس الخديوى « على بك فهمى » المشهور « بالذئب المصرى » بأورطة من آلايه وحال بين المالية وبين أولئك المتجمهرين من التلاميــذ والغوغاء وأمر الخديوى باطلاق الرصـــاص على المتجمهرين ، حين رأى عبد القــادر باشا حلمى رئيس معاونيه مضروبا بسيف على يده من أحد الضباط الذين تطاول عليهم وضربهم وكذا ببندقية أحـد العساكر . الا أن الأميرالاى المذكور أظهر حزما ونظر فى عواقب الأمور فأمر العساكر باطلاق نيران أسلحتهم فى الفضـــاء . ولولا ذلك لكانت النتيجة وبالا على الخـــديوى ومن معه لأنه أمر بقتل أناس كثيرين يطلبون حقا لهم مهضوما . ثم انصرف المتجمهرون حانقين وهاج الضباط فى جميع الآلايات واتفقوا على وجوب عزل الخديوى ، واعتلاء ولى عهده توفيق باشا . فلما علم الخديوى بذلك ذهب الى مركز كل آلاى على حدة وطيب خواطر الضباط ووعدهم بصرف حقوقهم المتأخرة وعزل الوزارة المذكورة . وعزلها فعلا وعهد برئاسة الوزارة الجديدة الى اسماعيل باشا راغب .

وبعـــد أن تخلص الخـديوى اســماعيل من ضغط الوزارة المختلطة خشى تعصب أوربا عليه وانتقامها منه ، فأسند ما تم من تجمهر صبيانى أمام ديوان المالية الى احمد عرابى والى محمد بك النادى وعلى بك الروبى من أمراء الجيش . وقد طلبهم رئيس التشريفات عبد القادر باشا حلمى وأخبرهم بأن الخديوى علم بأنهم السبب فى هياج التلاميذ والضباط وأنه سيجرى تحقيقا لذلك . فان ثبتت ادانتهم عوقبوا بالعقاب الواجب . ثم صار يهددهم تارة ويعدهم بالسلامة تارة أخرى . فأجابوه بأنهم حضروا أمس من رشيد وكانوا مشغولين بتســليم الأســلحة والمهمات الى مخازن الحربية وصرف العساكر الى بلادهم حسب الأمر الصادر اليهم

ولا علم لهم بتدبير تلك الحركة أصــلا فكيف يتصور منصف أنهم يستطيعون اهاجة تلاميذ الحربية وغيرهم على ذلك العمل الخارج عن حدود الحكمة والروية فى ليلة واحدة . فتبسم ضاحكا لأنه يعلم أن الحركة كانت بارادة الخــديوى وتدبير جاهين باشــا . وكذلك طلبهم مأمور الضبطية محمود سامى باشــا البــــارودى واخبرهم بما أخبرهم به عبد القادر باشا حلمى .

فأجابوه بما أجابوا به من قبله . وقد أنس فيه عرابى تأففا من الظلم والاستبداد وميلا مع العدل والدستور . ثم عقد مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة الجنرال « ستون » الأمريكى وعضوية حسن أفلاطون باشا ومحمد باشا المرعشلى رئيس هندسة الاستحكامات وكانوا كلهم يعرفون الحقيقة . فلما سئل عرابى فى المجلس المذكور أجاب بنفى التهمة عنهم واظهر أن مثــل حركة الاحاطة بالمالية ينبغى لها مدة شهر على الأقل لترتيبها . وفى تلك المدة كانوا فى رشيد والمدارس الحربية ليست تابعة لهم ولا هى مقيمة معهم ولا كان أحــد من ضـــباط آلايهم موجودا فى تلك الحركة . على أنه لو فرض وجود أحد منهم فيها فهو غير ملوم لأن نساء الضباط وأولادهم فى العباسية بلا مأوى ولا دراهم فى أيديهم ينفقون منها على عائلاتهم ولا خبز ولا تعيين يصرف لهم . ثم انتهى التحقيق وأسدل عليه الستار .. وكان عرابى قد طلب من السردار راتب باشا صرف جراية وتعيين لتلك العائلات التى أحضرت من رشيد . فلم يصغ اليه ولم يهتم بطلبه ولكن طلب بعد ذلك جميع ضباط الآلايات من رتب بكبــاشى الى ما فوقها الى سراى عابدين . وتم عقد اجتماع عظيم فى القاعة الكبرى بالدور الأعلى وجاء الخــديوى بوعــوده لكل واحـــد منهم . وفى ذلك الاجتماع كان ترتيب عرابى وترتيب النادى بك والروبى بك بمعية الخــديوى بوظيفة ياوران . فتكلفوا ما يلزم لزى اليــاوران من النفقات الطائلة على غير جدوى .

ويقول عرابى : **أمور يضحك السفهاء منها .. ويبكى من عواقبها اللبيب .**

وبعد أسبوع عين على الروبى بك رئيسا لمجلس مديرية الدقهلية ومحمد بك النادى قائدا للآلاى الثانية البيادة المستجد وأرسل الى الأسكندرية بآلاية . وعين عرابى قائدا للآلاى الرابع ولكن برتبة قائمقام . ولما تم حشد عساكر الآلاى المذكور ، طلبه ناظر الجهادية وأمره بالذهاب الى راغب باشا ، ولما توجه عرابى اليه قال له راغب باشا : ان أهالى مديرية جرجا وأسيوط انتخبوك نائبا عنهم فى تسليم سبعمائة الف أردب قمح وفول وشعير الى بنك (منشا وقطاى وبنك ايجون) كذلك بنك ابراهيم بيجة بالأسكندرية .

فقال له عرابى : ـ ولم اختارونى وانتخبونى لذلك ؟

قال له راغب باشا : لأمانتك . فقال عرابى : ـ وكيف ذلك وهم لا يعرفوننى ؟

فقال راغب باشا : انهم سألوا عنك وعرفوك .. وفى الحقيقة أن الحكومة كانت تداينت من البنكين المذكورين بنصف مليون جنيه مصرى لسداد أقساط دين بنك (روتشيلد) على أن يتسلما سبعمائة ألف اردب من غلال جميع مديريات الوجه القبلى من الفيوم الى قنا واسنا (بدعوى أن هذا الدين بضمانة الحكومة على الأهالى) وما كان انتخاب أحمد عرابى لتأدية تلك المهمة من الأهالى حقيقة بل كانت رغبة من الخديوى لابعاده عن مركز الآلاى . كما صار ابعاد الروبى الى المنصورة . والنادى الى الاسكندرية فتوجه عرابى الى الاسكندرية وأنجز المطلوب بكل أمانة واستقامة حتى اعجب به مديرا المصرفين المذكورين بشدة تمسكه بالعدل والانصاف . وارتاحا الى ما قام به عرابى من الاستلام والتسليم .

وقد توفر للحكومة عشرون ألف أردب فرق كيل وفرق معدلات. ولو شاء لأغمض عينيه وسلم الرسائل كما وردت لمخازن التجار وربح ما يساوى قيمة الوفر أو ما يقرب من ذلك . ولكن الشرف لا يعادل بمال ولا يقدر بمقدار .. وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سمعوا ضرب المدافع بالاسكندرية اعلانا بعزل اسماعيل وولاية توفيق باشا على الأريكة الخديوية .

ويكفى هنا أن اقول أن عهد اسماعيل كان من أسوأ العهود وأظلمها وأكثرها احجافا للمصريين عامة ولأحمد عرابى خاصة . فقد تحمل أحمد عرابى مدة ولاية اسماعيل الجائرة بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ويظهر هذا جليا فى أن صغار الضباط الذين كانوا تحت ادارة أحمد عرابى فى عهد اسماعيل وسعيد من قبله قد رقوا الى رتبة الأميرالاى وبعضهم الى رتبة لواء وبعضهم الى رتبة فريق لا بعلم علموه دون أحمد عرابى ولا بفهم خارق للعادة ولا بشجاعة أبرزوها فى ميادين القتال ولكن لكونهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية فاصطفاهم الخديوى بالرتب والنياشين والجوارى الحسان والأراضى الواسعة الخصبة والبيوت الرحية وحباهم بالأموال والحلى من دم المصريين وعرقهم . أما أحمد عرابى فبقى تسعة عشر عاما بلا ترقية لأنه ابن مصر وابن شعب لم يعرف القنوط واليأس .

وبذلك نرى أن بعض المخادعين قد انكشف القناع عن افتراءاتهم وخداعهم وتضليلهم حين ذكروا أن عرابى أقسم على الدفاع عن الخديوى اسماعيل !

ولكن قيل عنه ذلك لتشويه الحقائق . فألزموا صاحب تاريخ (مصر للمصريين) « سليم النقاش » أن يخلط مفترياتهم وبهتانهم بحقائق كتابه على غير ارادة منه . فجاء كتابا مشوها فيه الغث

والثمين والصدق والكذب ولكن الحق ظاهر وله أعلام والباطل بين وله أعلام . ويستـــطيع كل عاقل منصف أن يفهم اذا قرأ من عباراته ولا يعبأ بما يجده من الاكاذيب والأباطيل . فانها ما وضعت الا ارضاء لذوى النفوذ من خصوم عرابى حلفـاء الظلم والجور ونصراء الاستبداد ..

نهاية عهد إسماعيل

ونعود من جديد الى ما وقفنا عليه حين ضربت المدافع اعلانا بعزل اسماعيل وولاية توفيق .

فقد سافر الخـــديوى السابق اسماعيل من القـــاهرة الى الاسكندرية فى ١٢ رجب ســنة ١٢٩٦ هـ حيث أقلته البـاخرة « المحروسة » الى نابولى « بايطاليا » وكان معه أوراق مالية « بون » بمبلغ ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات كما صرح بذلك ابنه توفيق بحضور عرابى وحضور خيرى باشـــا رئيس الديوان الخديوى والشـيخ عبد الرحمن الابيارى أمام المعية فى أثنـــاء تناول طعام الافطار على المائدة الخديوية فى شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ اذ قال توفيق : ــ ياليته ترك للحكومة ولو ستة ملايين لاصـــلاح شأنها » .

وانني حين اذكر هــذه الحـادثة أحب ان اضيف الى تلك القصــة الخالدة بعض المواقف التى يجب على اخوانى وأبنـاء وطنى معرفتها ليعطوا التاريخ حقه .

ان اسماعيل برغم جشعه العظيم الا أن القليل من اخوانى ابناء شعب مصر وربما شـعوب الدول العربية قد لا يعرف أن اســـماعيل حين باع حصص الحكومة فى قنـاة السويس سرا للحكومة الانجليزية بمبلغ زهيد قدره اربعة ملايين جنيه ولو أنه

عرض بيعها على الدول الأوربية لبلغ ثمنها ما ينيف على خمسين مليونا من غير مبالغة . وكان سبب بيع حصص الحكومة فى قنال السويس هو الحملة الحبشية ، التى لم يصرف عليها من قيمة تلك الحصص درهما واحدا ، بل استأثر بها لنفسه سلبا ونهبا . ويكفى ما جاء على لسان ابنه توفيق فى مأدبة الافطار المذكورة لاظهار الحق واخراجه من براثن الباطل .. كما يسعدنى كثيرا أن أقدم صورة قد تكون خالدة فى ذهن الكتاب والمؤرخين الذين اطلعوا على تاريخ عهد اسماعيل .. فانه قبل أن تقله الباخرة المحروسة الى نابولى ، وقف الخديوى توفيق مودعا والده وعيناه مغرورقتان بالدموع فعانقه والده اسماعيل ثم قال له :

(لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديويا على مصر . فأوصيك باخوتك وسائر الآل برا . واعلم أنى مسافر وبودى لو استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن توجب لك الارتباك ، على أنى واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأى ذوى شوراك وكن أسعد حالا من أبيك) .

ثم ركب الزورق المعد له وتبعته زوارق المشيعين الى أن صعد فوق السفينة المحروسة وهنا نظر الى الثغر نظرة المودع الآسف فغلبه الدمع فبكى وأبكى كل من كان معه من انجاله وآل بيته .

ومن غريب الأقدار أن مصطفى فهمى باشا قد انتدبه الخديوى اسماعيل لمرافقة اسماعيل باشا صديق حين سفره الى « دنقلة » فى سفينة بخارية بطريق النيل . فاصطحب معه « رفاصا » بخاريا آخر عند وصوله الى المعصرة وودعه ورجع الى القاهرة متأثرا مدهوشا من ذلك الظلم الذى تم بقتل الرجل خنقا بلا تحقيق ولا بحث ولما أذنت ساعة رحيل الخديوى اسماعيل من

مصر شيعه أيضا مصطفى فهمى باشا كذلك فى رفاص بخارى حتى وصل الى باب البوغاز ثم رجع بعد تأدية واجب الوداع لمولاه !

وذلك سوف نرى من الأحداث مدى انحلال عروة الحكومة بتقديم وزارة راغب باشـــا اســـتعفاءها وقبول الخديوى لهـذا الاستعفاء وتم تشكيل الوزارة الجديدة كالآتى :

١ ـ محمد شريف باشا « رئيسا للوزارة والداخلية والخارجية »

٢ ـ اسماعيل أيوب باشا « للمالية »

٣ ـ عثمان رفقى باشا « للجهادية »

٤ ـ مصطفى فهمى باشا « للأشغال »

٥ ـ محمود سامى باشا البارودى « للمعارف »

٦ ـ مراد حلمى باشا « للحقانية » .

ويكتمل بذلك التشكيل الجديد للوزارة المختارة . وكان من أول أعمالها اجتماع مجلس النظار لتعيين رواتب الخديوى وأهل بيته على الوجه الآتى :

١٠٠٠٠٠	للخديوى
٣٥٠٠٠	لوالدته
٢٠٠٠٠	لزوجته
٣٠٠٠٠	للخديوى السابق
٢٥٠٠٠	لزوجته
٣٦٠٠٠	لزوجاته الباقيات بمصر
١٨٠٠٠	لتوحيدة هانم
١٨٠٠٠	لحسين باشا كامل
١٨٠٠٠	لحسين اسماعيل
٣٠٠٠٠٠	ثلاثمائة ألف جنيه اجمالى المرتبات للخديوى وأسرته .

وبعد أن تم انعقاد مجلس النظار وقرر ما قرر فى أول انعقاد له كالموضح بعاليه ، ورد من باريس تلغراف فى شهر يونيو سنة ١٨٧٩ ينبىء بأن الباب العالى أرسل الى دول أوربا منشورا يبين فيه تنازل اسماعيل باشا وكيفيته والغاء الفرمان الصادر سنة ١٨٧٣ ، ويؤكد مع ذلك أنه عازم على أن يحفظ لمصر مالها من الامتيازات الخاصة بالاستقلال الادارى . فأوجس أولياء مصر من هذا الأمر خيفة . واختلفت فيه أقوالهم حتى ورد بالتلغراف ثانيا أن الدول اتفقت على معارضة منشور الباب العالى باثبات ذلك الفرمان وتأييد ما منح من الحقوق والامتيازات للحكومة المصرية . فأيقن الناس أن الدولة العلية ستعدل هذا القصد . ثم ورد تلغراف آخر يفيد بأن الباب العالى أصدر منشورا ثانيا يتعلق بفرمان سنة ١٨٧٣ م حاصلة أن السلطان رأى أن يثبت لخديوى مصر الحقوق والامتيازات الممنوحة فى ذلك الفرمان لا بواسطة الدول ولكن من تلقاء نفسه .

وبعد ذلك وصل تلغراف آخر من الآستانة يقول أنه لم يقرر السلطان أحكام الفرمان المذكور فى الفرمان الذى سيبعث به الى الخديوى الجديد يتعين على انجلترا وفرنسا اذ ذاك أن تطلبا الاستقلال التام للحكومة المصرية . ثم وصل تلغراف من باريس أيضا أن انجلترا وفرنسا تمهلان الباب العالى فى ابلاغ صورة الفرمان لهما الا يوم الاثنين وهو الفرمان المثبت لخديوية توفيق باشا . فاذا مضت هذه المهلة ولم يبلغهما الفرمان فانهما تغرمان على المناداة باستقلال مصر . ثم ورد تلغراف من لندرة فى أغسطس ١٨٧٩ م بأن السير « لايارد » والمسيو « أفرين » سفيرى انجلترا وفرنسا فى الآستانة طلبا من الباب العالى أن يعرض تولية توفيق باشا على الدول لكى يكون بمثابة معاهدة دولية ، وأنه فى عزم انجلترا وفرنسا أن تضعا قضايا الفرمان المتعلقة بتوريد حقوق

الباب العالى موضع البحث وأن ترفضا كل ما من شأنه أن يخالف سلطة السلطان أو يناقض المعاهدات السالفة . ثم ورد تلغراف من لندن فى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ يفيد بأنه كتب من الآستانة أن فؤاد بك مسافر منها الى القاهرة غداة غد ليسلم فرمان التثبيت الى توفيق باشا . وفى صبيحة يوم الاثنين ١١ أغسطس سنة ١٨٧٩ الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ حضر الخديوى الى القاهرة ومعه وزراؤه ما عدا شريف باشا الذى تخلف فى الاسكندرية لاستقبال الفرمان وحامله . ليشهدوا جميعا تلاوة الفرمان السلطانى فى سراى القلعة .

ولاية الخديوى توفيق

وفى الساعة الثانية عشرة من صباح الخميس ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ انتظم موكب الفرمان . وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة أطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الفرمان وحامله على بك فؤاد . فاستقبله النظار حتى دخل القاعة ثم لبس طلعت باشا « كركا » وتناول الفرمان فصعد به على كرسى وتلاه . ولما فرغ من تلاوته دخل الخديوى قاعة التشريفات فوفد عليه المهنئون . وفى الساعة الرابعة قام الخديوى وتبعه النظار فعزفت الموسيقى الأنغام المألوفة وبدأت تنطلق المدافع تعظيما له واجلالا وتهنئة لتوليه منصبه واعتلائه كرسى الخديوى المعظم .

وبعد ذلك شرعت وزارة شريف فى توجيه عنايتها الى تسوية الدين السائر وغيره على وجه يضمن للدائنين حقوقهم ويحفظ مصلحة الحكومة فوالت انعقاد جلساتها لهذه الغاية . وقد قررت فى جلسة من جلساتها رفع مشروع تأسيس حكومة دستورية شورية

الى الخديوى تنفيذا لأمره الصادر فى ١٤ رجب سنة ١٢٩٦ هـ كما تقرر أنه اذا رفض الخديوى هذا المشروع وتنفيذه استعفى الجميع من مناصبهم جميعا على ألا يقبل أحـد منهم الانتظام فى وزارة أخرى تفضل الحكومة المطلقة على الحكومة الدستورية . وفعلا رفع المشروع ورفضه الخديوى بحجة عدم موافقة قنصلى انجلترا وفرنسا . فاستعفت الوزارة وقبل الخديوى استعفاءها .

توفيق خديويًا ورئيسًا للوزارة

وبعد ذلك تم تشكيل الوزارة الجديدة على النحو التالى : ـ

١ ـ ذو الفقار باشا « للحقانية والداخلية »
٢ ـ مصطفى فهمى باشا « للخارجية »
٣ ـ حيدر باشا « للمالية »
٤ ـ عثمان رفقى باشا « للجهادية »
٥ ـ على ابراهيم باشا « للمعارف »
٦ ـ محمد مرعشلى باشا « للأوقاف »
٧ ـ محمود سامى البارودى باشا « للأشغال »

أما رئاسة هذه الوزارة فكانت للخديوى . ولقد كان فراغ نظارة الداخلية على أهميتها موجبا للظنون المختلفة والآراء المتنوعة ثم أرسل الخديوى الى رياض باشا برقية عاجلة لعودته الى مصر على أول باخرة . وما أن وصلت البرقية الى رياض باشا حتى أسرع بالحضور ووصل الى الاسكندرية فى ٣ سبتمبر ١٨٧٩ .

ومنها الى القـــاهرة وتوجه فورا لمقابلة الخديوى . وفى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ صدر أمر الخديوى الى رياض باشـا بتأليف وزارة جديدة بعد أن قدم الوزراء استعفاءهم ووافق الخديوى عليه .

وبقى لنا أن نعرف أنه فى اليـــوم التالى لعودة رياض باشا ووصوله الى الاسكندرية أى فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩ أصـــدر الخديوى أمرا باعادة تعيين المستر « بارنج » والمسيو « دى بلينير » مفتشين . ولما عين رياض باشا رئيسا لمجلس النظار أصدر اليهما اعلانا على صورة ترجمة الخطاب الصادر من الخديوى اسماعيل للمستر « ولسن » حين كان نائبا لرئيس لجنة التفتيش باستحسان التقرير المقدم من تلك اللجنة .

وقد رفعت الوزارة الى الخديوى لائحة منطوية على بيان تدبير جديد لتسوية مشكلة الدين السائر ثم صدر فى ١٥ أبريل ١٨٨٠ قانون التصفية الدولية المصرية وهو يتناول تنظيم الديون وكيفية سدادها وهى الدين الممتاز والموحد ودين الدائرة السنية والدين السائر وكل هذه الديون كانت معروفة للجميع فى ذلك الوقت . وعلينا أن نعرف أيضا أن عرابى الذى حرم من الترقى فى عهـــد « اسماعيل » ظفر برتبة أميرالاى فى عهد « توفيق » حينما ســافر توفيق بعد توليه منصبه الى الاسكندرية . واختار عرابى ليكون ياورا له من ضمن ياورانه وأميرا على الآلاى البيادة الرابع الكائن مركزه اذ ذاك بالعباسية بالقاهرة . وكان عثمان رفقى وقتئذ ناظرا للجهادية وهو كما عرفنا سابقا رجلا جاهلا متعصبا لجنسه ، غافلا عما ينتج من سياســة التفريق والاستخفاف بالعنصر الوطنى من احراج الصدور . فسولت له نفسه أن يمنع ترقى العاملين فى الآلايات تحت السلاح . ثم شرع فعلا فى سن قانون فحواه الحكم بعدم الترقى من تحت السلاح وصدرت أوامره بذلك ليتمكن من النكاية بأبنــاء الوطن وحرمانهم من الرتب وجعلهم أنفـــارا تحت سلطان الترك والجركس . ويكون لهؤلاء الترك والجركس الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من الارتقاء الى الدرجات السامية والرتب الشريفة .

ثم أصدر أمرا ثانيا باحالة عبد العـــال بك حلمى أميرالاى

الآلاى السودانى الى ديوان الجهادية ليكون معاونا فيه وكان عمره اذ ذاك أربعين عاما • وعين خورشيد بك نعمان بدلا منه لكونه من جنسه الجركسى وكان يبلغ الخامسة والستين من عمره وهو ضعيف لا قدرة له على الحركات العسكرية • وأصدر أمرا آخر بفصل أحمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى وكان فى الأربعين أيضـــا وأقام مكانه ضابطا آخر جركسيا • وفى ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ هـ دعى عرابى الى وليمة بمنزل نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج ، ولما وصل الى المنزل وجده غاصـــا بأمراء الجيش وغيرهم • فجلس بجوار محمـــد بك نجيب الجريدلى وكان بجانبه اسماعيل باشا كامل الفريق وهو جركسى الأصل ولكنه يتظـــاهر بحب العدل والانصاف • فأفضى الباشا الى نجيب بك بما صار من طيش ناظر الجهادية • وأنه نصح له بأن يعرض عن ذلك الاجحاف الظاهر • فلم يصغ اليه • فأخبر محمـــد بك نجيب أحمد عرابى همسا فى أذنه وكان يجهل قبل ذلك تلك الأوامر الظالمة • فقال عرابى لاسماعيل باشا كامل : ــ « أحق هذا » ؟

فقال : ــ « نعم وقد سـلمت الأوامر الى الكتاب للعمـــل بمقتضاها » •

فقال عرابى : ــ « ان هذه لقمة كبيرة لا يقوى عثمان رفقى على هضمها » •

وبعد تناول الطعام وصل ضابط وأخبر عرابى بأن كثيرين من الضباط ينتظرونه بمنزله فتوجه اليهم فى الحال • فوجد من ضمنهم عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى والبكباشى محمد أفندى عبيد من الآلاى المذكور • والبكباشى خضر أفندى من نفس الآلاى وعلى بك فهمى أميرالاى الحرس الخديوى بقشـــلاق عابدين • والبكباشى ألفى أفندى يوسف من الآلاى الرابع البيادة حكمدارية عرابى • والقائمقام أحمد بك عبد الغفـــار من الآلاى

السوارى وغيرهم • وكانوا جميعا فى هياج عظيم • اذ بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم • فلما رأوا عرابى أفضوا اليه بما كان قد سمعه من قبل من نجيب بك واسماعيل باشا كامل •

فقال عرابى لهم : « قد سمعت هذا من غيركم فماذا تريدون ؟

قالوا : ـ « وليس الأمر كذلك فقط بل أنه قد كثر اجتماع العنصر الجركسى فى منزل « خسرو باشا الفريق » وهم يتذاكرون التاريخ لدولة المماليك فى كل ليلة بحضور عثمان رفقى • ويلعنون خيرى بك لتسليمه واذعانه للسلطان سليم ويقولون أنه قد حان الوقت لرد بضاعتهم اليهم وأنهم لا يغلبون من قلة وظنوا أنهم يملكون مصر ويستبدون بها • كما فعل أولئك المماليك من قبلهم• ثم عقب الضباط بأنهم تحققوا من صدق تلك الأنباء ممن يوثق بخبره ••

فقال عرابى : ـ « وماذا تريدون اذن ؟ ••

قالوا : ـ « انما جئناك لنرى رأيك » •

فقال : ـ « رأيى أن تتريثوا وتهدئوا من روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا اليهم النظر فى مصالحكم • وهم يتخذون من بينهم رئيسا لهم يثقون به كل الثقة ويسمعون قوله ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتهم اذا أرادت الحكومة به شرا » •

فقالوا : انا فوضناك وفوضنا اليك الأمر • فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك » •

فقال : ـ « كلا • بل أنظروا غيرى وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له جهدى »

فقالوا : ـ « انا لا نبغى غيرك ولا نثق الا بك » •

فأبان لهم عرابى أن الأمر عصيب ولا يسع الحكومة الا قتل من يتصدى له •

فقالوا لعرابى : — «انا نفديك ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا».
فقال عرابى : — « أقسموا الى أذن على ذلك » .. فأقسموا جميعهم .

عريضة الضباط الأحرار

وفى الحال كتب عرابى عريضة الى رئيس النظار مصطفى رياض باشا . يشكو من تعصب عثمان رفقى لجنسه واجحافه بحقوق الوطنيين وطلب فيها الآتى : —

أولا : عزل ناظر الجهادية المذكور . وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا بالقانون الذى بأيديهم .

ثانيا : تأليف مجلس نواب من أبناء الأمة تنفيذا للأمر الخديوى الصادر عقب ارتقائه الأريكة الخديوية .

ثالثا : زيادة الجيش العامل الى ١٨٫٠٠٠ تطبيقا للفرمان السلطانى .

رابعا : تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب .

ثم قرأ عرابى العريضة على مسامع الحاضرين فوافقوا عليها وأمضاها بختمه وختم على بك فهمى وعبد العال بك حلمى وبعد ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الخديوى وعائلته والوزراء اذا حدث أى حادث من الضباط الجراكسة ، مع ترتيب ما يلزم لحفظ البنوك وبيوت التجار الأجانب والوطنيين من مطامع الرعاع ، وكذلك ما يلزم لحفظه وحفظ زملائه من الضباط الأحرار من بطش الحكومة اذا أرادت الايقاع بهم . ثم انتهى الاجتماع على ذلك .

وفى اليوم التالى لذلك اليوم ، ذهب عرابى الى ديوان الداخلية ومعه رفيقاه على بك فهمى وعبد العال بك حلمى • وقدموا العريضة المذكورة الى وكيل الداخلية خليل باشا يكن وطلبوا منه عرضها على رئيس النظار رياض باشا • فذهب اليه ثم عاد وأخبرهم بأن الرئيس يريد أن يراهم • فلما قابلوه طيب خاطرهم وقال بأنه سينظر فى الأمر • وبعد أسبوع ذهبوا الى بيت الرئيس وسألوه عما تم فى أمر عريضتهم فأجابهم قائلا : ـ

« ان أمر هذه العريضة مهلك وهى أشد خطراً من عريضة أحمد فنى الذى أرسل الى السودان « وأحمد فنى هذا كان كاتبا بديوان المالية • طلب المساواة مع غيره من خدم الديوان المذكور فعوقب بارساله الى السودان حيث توفى هناك » ••

فقال له عرابى : (اننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس فى طلب الحق من خطر) واننا لنعتبرك أبا للمصريين فما هذا التلويح والتخويف ؟

فقال الرئيس : ـ « ليس فى البلاد من هو أهل لأن يكون عضوا فى مجلس النواب » •

فقال عرابى : ـ « انك مصرى وباقى النظار مصريون والخديوى أيضا مصرى • أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت ؟ ••

كلا !! فان فيها العلماء والحكماء والنبهاء ، وعلى فرض أن ليس فيها من يليق لأن يكون عضوا فى مجلس النواب أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد من معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية تخرج لنا بعد خمسة أعوام رجالا يخدمون الوطن بصائب فكرهم • ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية ؟ •• « فدهش الرئيس وكانما كبرلديه ما سمع • ثم قال : ـ « سننظر بدقة فى طلباتكم هذه » فانصرفوا على ذلك •

وفى غرة ربيع أول ١٢٩٨ هـ انعقد بعابدين مجلس تحت

رئاسة الخديوى حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين من الترك والجركس ، وقرروا فيه ايقاف عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى الذين وقعوا على العريضة آنفة الذكر ومحاكمتهم أمام مجلس فوق العادة • فلاحظ رئيس النظار رياض باشا أنه اذا صار ايقافهم وجب ايقاف ناظر الجهادية أيضا والا تفاقم الخطر وخيفت النتائج • ولكن الخديوى لم يوافق على ذلك وقال :

« ان ناظر الجهادية يضمن حفظ النظـــام » • فأكد ناظر الجهادية استعداده لحفظ الأمن والنظام والقبض عليهم بسهولة • ثم دعى أحمد خيرى باشــا رئيس الديوان الخديوى وتلا بالمجلس أمرا مضمونه : ـ « أن الأمراء الثلاثة أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى مفسدون وأنه لذلك يقتضى ايقافهم من الخدمة ومحاكمتهم على أفسادهم ومجازاتهم بالعقاب الصارم فى مجلس عســكرى فوق العادة ، تحت رئاسة ناظر الجهادية ويكون من أعضائه « أســتون باشا » رئيس أركان حرب وهو أمريكى و « لارمى باشــا » ناظر الجهادية وهو فرنسى وغيرهما من الباشوات والجركس فوقع عليه الخديوى وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان رفقى • ثم انفض المجلس •

المؤامرة الجركسية فى قصر النيل

وفى مساء ذلك اليوم أرسل ناظر الجهادية تذاكر يدعو فيها الضباط الثلاثة أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى صباح يوم ٢ ربيع أول ١٢٩٨هـ للاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الخديوى • فأدرك الزعمـــاء الثلاثة أنه يريد أن يخدعهم ويبطش بهم كما فعل محمد على بأمراء المماليك فى القلعة اذ لم يكن قد حان بعد الزفاف المحكى عنه • فكانت تلك الحيلة سابقة لأوانها ولذلك آخذوا حذرهم وهيـــأوا

ما يلزم لنجاتهم. ثم ذهبوا فى الوقت المعين الى ديوان الجهادية بقصر النيل ووجدوه غاصا بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها الى رتبة فريق • وكانت فى أيدى شبانهم الطبنجات وكلهم فى فرح ومرح • وهنا انعقد المجلس المؤلف من الباشوات السابق ذكرهم وتلى عليهم الأمر الخديوى المؤذن بايقاف عرابى ورفيقيه ومحاكمتهم ثم نزعت سيوفهم عنهم وساقوهم الى السجن فى قاعة بقصر النيل • وكان مرورهم بين صفين من الضباط الجركس المسلحين بالطبنجات ثم مر خسرو باشا كبير الجراكسة بباب السجن وصار يهزأ بهم ويسخر منهم قائلا : — « أيه زمبللى هرف لر » يعنى فلاحين شغالين بالمقاطف « احتقارا للمصريين » ولما أقفل عليهم باب الغرفة تأوه على فهمى رفيق عرابى وقال : — «لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار» ثم اشتد جزعه وكاد يلقى بنفسه فى النيل من نافذة الغرفة ولكن شجعه عرابى متمثلا بقول الامام الشافعى رضى الله عنه : —

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منهـا المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وما أن أتم عرابى مثل الامام الشافعى رضى الله عنه ، حتى جاءت أورطتان من آلاى الحرس الخديوى وأحدق رجالهما بديوان الجهادية وأسرع بعض الضباط والعساكر فأخرجوهم من سجنهم • ففر ناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين وقصدوا جميعا سراى عابدين • ولما أفرج الله عنهم أسرع العسـاكر وأخذوا أماكنهم استعدادا للتنكيل بكل من يقع فى أيديهم من الجراكسة • فأسرع عرابى وتوجه اليهم ورجاهم وحذرهم وتوسـل اليهم بألا يمدوا أيديهم بسوء الى أحد من الجراكسة ولا الى غيرهم من الضـباط لأنهم اخوانهم • ذلك لأن عرابى وزملاءه لا يريدون الا النصـفة والمساواة • ونظر عرابى فاذا بجانبه اسماعيل باشا كامل فعانقه عرابى ، حينما حاول أن يلقى بنفسه من نافذة قاصدا الانتحار خوفا من العاقبة • ثم قال عرابى : —

« ان هذا الباشا الجركسى حقا أنه جركسى ، ولكنه أخى حرام علينا دمه وماله وعرضه وكذلك غيره من الجراكسة فانصرفوا على بركة الله تعالى الى مراكزكم » .. فانصرفوا طائعين .

بقى لنا أن نعرف كيفية خروج أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى من السجن .

فبعد أن سجن عرابى وزميلاه عين ناظر الجهادية ثلاثة من أمراء الآلايات بدلا منهم وأرسل معهم ثلاثة من اللواءات (باشوات) لتسليمهم الآلايات التى كانت تحت امرة عرابى وزميليه . فعين الأميرالاى محمود بك طاهر للآلاى الرابع بدلا من عرابى . وكان معه اللواء طه باشا لطفى لأجل تسليمه الآلاى المذكور على مقتضى أحوال الجيش . وعين الأميرالاى خورشيد بك نعمان أميرا للآلاى السودانى بدلا من عبد العال حلمى . وكان خورشيد باشا طاهر معه لتسليمه الآلاى المذكور . وعين الفريق راشد باشا حسنى لتسليم آلاى الحرس الخديوى الى القائمقام خورشيد بك بدلا من على فهمى . وعندما علم ضباط آلاى الحرس الخديوى بما لحق بعرابى وزميليه من الاهانة والسجن وتعيين غيرهم بدلا منهم هاجوا وماجوا وفى الحال أمر محمد أفندى عبيد البكباشى بضرب نوبة طابور للعساكر . فاعترضه خورشيد بك بسمى القائمقام المعين حديثا وهدده بقطع رأسه وقال : —

« أنا أمير الآلاى » . فلم يلتفت اليه محمد عبيد وأمر بعض العساكر بوضعه تحت الحفظ . وكان الجنود قد اصطفوا تحت السلاح فأخذهم وقصد قصر النيل لانقاذ الزعماء الثلاثة من السجن . فاعترضه أيضا راشد باشا حسنى « الفريق » فلم يجد ذلك نفعا . وكان الخديوى مشرفا على العساكر من شرفة « السلاملك » فأمر بروجى قرة قول السراى » بأن يضرب نوبة حضور الضباط عند الخديوى . فلم يذهب اليه أحد ووقفت الأورطه الأولى حكمدارية أحمد أفندى فرج فى ساحة عابدين ومعها بيرق الآلاى وكان وقوفها

فى هيئة طابور لأجل حفظ الخديوى مما عسى أن يطرأ من الأمور. واستمرت الأورطتان الأخريان فى سيرهما الى أن وصلتا الى قصر النيل فأصـــدر البكباشى محمد أفندى عبيد أمره الى حكمدارية الأورطه الثالثة وحكمدارها على أفندى عيسى البكباشى بأن يذهب بأورطته الى الجهة الخلفية من قصر النيل وذهب هو بأورطته الى الجهة الأمامية . ثم عين فرقة من العساكر لاقتحام الديوان الذى أوصدت أبوابه ومنافذه للبحث عن الزعماء الثلاثة واخراجهم من السجن . فوقع الرعب فى قلوب أمراء الجهادية الموجودين بالديوان وأعضاء المجلس المعينين لمحاكمتهم من الأوربيين والجركس . وطلب كل منهم النجاة لنفسه وفى جملتهم عثمان رفقى ناظر الجهـــادية الجركسى . وهكذا كان الشكر والفخر للبطل الشجاع المقدام محمد أفندى عبيد الذى كان انقاذهم من الهلاك على يديه والبطل المقــدام على أفنـــدم عيسى البكباشى ، والوطنى الغيور أحمد أفندى فرج البكباشى ولجميع ضباط آلاى الحرس الخديوى وعســـاكره الذين خلدوا لهم ذكرا جميــلا . وكذلك الشـــهم الهمام والبطل المقــدام البكباشى خضر أفندى خضر فانه ما كاد يسمع بأمر سجن الزعمـــاء الثلاثة عند حضور خورشيد باشا طاهر والأميرالاى الجديد خورشيد بك نعمان وأحمد بك حمدى الياور الخديوى لأجل تســـليم الآلاى السودانى الى خورشيد نعمان بدلا من عبد العال حلمى حتى انتظر جلوسهم فى المحل المخصص لاقامة القائمقام فرج بك « الدكر » ثم قام من المجلس وأحضر بلوكا من العساكر وجعلهم خفراء على الأمراء المذكورين وأمر بألا يسمح لأحد منهم بالخروج من مكانه مطلقا . ثم أمر بعد ذلك بضرب نوبة طابور فخرج الآلاى الى الميدان ولما تم انتظامه أخبر الضباط والصف ضباط والعساكر بما صار من سجن الزعماء الثلاثة واهانتهم . فأججت نيران الغيرة فى صـــدورهم وطلبوا أن يسرع بهم لانقاذ عرابى وزميليه من السجن قبل فوات الأوان وتفـــاقم الأمر . فأسرع بهم وهو فى مقدمتهم من « طره »

قاصدين قصر النيل . وأما البكباشي ألفي أفندي يوسف فانه نكث بعهده الذى عاهدهم عليه من أول يوم فلم يعد الى بيته الا بعد أن ذهب خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وأخبره بما تقرر بينه وبين عرابى وصحبه فى اجتماعهم الأول . وكذلك آخبر على باشا مبارك بكل ما تم الاتفاق عليه بينهم .

وعندما توجه طاهر باشا لطفى ومحمود بك طاهر الى العباسية لتسلمهم الآلاى الرابع حكمدارية أحمد عرابى لم يقم الألفى يوسف هذا بما أقسم عليه بل نكص على عقبيه وحنث فى يمينه جبنا وخيانة كما غدر وحنث فى يمينه محمود طاهر المذكور حين عاهدهم على طلب الاصلاح قبل حادثة قصر النيل .

وبعد أن خرج الزعماء الثلاثة من السجن فر ناظر الجهادية عثمان رفقى وجيع أمراء الجراكسة وأعضاء المجلس السابق ذكرهم الى سراى عابدين ليجتمعوا بالخديوى بعد أن أحبطت وطنية الجند مكرهم . ولما استقربهم المقام تشاوروا فى الأمر فقال أستون باشا الأمريكى :

ان ما حصــل من آلاى الحرس يعتبر تمردا عســكريا . ومن الواجب حصره بالطوبجية والبيادة .

وأمر ضباطه بتسليم الأمراء الثلاثة الذين قبض عليهم ازاء ما حدث للزعماء الثلاثة أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى . فان أبو اطلاق سراحهم . تطلق المدافع على ضــباط آلاى الحرس حتى يضطروا للتسليم . فاستحسن الجميع ذلك الرأى الا اسماعيل باشا كامل الفريق فانه عارضه قائلا :

انى أعتقد أن جميع الآلايات البيادة والطوبجية والسوارى على رأى واحد فلن يجدى هذا الكلام نفعا .

فقال الجنرال أستون :

اذا كان الأمر كذلك فالآلاى الســـودانى يكفى لاكراه آلاى الحرس على التسليم .

فعارضه اسماعيل باشا كامل ثانية بقوله :

ان آلاى السودان أشد تحمسا من باقى الآلايات .

فلما ســمع الخـــديوى معارضة اسماعيل باشا كامل غضب غضــبا شديدا وأمر خورشيد باشا طاهر تلغرافيا باحضـــار الآلاى السودانى من « طره » بغاية السرعة وتكون معه الجبخانة اللازمة . فجاءه الرد من ناظر المحطة بطره بأن البكباشى خضر أفندى خضر ألقى فى السجن كلا من خورشيد طاهر وخورشــيد نعمان وأحمد حمدى والقائمقام فرج « الدكر » وصرف الجبخانة اللازمة للعساكر ثم قام بهم من مدة ساعة بخطوة سريعة بطريق البحر قاصدا قصر النيل لاخراج الزعماء الثلاثة أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى .

وهنا تحقق الخديوى من صدق اسماعيل باشا كامل ووجاهة اعتراضه وعمت الدهشة جميع الحاضرين . ثم أمر الخديوى بارسال بعض الياوران لمقابلة البكباشى خضر أفندى خضر واخبـــاره بأن الزعماء الثلاثة خرجوا من الســـجن وابلاغه أمر الخديوى القاضى برجوعه بالآلاى من حيث جاء ، وضرورة اخلاء سبيل الأمراء الذين سجنهم بطره ولما قابله رسل الخديوى قال لهم : ــ « **انى لا أعود الا بعد أن أراهم بعينى رأسى** » .

فعرضوا عليه أن يكافئه الخديوى بالمـــال والرتب العالية اذا هـــو سمع ورجع . وأنذروه بكل عقاب اذا هو أبى ، فلم يصغ اليهم .

مظاهرة عابـدين الأولى

واستمر فى سيره حتى وصل الى ساحة عابدين . فاستقبله آلاى الحرس المذكور بالتنظيم العسكرى وهو حامل السلاح . وأما الزعماء الثلاثة أحمد عرابى وزميلاه فكانوا موجودين فى مركز الآلاى المذكور وتقدم البطل يوسف افندى فهمى اللازم وغيره ذهبوا الى قشلاق عابدين ، وجمع عرابى الضباط وصف الضباط والجنود والقى عليهم كلمة أوصاهم فيها بملازمة الهدوء والسكينة وقال لهم عرابى :

«اننا لانطلب الا العدل والمساواة مع اخواننا الجراكسة والأتراك وألا يكون المصرى محتقرا فى نظر الأجناس الأخرى ونريد كذلك مجلسا نيابيا لحفظ حقوق آبائنا واخواننا وابنائنا من ظلم المستبدين الظالمين ، وأن تنقح القوانين العسكرية حتى تكون كافلة للمساواة فى الترقيات والمكافآت ، وزيادة المرتبات والماهيات التى قضى عليها ثمانون عاما ومرتب النفر العسكرى فيها لايزيد على ١٩٫/ قرش شهريا وفيهم من له زوجة وأولاد يتضورون جوعا لسوء حظ عائلهم» .

ثم كتب عرابى الى وكيل دولة فرنسا السياسى البارون « دورنج » وكان عرابى لا يعرف اسمه ولا اسم غيره من وكلاء الدول المتحابة ، راجيا أن يخبر عنه جميع وكلاء الدول وخصوصا قنصل جنرال دولة انجلترا بأنه قد حدث خلاف بينهم وبين حكومتهم ، وانهم يأملون منهم التوسط لاصلاح ذات البين ، وأمضوا بعد ذلك ليلتهم فى القشلاق وهم فى منتهى اليقظة والاحتراس . وأما القناصل فقد ذهبوا الى عابدين وأشاروا على الخديوى باجابة طلبات عرابى وزميليه حسما للنزاع ومنعا من وقوع مايخشى عواقبه ، وذلك بناء على أن الحكومة عاجزة تماما عن تنفيذأغراضها

فى عرابى وزميليه . وفى صباح ٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ الموافق ٢ فبراير سنة ١٨٨١ م ، ذهب جميع الباشوات الى الخديوى وتشاوروا فى أمر تلك الأزمة وذلك النزاع فقال ناظر الأوقاف محمود باشا سامى البارودى :

انى أرى العساكر على الطاعة بدليل هتافهم باسم الخديوى، وأن الموسيقى تعزف بالسلام الخديوى ، فلو أجيبت طلباتهم لمرت المسألة بسلام وانتهى النزاع بين الحكومة وبين عرابى وزميليه والجيش .

وبناء على ذلك تقرر تعيين محمود سامى البارودى وخيرى باشا رئيس الديوان الخديوى لمفاوضة عرابى فيما يلزم من الاصلاح . فحضرا وسألاهم عما يريدون . فأجابهم عرابى وزميلاه بأنهم على الطاعة ولايريدون الا الاصلاح . فقال خيرى باشا : ــ «وماهو الاصلاح ؟ ..» فقالوا : هو ماأوضحناه بعريضتنا . ورغبتنا هى أن يبدأ بعزل ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا ثم يشرع بعد ذلك فى تنفيذ باقى الطلبات .

فذهبا وأخبرا الخديوى ثم عادا وأخبرا عرابى وزميليه بأن الخديوى ، قبل طلباتكم وعزل ناظر الجهادية فاختاروا ناظرا غيره فقالوا : ــ « لا خيرة لنا . وانما نريد ناظرا وطنيا يعينه الخديوى ».

فقال خيرى باشا : ــ «ان الخديو فوض اليكم اختيار الناظر حتى لاتشكوا فيما بعد» .

فقال عرابى وزميلاه : ــ انا نرضى بتعيين محمود سامى باشا ناظرا للجهادية .

فذهبا وأبلغا الخديوى ذلك . وبناء عليه صدرت الأوامر بتعيين محمود سامى البارودى ناظرا للجهادية مع بقاء نظارة الأوقاف فى عهدته كما كانت واعادة كل من أحمد عرابى وزميليه الى آلايه ، وذلك للعمل على نبذ الفوارق العصبية والجنسية ،

والتمسك بعروة الاخاء والمساواة . ثم اخذ بعد ذلك فى سن القوانين العسكرية وتعديل مافيها وتنقيحها وازالة مافيها من من مساوىء تهدف الى التفرقة بين صفوف الجيش .

وبرغم هذا كله أضمر الخديوى توفيق فى نفسه غيظا وحقدا ، فبدأ ينسج هو ورجاله الدسائس انتقاما من العرابيين . ففى أوائل فبراير حتى ٩ سبتمبر ١٨٨١ وفى هذه الفترة القصيرة نرى العديد من الدسائس الحقيرة التى أوعز بها الخديوى ورجاله والتى أدت الى توتر الحالة واشتداد الأزمة بين الخديوى وحكومته وزعماء الجيش .

ولكثرة الدسائس وشدة ضغط الحكومة وعدم التصديق على القوانين العسكرية وعدم الشروع فى تأليف مجلس النواب الذى وعد به الخديوى توفيق بانشائه أيقن عرابى وزملاؤه وجميع ضباط الجيش أن الحكومة تماطلهم فى تنفيذ طلباتهم الوطنية ، وأنه لا مفر من التصميم على تجديد هذه المطالب فى صورة مظاهرة وطنية شاملة للعسكرية والأهالى الذين أنابوهم عنهم فى المطالبة بحقوقهم وتأمينهم على الأنفس والأموال والأعراض . وعندئذ قام عرابى بمخاطبة جميع الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية الموجودة فى القاهرة بواسطة فن الاشارة العسكرية للاستعداد للحضور الى ميدان عابدين فى الساعة العاشرة من صباح ٩ سبتمبر ١٨٨١ لعرض طلباتهم العادلة على الخديوى .

مظاهرة عابدين الثانية

وكتب عرابى الى ناظر الجهادية ليخبر الخديوى بأن جميع الآلايات ستحضر الى ساحة عابدين فى الساحة المذكورة لعرض طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وضمان مستقبلها .

ثم كتب الى قناصل الدول مؤكدا لهم أن لاخوف نهائيا من تلك المظاهرة على رعاياهم لأنها متصلة الغاية بأحوال البلاد الداخلية .

ولما وصل خطاب عرابى الى ناظر الجهادية أسرع على الفور بعرضه على الخديوى الذى استدعى رياض باشارئيس النظار فى الحال وفاوضه فى الأمر . ثم أرسل رئيس النظار رياض باشا أحد الباشوات ويدعى طه باشا لطفى الى عرابى ليعدل عن القيام بالمظاهرة . وذهب الخديوى بعد ذلك ومعه رياض باشا وخيرى باشا رئيس ديوانه الى مركز آلاى الحرس بقشلاق عابدين وجمع الضباط والعساكر واخذ ينصحهم بقوله : ـ «أنتم أولادى وحرسى الخصوصى فلاتتبعوا التعصب الذميم ولاتقتدوا بأعمال الآلايات الاخرى» ... فأجابوه بالسمع والطاعة . ثم أمر على فهمى بك حكمدار آلاى الحرس بأن يوزع عساكره على نوافذ السراى وابوابها من الداخل ليتخذوها متاريس لهم عند الاقتضاء. ففعل . أما طه باشا فانه قابل عرابى وزملاءه وضباط الجيش وسألهم عن قصدهم . فأخبروه بما عزموا عليه من عرض طلبات عادلة لابد من تنفيذها لضمان حرية الأمة وسعادتها .

فعاد طه باشا ليخبر الخديوى بما رأى وسمع . وبعد توزيع عساكر آلاى الحرس على السراى توجه الخديوى الى القلعة وبصحبته رياض باشا وخيرى باشا ليحاول منع الآلاى الثالث من الذهاب الى ساحة عابدين . وعند وصول الخديوى وجد الآلاى المذكور واقفا تحت السلاح ينتظر الأمر بالسير . فطلب الخديوى الضباط ووبخهم . ثم أمسك بتلابيب البكباشى فودة أفندى حسن وقال له :

«أمثلك يعارض أوامر الحكومة ويسعى فى وقف اجراءاتها ؟»
وهنا هاج العساكر وماجوا وأمر اليوزباشى محمد أفندى السيد،

«البروجية بضرب نوبة «سونكى ديك» فأسرع العساكر الى تركيب السونك فى رؤوس البنادق وأحاطوا بالخديوى ومن معه صارخين بقولهم : (**أترك البكباشى**) . فتركه وقال : ـ « **مر العساكر بأن ينفرجوا عنا يابكباشى**» . فأمرهم بالرجوع الى حالتهم الأولى . ثم تركهم الخديوى وسار بمن معه من طريق الجبل قاصدا العباسية ليمنع عرابى من القيام بما عزم عليه . فلما وصل الى مركز الآلاى طلبه فلم يجده وأخبره اليوزباشى حمكدار «الخفر» بأنه توجه بالآلاى حكمداريته وآلاى الطوبجية حكمدارية اسماعيل بك صبرى بمدافعه وجبخانته الى عابدين منذ ساعة . فعاد مسرعا الى سراى عابدين . وكان عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى قد قام مع آلايه . ولما وصل الى ساحة المنشية أمر العساكر بالاستراحة وتنظيف ملابسهم من الأتربة . وهناك بلغه خبر ذهاب الخديوى الى القلعة فأخذ بلوكين من العساكر وصعد الى القلعة ليستكشف الأمر الذى أوجب الخديوى أن يترك مركزه فى الوقت المعين لاستعراض الآلايات عليه والمطالبة بالاصلاحات اللازمة للجيش والأمة .

فلما وصل الى مركز الآلاى الثالث واستعلم عن سبب مجىء الخديوى أحيط علما بما حدث . وكان الوقت قد حان فنزل من القلعة وخلفه الآلاى الثالث يقوده البكباشى «فودة حسن» لأن الأميرالاى ابراهيم بك حيدر قد ترك الآلاى وذهب الى بيته حتى لايشترك فى تلك المظاهرة هلعا وجبنا ونذالة .

وتوجه الجيش الى ساحة عابدين وكان أول من حضر الى الميدان الآلاى السودانى بقيادة أحمد بك عبد الغفار . ثم حضر عرابى بآلاى العباسية ومعه آلاى الطوبجية يقوده اسماعيل بك صبرى . وكانت بطاريات المدافع تتخلل أورطة البيادة أثناء المسير . وهناك حضر بعض الضباط الى عرابى ليخبروه بأن آلاى

الحرس الخديوى حكمدارية «على بك فهمى» وزع داخل السراى وهو على استعداد للدفاع عنها اذا مست الحاجة ومعه كمية وافرة من الجبخانة • فبعث عرابى الملازم محمد آفندى على الى الحكمدار المذكور ليستدعيه اليه .

ولما حضر على بك فهمى أمام عرابى . سأله عن سبب وضع العساكر فى أبواب السراى ومنافذها من الداخل وماهو القصد من ذلك ؟ .. فقال : ــ «ان السياسة خداع» فطلب عرابى من على بك فهمى أن يجمع آلايه ويأخذ مكانه فى الميدان . فأمر بخروج الآلاى جميعه واخذ المحل المعين له فى الدائرة .

ثم صار ترتيب آلاى الطوبجية والسوارى والبيادة على شكل مربع . وحضر بعد ذلك الآلاى الثانى من قصر النيل يقوده أحمد أفندى صادق اليوزباشى لامتناع الأميرالاى محمد بك شوقى والبكباشية عن مرافقتهم .

ثم جاء الآلاى الثالث من القلعة بقيادة فودة أفندى حسن والآلاى السودانى بقيادة عبد العال بك حلمى واورطة المستحفظين يقودها القائمقام ابراهيم بك فوزى .

ولما اكتمل اجتماع الجيش فى عابدين كان الميدان غاصا بجماهير المتفرجين من الوطنيين والأجانب ونوافذ البيوت المجاورة للسراى وأسطحها ملأى بالمتفرجين والمتفرجات •

وأما الخديوى فانه لما عاد من العباسية دخل السراى من الباب الشرقى المسمى (باب باريس) وصعد الى الايوان ثم نزل منه ومشى فى الميدان والى جانبه المستر كوكس (قنصل انجلترا فى الاسكندرية) والجنرال «جولدسميث» «مراقب الدائرة السنيه ، ونفر من جاويشية المراسلة الخديوية .

حتى اذا ماتوسط الساحة ، طلب عرابى . فتوجه عرابى

اليه ليعرض مطالب الأمة وكان راكبا جواده وسيفه فى يده ومن خلفه ثلاثين ضابطا . فلما اقترب منه صاح به أن يترجل ويغمد سيفه . ففعل عرابى . ثم أقبل عليه وفى تلك اللحظة أشار عليه المستر كوكس بأن يطلق غدارته على عرابى . فالتفت اليه وقال :- « أفلا تنظر الى من حولنا من العساكر » ثم صاح بمن خلف عرابى من الضباط بأن يغمدوا سيوفهم ويعودوا الى بلوكاتهم . فلم يفعلوا وظلوا وقوفا خلف عرابى ودم الوطنية يغلى فى مراجل قلوبهم ولما وقف عرابى مشيرا بالسلام خاطبه الخديوى بقوله :

ماهى أسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟

فأجابه عرابى بقوله :

جئنا يامولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة ، وكلها طلبات عادلة .

فقال الخديوى :

وما هى هذه الطلبات ؟

فقال عرابى :

هى اسقاط الوزارة المستبدة ، وتأليف مجلس نواب على النسق الأوربى ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها .

فقال الخديوى :

كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وماأنتم الا عبيد احساناتنا .

فقال له عرابى غاضبا .

لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا ولا عقارا ، فوالله

الذى لا اله الا هو اننا سوف لانورث ولانستعبد بعد اليوم !!

وكان الجنرال «جولدسميث» كلما سمع جملة من كلام عرابى رجع الى الوراء بضع خطوات ، ثم عاد الى محله فى الدائرة المحاطة بالضباط والجاويشية ، فأشار المستر كوكس على الخديوى بالرجوع الى السراى زاعما انه يخشى عليه السوء اذا زادت المخاطبة عن ذلك الحد .

ودخل الخديوى السراى وبعد دخوله عاد المستر كوكس ومعه المستر كلفن المراقب المالى الانجليزى ، وخاطب عرابى بالنيابة عن الخديوى كرسول من طرفه وقال :

«ان طلب اسقاط الوزارة وطلب تأليف مجلس النواب من حقوق الأمة لا من حقوق الجيش ، ولا لزوم لطلب زيادة الجيش لأن المالية لاتساعد على ذلك» .

فقال عرابى : أعلم ياحضرة القنصل أن طلباتى المتعلقة بالأهالى ، لم أعمد اليها الا لأنهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم وأولادهم . فهم القوة التى ينفذ بها كل مايعود على الوطن بالخير والمنفعة ، وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر فهم الأهالى الذين أنابونا عنهم فى طلب حقوقهم ، وأعلم علم اليقين أننا لانتنازل عن طلباتنا ولانبرح هذا المكان مالم تنفذ» ..

فقال القنصل : علمت من كلامك أنك ترغب فى تنفيذ اقتراحاتك بالقوة وهذا أمر ينشأ عنه ضياع بلادكم وتلاشيها .

فقال عرابى : كيف يكون ذلك ومن ذا الذى يعارضنا فى أحوال داخليتنا . فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا اشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا .

فقال القنصل : ـ «وأين هى قوتكم التى ستدافع بها ؟ ..

فقال عرابى : «عنـد الاقتضـاء يمكن أن يحشد مليون من العساكر يدافعون عن بلادهم ، يسمعون قولى ويلبون اشارتى .

فقال القنصل : وماذا تفعل اذا لم تجب الى ماتطلب ؟

فقال عرابى : أقول كلمة أخرى .

فقال القنصل : وماهى ؟

فقال عرابى : لاأقولها الا عند اليأس والقنوط .

وذهب القنصل الى السراى وانقطعت الاخبار حوالى ساعة تقرر فى غضونها اجابة مطالب عرابى والجيش وتنفيذها بالتدريج. ثم أسقطت الوزارة وطلب الى الخديوى قبـول تعيين حيدر يكن رئيسا للوزارة الجديدة . فلم يوافق عرابى على ذلك لانه من أقاربه وعرض عرابى تعيين محمد شريف باشا . وبناء على ذلك استدعى شريف باشا من الاسكندرية بالتلغراف .

وبعد صدور أمر الخديوى باجابة طلبات عرابى ، توجه اليه عرابى وشكر له ارضاءه ضمير الأمة ، فأقسم بأنه مرتاح لما فعل وانه وافق على تلك الطلبات بنية صافية . فكرر عرابى له الشكر. ثم أمر فانصرفت الآلايات الى مراكزها ماعدا الآلاى السـودانى فانه قضى ليلته فى ضيافة آلاى الحرس بقشلاق عابدين .

وزارة شريف باشـا

وفى اليوم التالى الموافق السبت ١٠ سبتمبر سـنة ١٨٨١ توجه عرابى الى سراى شريف باشـا وهنـأه برياسـة الوزارة الجديدة وطلب منه أن يعنى بانتخاب من يؤازره فى سرعة تأليف مجلس النواب ونشر الحرية فى البلاد . واشار اليه بتعيين محمود

سامى البارودى ناظرا للجهادية ومصطفى فهمى باشا ناظرا للخارجية لما يعلمه عنهما من ميلهما الى العدل والحرية .

فرفض شريف باشا وقال : — انى لاأقبل أن يكون فى وزارتى محمود سامى ولا مصطفى فهمى لأنهما لم يوفيا بالعهد الذى تعاهدنا عليه من قبل . فقد اتفقنا على أنه اذا رفض الخديوى الموافقة على تأليف مجلس نواب استقالت وزارتنا ، ولايشترك أحد منا بعد ذلك فى الوزارة الجديدة ولكنهما نكثا بالعهد وقبلا الدخول فى وزارة رياض باشا التى قامت بعد وزارتنا والتى سقطت بالأمس . لذلك لاأستطيع أن أشتغل معهما» **فقال عرابى: «ان لكل وقت حكما وانى أثق بحبهما للحرية والعدل والمساواة . وفضلا عن ذلك فان الجيش لايطمئن لغير محمود سامى البارودى» .**

فقال شريف باشا : — «أفلا ترضون أن أكون ناظرا للجهادية فانى قد تربيت معكم فى العسكرية» .

فقال عرابى : — «لقد اخترناك رئيسا للوزارة ولابد من مراعاة ميول رجال الجيش» .

ولما أصر شريف باشا على عدم قبول البارودى ومصطفى فهمى فى وزارته . تركه عرابى دون أن ينم شىء فى كل مايتعلق بحديثهما نحو الوزارة والبارودى ومصطفى فهمى .

وعاد عرابى فقابل شريف باشا مرة ثانية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ وقال له انه لايمكن ترك البلاد هكذا بلا وزارة . فأصر على الرفض . فقال عرابى :— **ان لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك ، ولاتظن أن ليس بالبلاد سواك ، ففيها بحمد الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير»** فاغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جوابا . ثم خرج من عنده وبعد

قليل جاء الشيخ بدراوى عاشور الى عرابى وصحبه ، وبدراوى عاشور هذا هو وكيل زراعة شريف باشا الذى نال رتبة الباشوية فى زمن الاحتلال حين كان شريف باشا رئيسا للنظار أيضا» .وقال البدراوى عاشور ، ان الباشا يريد أن يخبره بأنه قبل ماعرضه عليه وانه يريد مقابلته . فذهب عرابى اليه مع محمود سامى البارودى حيث أعلن شريف باشا تأليف الوزارة على الوجه الآتى : —

١ — شريف باشا رئيسا للنظار وناظرا للداخلية .
٢ — محمود سامى باشا للجهادية والبحرية
٣ — حيدر باشا للمالية
٤ — اسماعيل أيوب باشا للأشغال
٥ — مصطفى فهمى باشا للخارجية
٦ — زكى باشا للأوقاف والمعارف
٧ — قدرى باشا للحقانية

ثم رفع الى الخديوى تقريرا ضمنه الكلام على السياسة التى ستجرى عليها وزارته والاعمال الخاصة بها .

فوافق الخديوى على تقرير شريف باشا وتشكيل الوزارة الجديدة .

وتوجه عرابى وبعض الضباط فى ٢٢ شوال سنة ١٢٩٨ هـ لمقابلة شريف باشا وتهنئته برئاسة الوزارة بالنيابة عن الجيش وقال عرابى له : — «أعرض لدولتكم أننا جميعا واثقون بصداقتكم وخلوص طويتكم لمحبة الوطن وأهله وجازمون بأن الصفات التى تحليتم بها ستكون سببا فى وقاية بلادنا واستتباب الراحة العمومية فيها . واننا لنعلم واجباتنا والفروض التى توجبها علينا

وظائفنا العسكرية وأعظمها حفظ البلاد ومن فيها . ولذلك فاننا نعترف بأننا القوة المنفذة لما يصدر من الأوامر التى تكون ان شاء الله فى خير البلاد وصلاح العباد . الا ان لنا حقوقا معلومة يمنحها لنا القانون فنرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحسن الينا بنوالها بمساعدتكم . ونسأله سبحانه أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح آمين» ... ثم بعد ذلك أمن الحاضرون من الضباط . ورد شريف باشا قائلا : —

«فى عملكم قوة ، ولاحكومة الا بالقوة ولا قوة الا بانقياد الجنود انقيادا تاما وامتثالهم امتثالا مطلقا ، وليكن فى علمكم ماقال الأقدمون : آفة الرياسة ضعف السياسة» .

وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ الموافق ٢٨ شوال ١٢٩٨ هـ قدم شريف باشا تقريرا بقوانين الاصلاحات العسكرية التى كانت من ضمن طلبات عرابى وصحبه فى يوم حادثة عابدين المشهورة . وفى ٣ أكتوبر سنة ١٨٨١ ، وصلت برقية من الآستانة تفيد بأن السلطان عقد عزمه على ارسال وفد الى القطر المصرى من غير أن يشاور الوزراء فى هذا الموضوع وانه عين على نظامى باشا رئيسا للوفد المذكور ، وعلى فؤاد بك «معتمدا ثانيا» واحمد راتب باشا وصقر افندى وهما من ياوران الحضرة السلطانية . وانهم قد سافروا جميعا فى يوم ٢ أكتوبر قاصدين الاسكندرية . فوقعذلك النبأ موقع الدهشة والاستغراب لدى جميع الدول الأوربية . لأنه لم تسبقه مقدمات ولا مخابرات مع الدول . وقد توجه كل من قنصل فرنسا وقنصل انجلترا «السيرمالت» الى الخديوى وأخبراه بأنهما لايعلمان شيئا عن أسباب قدوم الوفد العثمانى . وأكدا له أن الوفد المذكور لا يمكنه أن يعبث بشىء من حقوقه ..

ومرت الايام حتى كان يوم الخميس ١٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ هـ وفى ذلك اليوم وصل الوابور الهمايونى « طليعت » الى

ميناء الاسكندرية فى منتصف الساعة السادسة مقلا حضرة صاحب الدولة « على نظامى باشا » وحضرة صاحب العطوفة على فؤاد بك وقدرى بك وصفر أفندى وسيف الله أفندى من ياوران الحضرة الشاهانية • فأطلقت مدافع السلام من وابور محمد على وطابية رأس التين • كما أديت التحية من بقية المراكب المصرية الراسية فى الميناء • وتوجه ذو الفقار باشا « سر تشريفاتى خديوى » ومعه المحافظ ومأمور الضبطية وفريق آلايات الاسكندرية ووكيل البحرية الى الوابور «طليعت» وبلغوا القادمين سلام الخديوى •

ثم نزلوا الى البر وتوجهوا الى سراى رأس التين للاستراحة• ثم بعد ذلك توجهوا الى محطة السكة الحديدية وكان فى انتظارهم قطار خاص أقلهم فى منتصف الرابعة بعد الظهر الى القاهرة • وكان فى استقبالهم بمصر سعادة طلعت باشا باشكاتب الديوان الخديوى وغيره •

ثم ركبوا الى قصر النزهة بجهة « شبرا » حيث كان الاعداد لنزولهم فيه مدة اقامتهم بالقاهرة • وفى صباح الجمعة توجهوا الى سراى الاسماعيلية لزيارة الخديوى • فقوبلوا بغاية التعظيم• وكان على سلم السلاملك طلعت باشا وخيرى باشا والتشريفاتية وياوران الخديوى • وساروا بهم الى حيث يوجد الخديوى الذى حياهم وأكرم مثواهم • وبعد انتهاء اللقاء توجه الخديوى ليرد لهم الزيارة الى قصر النزهة فى منتصف الساعة العاشرة وبعد أن التقى بهم ، عاد الى سراى الاسماعيلية مرة ثانية • وأمضى الوفد حوالى عشرة أيام ، أكد لهم فيها الخديوى أن الجيش على طاعته ولا يوجد ما يوجب الاضطراب • ثم سافر الوفد الشاهانى فى ١٨ أكتوبر سنة ١٨٨١ الى الاسكندرية وفى اليوم التالى أقلته البارجه «طليعت» الى الآستانه بعد أن أطلقت المدافع إيذانا بسفره وتوديعا واجلالا وولاء •

وقد علم الجميع أن مجيء الوفد كان للتحقيق في أمر التمرد العسكرى الذى أشاعته أوربا لتجعله وسيلة للتدخل في افساد ما تم من الاصلاحات في القطر المصرى • ولقد هاجت الأفكار واضطربت خواطر الحاشية المستبدة وأوجس الخديوى من جراء ذلك شرا • فاتفق مع الوزارة الجديدة على ألا يسمح لرجال الوفد المذكور بمقابلة عرابى وصحبه من قادة الجيش وأن يعترف الخديوى بأن لا تمرد ولا عصيان في الجيش وأن الجيش على طاعته ولا موجب للاضطراب وأنه يلزم ارسال الآلاى السودانى الى دمياط والآلاى الرابع حكمدارية أحمد عرابى الى رأس الوادى • هذا ما تم الاتفاق عليه بين الخديوى والوزارة • وقد أخبر عرابى وصحبه ناظر الجهادية محمود سامى البارودى بكل ذلك • فوافق عرابى وصحبه على ذلك مبدئيا تطمينا للنفوس وتسكينا للقلوب • ولكن بشرط صدور أمر الخديوى بانتخاب النواب قبل سفرهم • وقام عرابى بالتنبيه على عبد العال بك حلمى بالتأهب للسفر الى دمياط وأن يأخذ معه موسيقى الآلاى الثانى البيادة • وسافر عبد العال بك حلمى بالآلاى السودانى الى السكة الحديدية مارا بوسط المدينة • وكان قد سبقه اليها معظم ضباط الجيش وضباط البوليس للقيام بواجب التوديع وسط جموع غفيرة لا حصر لها • وحين وصل الآلاى المذكور الى المحطة أخذ «عنانى بك» من أعيان القاهرة ينثر الورود والرياحين على رؤوس العساكر وقد سقى الناس أكوابا من «الشربات» اكراما للجيش المنقذ للبلاد من هاوية الاستبداد • وكان عرابى حين ذاك مع ناظر الجهادية محمود سامى البارودى ضمن المودعين •

وقام كل من محررى جريدة الطائف والمفيد (السيد عبد الله النديم والسيد حسن الشمسى) وألقى كل منهما خطابا تضمن المدح والثناء على عرابى وعلى هيئة الجيش •

وفى ٨ أكتوبر سنة ١٨٨١ تأهب عرابى للسفر بالآلاى الرابع الى رأس الوادى ٠ وكان قد صدر الامر العالى بانتخاب النواب قبل ذلك بأربعة أيام ٠ ومر عرابى بالآلاى المذكور فى وسط المدينة من باب النصر والموسيقى العسكرية تعزف فى مقدمة الآلاى على حسب العادة الى أن بلغوا مســـجد الامام الحسين ٠ فوقف الآلاى مقابلا للمسجد تعظيما واجـلالا لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ ودخل عرابى الى المقام الحسينى مـع بعض الضباط ومرروا بيرق الآلاى على الضريح الشريف ٠ وسألوا الله جل جـــلاله أن يوفقهم لما فيه خير البلاد ونفع العباد ٠ ثم خرجوا وساروا بالآلاى على الهيئة السالف ذكرها وكانت الشوارع ممتلئة بالمودعين والمتفرجين الى أن بلغوا محطة السكة الحديدية ٠ وكان قد سبق اليهـا جميع ضباط الجيش المصرى ورؤسائه وكثير من الذوات والتجار وعامة الناس٠ وقد كان الاحتفال فى هذا اليوم مما لم يسبق له مثيل فى مصر ٠ وقام عرابى وألقى فى الحاضرين كلمة قال فيها :ـ

« سادتى واخوانى ٠٠ بكم ولكم قمنا وطلبنـا حرية البلاد وقطعنا غرس الاســـتبداد ولا ننثنى عن عزمنا حتى تحيـا البلاد واهلها ٠ وما قصدنا بسعينا افسادا ولا تدميرا ٠ ولكن لما رأينا أننا بتنا فى اذلال واستعباد ولا يتمتـع فى بلادنا الا الغرباء ٠ حركتنا الغيرة والوطنية والحمية العربية الى حفـــظ البـلاد وتحريرها ٠ والمطالبة بحقوق الامة ٠ وقد ساعدتنا العناية الالهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديوى ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية ٠ وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الامة فى شئونها وتعرف حقوقها كباقى الامم المتمدنة فى العـالم ٠ ومن قرأ التواريخ يعـــلم أن الدول الاوربية ما حصلت على الحرية الا بالتهور واراقة الدماء وهتك الاعراض وتدمير البلاد ونحن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم او نخيف قلبا او نضيع

حقا أو نخدش شرفا . وما أوصلنيها إلى هذه الدرجة القصوى الا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد .

وبعد أن انتهى عرابى من القاء خطابه ، قام السيد عبد الله النديم الذى كان قد عاد من دمياط . وألقى فى الحاضرين خطبة بمعنى ما خطب عرابى . وكان «مصطفى عنانى بك» وبعض الاهالى ينثرون الزهور والرياحين على رؤوس العساكر ويقدمون لهم الحلوى ويسقون الناس أيضا أكوابا من «الشربات» وعندما اقترب وقت مسير القطار صاح عرابى مودعا جميع المشيعين . ثم سار بهم القطار قاصدا مدينة الزقازيق يصحبهم السيد عبد الله النديم . وكان الاهالى كلما وقف القطار فى محطة من المحطات يستقبلونهم بالفرح والسرور والاجلال ويخطب عبد الله النديم فيهم بمثل ماسبق ذكره . حتى دخل القطار محطة الزقازيق فاستقبلهم الاهالى والتجار يتقدمهم (أمين بك الشمس) وهتفوا باسم عرابى وصحبه وللجيش بالدعاء وعلى وجوههم علامة الغبطة والسعادة . ولما وقف القطار نثروا الزهور على العساكر والازهار العطرية ووزعوا الشربات ثم خرج عرابى من القطار وسلم على جموع المستقبلين المحتشدين أمام القطار الذى كان يقل عرابى والآلاى الرابع .

وألقى فيهم أحمد عرابى خطابا قال فيه :

«. سادتى واخوانى .. أنا أخوكم فى الوطنية واسمى أحمد عرابى ولدت فى بلدة «هرية رزنه» من بلاد الشرقية هذه . فمن عرفنى منكم فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فقد عرفته بنفسى . وهاأنذا واقف بين أيدى الإهل والخلان .. وقد بلغكم ما تطلبناه من قطع عرق الاستبداد وتجرير البلاد وأهلها . وبعناية الله سبحانه منحنا مولانا الخديوى هذه الامنية فنحن لم نخرج من العاصمة عصيانا ولا تظاهرا بعدوان . وانما سرت بالجيش ووقفت بين يدى الخديوى وقفة الطالب الراجى كرم مولاه . فلا تعولوا على الاراجيف

واشاعات أهل الفساد · واعلموا أن البلاد محتاجة الى الخدمة بالقوة والفكر والعمل · أما القوة فنحن رجالها ولا ننثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس · وأما الفكر فهو منوط بأميرنا الاعظم ووزرائه الكرام وهم لا يهنأ لهم عيش الا اذا طاب لنا ولا يدركون الراحة الا بأمننا· فهم يسهرون الليل ويقضون النهار فى سلوك السبل المؤدية الى حفظ الامة وسلامتها من العوارض ·

وأما العمل فهو منوط بكم فان القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة · وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الامور منوطة بأهلها والحقوق محفوظة لذويها · وهذه نعمة كبرى نشكر الله عليها ، كما نشكره على نجاة الوطن وأهله من رق العبودية واستنشاق نسيم الحرية ، ونحمده على سلامة باطن أميرنا المعظم وخديوينا الأفخم أيده الله » ··

وانتهى عرابى من خطابه ليقله القطار هو وجنوده قاصدا رأس الوادى وبعد استقرارهم فى رأس الوادى بيومين دعاهم الفاضل (أمير بك الشمس) رئيس تجار الزقازيق الى وليمة شائقة اكراما لهم واحتفالا بهم ·

وفى اليوم التالى دعى أحمد عرابى لوضع حجر أساس المدرسة الاميرية بالزقازيق · فتوجه ووضع حجر الزاوية فيها باسم الحضرة الخديوية وتلا على الحاضرين خطبة ذكر لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه · وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى وحرضهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم مستقبلا · ومكثوا برأس الوادى حتى أرسل اليهم نوبار باشا مندوبا من طرفه يدعى «أحمد قبودان البكرى» من موظفى بوغاز الاسكندرية ليشكرهم على انقاذ الوطن من ظلم الظالمين وجور المستبدين وكان هذا فى ٢٠ أكتوبر ويعرض عليهم أنه مستعد لأن يقود حركتهم الوطنية بضائب رأيه اذا دعوه الى رياسة الحكومة

واعتمـــدوا عليه وسلمـوه أمورهم ! فتعجبوا لذلك وأجابوه بأن مبـــدأهم هو أن تكون « مصر للمصريين » وللنزلاء عندهم حسن الضيافة ومزيد الاكرام ، وأنهم لا يجهلون الادوار التى لعبها نوبار باشا فى مسألة تغيير قواعد فرمان الوراثة الخديوية ، وفى مسألة تأليف المجالس المختلطة فى مصر · تلك المجالس التى صرف عليهم ١٢ مليـــونا من الجنيهـات من أموال المصريين المســاكين على يده وبسعيه · وكان هو أكبر مساعد للمستبدين وله الحظ الأوفر من تلك الغنائم ·· وفى هذه الأثنــــاء وصل الى مسمع الحكومة من جواسيسها أن عرابى يتجول فى أنحاء مديرية الشرقية لبث مبادئه وأفكاره فى نفوس عمد البـــلاد ومشايخها والعربان · حاضا على وجوب مؤازرته فى مشروعاته الوطنية وأن كثيرا من المظلومين يأتون له شاكين من ظلم الظالمين · فخشيت الحكومة من ذلك وقررت طلبه الى العاصمة فأجاب عرابى طلبها · وعرض على عرابى وظيفة وكيل الجهادية ورتبة اللواء « الباشا » فقبل أن يكون وكيلا للجهادية مع بقـــاء الآلاى فى عهدته ورفض رتبه الباشا حتى لا يدنس سمعته وحتى لا يقال بأنه انما اشتغل لمصلحته الخصــوصية لا للمصلحة العمومية ·

عرابى وكيلا للجهادية

ولما تسلم عرابى منصبه الجديد كثر وفود المتظلمين عليه من أرجاء البلاد حتى كانت ساحة منزله لا تسع الزائرين والمتظلمين وكان كثـــير من الاوربيين ومكاتب الجـــرائد الافرنجية والوطنية يحضرون الى منزله لاستطلاع ســـياسته ، والوقوف على مكنونات أفكاره وفى تلك المدة حضر الى منزله المستر ولفرن سكاون بلانت، وكان معه صـــاحبه القس «لويس الصابونجى» صـــاحب «جريدة

النحـــلة، اذ ذاك وعرض على عرابى قبـول صداقته له فقبلها منه عرابى • فمـد يده لويس الصـــابونجى الى عرابى الذى صافحه وتعاقدوا على الصداقة والاخـلاص وكان عرابى يظن أنهم بواسطته وبفخامة مركزه فى قومه وشدة غيرته على الحرية ، سوف يتمكنون من تذليل الصعوبات التى يلقيها قناصل الانجليز فى طريق حريتهم ونجاح بلادهم ، بدعوى الانسانية والعــدل والانصاف بين الامم والشعوب !

وليس هذا فحسب بل قام بزيارة عرابى كاتم أسرار ملكة الانجليز السير وليم جريجورى الرجل الايرلندى الذى كان قد تولى حكومة جزيرة سيلان مرتين متتاليتين اجابة لرغبة أهل تلك البلاد• وسأل عرابى وصحبه عن مقاصدهم فأكدوا له أن لا خوف على رعاية الدول المتحابة • فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ؛ بضمان عرابى وصـــحبه وكفالته • وأنهم لا يريدون الا الحرية وقطـــع عروق الاســـتبداد • وقـــد تم لهم ذلك بتأليف مجلس نيابى وبرضاء واستحسان الخديوى • وقد التمس عرابى من الخـديوى فى تلك المدة بواسطة ومساعدة ناظر الجهادية ورئيس النظار الافراج عن المســـجونين ظلما فى مدة الاستبداد فأجيب التماسه • وكان من ضمن المسجونين أحمـــد بك أبو ستيت من مديرية ســـوهاج ، والسيد حسن موسى العقاد من أعيان القـــاهرة ، وكانا منفيين الى السودان ظلما وعدوانا • ولما قدم السيد حسن موسى العقاد أقام الافراح والولائم الكثيرة لضباط الجيش وأعيان العاصمة •

وفى تلك المدة أيضا أنشئت جرائد وطنية صادقة منها جريدة «**الحجاز**» ومحررها السيد ابراهيم سراج المدنى وجريدة « **المفيد** » ومحررها السيد حسن الشمسى • و «**لسان الامة**» ومحررها السيد عبد الله النديم وكان موضوعها سياسيا تهذيبيا •

ومرت الايام حتى كان لقاء أحمد عرابى ومحمود سامى البارودى فى أوائل شهر يناير سنة ١٨٨٢ حيث أطنب البارودى فى الثناء على عرابى لقيامه بنشر راية الحرية فى مصر من بعد مضى خمسة آلاف عام على المصريين وهم يرسفون فى قيود الاستبداد . ثم أقسم أنه مستعد لأن **يضحى بحياته ويجود بآخر قطرة من دمه فى تنفيذ رغبة عرابى ويجرد حسامه وينـادى باسم أحمد عرابى خديويا لمصر اذا رغب فى ذلك .**

فقال له عرابى :ـ « مهلا يامحمود باشا . فانى لا أريد الا تحرير بلادى ولا أرى سبيلا لنوالنا ذلك الا بالمحافظة على الخديوى كما صرحت بذلك مرارا وتكرارا ، وليس بى طمع أصلا فى الاستئثار بالمنافع الشخصية . ولا أريد انتقـال الاريكة الخديوية الى عائلة أخرى لمـا فى ذلك من الضرر . مع علمى بأنك تنتسب الى الملك الأشرف (سبر باى) .

فقال البارودى :ـ « أنا لا أقول لك الا حقـا ، وأنت أحق بهذا الامر منى ومن غيرى »

فشكره عرابى على هذه الثقة الغـالية والرغبة الاكيدة التى كانت أصلا رغبة المصريين جميعهم وليسـت رغبة البارودى باشا فحسب .

وأعود الى ما قبل لقاء عرابى بالبارودى فى يناير ١٨٨٢ لذكر الصيغة الخاصة بتأليف مجلس النواب وصدور الامر العالى بتأليفه. ففى ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ الموافق ١١ ذى القعده سنة ١٢٩٨ هـ ، رفع رئيس النظار شريف باشا الى الجناب الخديوى تقريرا بشأن انشاء مجلس نواب وانتخاب أعضائه وذلك بناء على الطلب المقدم من عرابى وصحبه والمختتم بامضـاء ألف وستمائة مصرى لتأليف مجلس نيابى ، فصدر الامر العالى بالصورة الآتية :ـ

إنشاء مجلس النواب

« نحن خديوى ·· مصر ·· »

« بناء على التقرير المرفوع الينا من رئيس النظار لحكومتنا بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ هـ الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ م المرفوق صورته بأمرنا هذا · وبعد الاطلاع على لائحة مجلس شورى النواب الصادرة بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٨٣ وبناء على موافقة رأى مجلس نظارنا · نأمر بما هو آت :ـ

المادة الاولى :ـ يصير انتخاب النواب بالصفة والشروط الموضحة بتلك اللائحة ، وافتتاح مجلس الشورى يكون فى ١٥كيهك سنة ١٥٩٨ غرة صفر ١٢٩٩ هـ اتباعا للمادة ١٦ من اللائحة المذكورة ·

المادة الثانية :ـ ناظر داخلية حكومتنا مكلف بتنفيذ أمرنا هذا ·

صدر بسراى الجزيرة فى ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ (امضاء : محمد توفيق)

بأمر الحضرة الفخمية الخديوية رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية (امضاء : محمد شريف)

وقد كان لهذا المشروع عظيم الاثر فى نفوس العامة · فكنت لا ترى الا وجوها طلقة وثغورا باسمة ·

وكان أهم ما استوجب الاستحسان والسرور قول رئيس الوزراء :ـ «ان مشاورة أهل الرأى والسداد من وجوه البلاد فيما تحتاج اليه من الاصلاح هو الواسطة الوحيدة للحصول على الفائدة

المقصودة . وان هذا المأخذ مطابق لرأى عمد الأهالى بالنيـــابة عن عمومهم » وبهذا فهم الجميع أن هـــذا الرأى عند الامة دليل على قرب الصلة بين الامة والحكومة وارتفاع الحجاب بينهما .

ومرت أيام الانتخاب . وكانت موضوعا للاهتمام وأشارت السلطة الوطنية ممثلة فى أحمد عرابى وصحبه بتعيين محمد سلطان باشـا رئيســا لمجلس النواب لما يعهدون فيه من صحة الوطنية ، وعبد الله باشا فكرى رئيسا لمكتب المجلس مع بقائه وكيلا لنظـــارة (المعارف) ، وأديب أفندى اسحق « اللبنانى » كاتبا ثانيا له مع بقائه ناظرا لقلم الانشاء والترجمة ومكان انعقاد المجلس فى ديوان الأشغال .

وما أن تم انتخـاب النواب فى الوجهـين القبلى والبحرى حتى تحدد يوم الاثنين الموافق ٥ صفر سنة ١٢٩٩ ، ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ لافتتاح هذا المجلس . وما أن جاء اليوم المحدد حتى ازدحم مكان الاجتماع بكثير من الناس ووقفت أورطة الآلاى الأول على جانبى الطريق من سلم القاعة الى الباب تحت حكمدارية البطل محمد أفندى عبيد . وحضر الخديوى توفيق . وعزفت الموسيقى بالســلام وجلس الخديوى توفيق ومثل بين يديه محمد سلطان باشا رئيس المجلس وأبلغه استعداد النواب لسماع مقاله الافتتاحى . ووقف الخديوى على قدميه وقال :

« أبلغ لحضرات النــواب مسروريتى من اجتمــاعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع . وفى علم الجميع انى من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة . فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ، ومن تخفيف أحمال الأهالى على قدر

الامكان فلم يبق مانع من المبادرة الى ما أنا متشوق لحصـــوله وهو مجلس النـــواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم ٠ وأنتم تحيطون علما ان جل مقاصدى ومساعى حـكومتى هو راحة الأهالى ورفاهيتهم وانتظام أمورهم بتعميم العدالة بينهم وتامين سكان القطر على اختلاف أجناسهم ٠ وهذا منهجى واضحا مستقيما وعليه سيرى منذ توليت أمركم محبا للتربية ونشر العلوم والمعارف ٠ فعلى المجلس أن يكون مساعدا للحكومة فى هذه الأمور كلها خالصا فى خـدمة الوطن منحصرة أفكاره ومذكراته فى المنافع العمومية مع مراعاة قرار لجنة التصفية وسائر تعهدات الحـكومة مع الدول ٠ سالكا المسلك المعتدل والمنهج القويم الذى هو أهم شىء فى هذا الوقت الذى هو عصر الترقى والتمدن ٠ فالواجب علينـــا الاعتدال والتـــأنى وحسن التبصر ٠ وأن نكون يدا واحدة فى اتمام الأعمال النافعة متوسلين بعناية الله تعالى وامداد رســـوله الكريم ومتمسكين بقوة ارتباطنا بالحضرة الشاهانية والدولة العلية أدامها الله ٠ ونسأل الله النجـــاح انه ولى التوفيق » ٠

ثم عكف مجلس الشورى على الاهتمام بشئونه الداخلية ورتب أقلامه وانتخب رؤساءها ٠ ثم توجهت الأنظار الى اللائحة الأساسية الجديدة التى عزم مجلس النظار على ارسالها اليه ليضعها موضـــع النظر ٠

وما أن جاء عصر يوم الاثنين ١١ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ٢ يناير سنة ١٨٨٢ حتى توجه رئيس مجلس النظار محمد شريف باشا الى مجلس النواب لتقديم اللائحة الأساسية التى أعدها له مع سائر النظار ٠ فقدمها وألقى خطابا تاريخيا أثر فى أذهان النواب ٠ وقد جاءت هـــذه اللائحة مشتملة على أحكام حرة وحـــدود مطلقة يكون بمقتضاها للنواب حق النظر فى القوانين والمصروفات العمومية وأن لاينفذ قانون ولا يعتبر نظام ما لم يقرر فى مجلسهم مع تخويلهم الحرية

التامة فى ابداء آرائهم وقراراتهم . وقد تألفت لجنة من أعضاء المجلس للنظر فى اللائحة وانصرفت آمال الناس الى أن هذه اللجنة تسارع الى النظر فيها ليتم للمجلس فى وقت قصير تقريرها .

وقال شريف فى خطابه أمام المجلس :

« أيها السادة النواب ... انى لا أقدر أن أعبر لحضراتكم عن سرورى بالحضور بينكم فى هذا اليوم الذى أعده مبدأ لعصر جديد ان شاء الله يعود على القطر بالتقدم والنجاح .. حضراتكم تعلمون أنه منـــذ ثلاث سنوات تراءى لى أن الطريقة الوحيدة لخلاص البلاد من الورطات التى كانت محيطة بها هى توسيع نطاق الشورى واشتراك رأى نواب الأهالى مع الحكومة فى نظر كل أمر مهم تعود منه المنفعة وكنت قدمت مشروعا لمجلس النواب الذى كان موجودا وقتئذ ، وهو أجرى فيه تغييرات لم يتيسر للحكومة النظر فيها ، ثم طرأت حوادث سياسية ومالية ليست خافية عليكم ترتب عليها تعويق اتمام المشروع والحمد لله قد زالت العوائق وانى لأعد نفسى سعيدا حيث أن أفكارى فى هذا الخصوص ما كانت الا نتيجة مقاصد الحضرة الخديوية وهذه الأفكار قد طابق عليها عموم الأهالى ولهذا حصل انتخاب حضراتكم واجتمعتم فلنهنىء القطـر على ذلك ونهنىء أنفســـنا وندع للذات الشاهانية وللحضرة الخديوية ببقائهما مصدرا لكل خير . ولما كانت لائحة النواب التى اجتمعتم على مقتضاها لا تلائم أفكارنا جميــعا كما أوضحت ذلك منذ ثلاث ســـنوات وكررته بتحضير لائحــة موافقة لمقاصد العموم . وقد تمت وها أنا الآن أقدمها لحضراتكم للنظر فيها . ومع كون هذه أول مرة اجتمع فيها مجلس نواب حر كان يلزم أن السلطة التى تعطى له لا تكون مطلقة بالكلية حتى يحكم المســتقبل باطلاقها بالتدريج شيئا فشيئا لكن حيث أن مقصدنا جميعا واحد وهو خير البلاد والحـــكومة معتقدة بكفاءة النواب وعملهم بحقوقهم وواجباتهم ومحبتهم للوطن فقد أعطت لكم الحرية التـــامة فى ابداء

آرائكم وحق المراقبة على أفعال مأمورى الحكومة من أى درجة وأى صنف كانوا وتصرح لكم بنظر الموازين العمومية وابداء رأيكم فيها ونظر كافة القوانين واللوائح ، وقد التزمت الحكومة بعدم وضع أى ضريبة ولا نشر أى قانون أو لائحة ما لم يكن بتصديق واقرار منكم وكذلك تعهدت بأن تجعل النظار مسئولون لديكم عن كل أمر يترتب عليه اخلال بحقوقهم والغاية ، فان لم يحجز عليكم فى شىء ما ولم يخرج أمر مهم عن نظركم ومراقبتكم ... » .

هذه فقرات من خطاب شريف باشا . وبانتهاء خطابه انتهى اجتماعه بأعضاء مجلس النواب . : بعد ذلك توالى انعقاد اللجنة المشكلة للبحث فى اللائحة المذكورة وتعديل بعض أحكامها فقررت أكثر بنودها .

خلاف الوزارة ومجلس النواب

ثم وقع خلاف بين النواب والنظار فى شأن ما يتعلق بالميزانية من بنود هذه اللائحة ومضت على ذلك بضعة أيام تنوعت فى خلالها الآراء والأقوال حتى كان يوم ٢٧ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ١٨ يناير سنة ١٨٨٢ حيث قدمت اللجنة اللائحة الأساسية لرئيس مجلس النظار على يد رئيس مجلس النواب فأمر باستنساخها وتوزيعها على النظار لتكون موضوع مذكراتهم فى الجلسة الآتية ، وكانت اللجنة قد حفظت العدد الكثير من بنودها وعدلت ما رأت لزوم تعديله .

وبعد مذاكرة النظار فيها رأوا أن يعدلوا بنودها المتعلقة بالميزانية فأصر النواب على ألا يقبلوا نهائيا تعديلا فى لائحتهم الأساسية التى وضعتها لجنتهم المؤلفة لذلك ، واشتد الخلاف بين

مجلس النظار ومجلس النواب ، حتى أدى ذلك الى استقالة وزارة شريف باشا .

تدخل انجلترا وفرنسا

وعلى أثر هذه الأحداث وفي خلالها وردت برقيات تفيد بأن دولة انجلترا ودولة فرنسا متفقتان على أن تبعثا الى الحكومة الخديوية كتابا تعلنان فيه أنهما تساعدانها بالفعل اذا استمر الخلاف والاضطراب في القطر المصرى أو اذا ما مس السلطة الخديوية شيء . وبالفعل توجه وكيلا الدولتين الى سراى عابدين في ١٩ صفر سنة ١٢٩٩ هـ الموافق ١٠ يناير سنة ١٨٨٢ وقدما للخديوى مذكرة مشتركة وردت اليهما بصفة خطاب من وزارة الخارجية الى القنصل الجنرال بمصر وأحب هنا أن أذكر ترجمتها ليعرف القارىء عبث كل من انجلترا وفرنسا :

حضرة القنصل الجنرال .. كلفناكم غير مرة أن تخبروا الجناب الخديوى وحكومته عن رغبة حكومتى انجلترا وفرنسا فى مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التى تزيد الارتباك والقلق فى القطر المصرى ، فان الدولتين على وفاق وطيد واتحاد تام فيما يتعلق بمصر ، لا سيما بعد حدوث الحوادث الأخيرة أخصها صدور الأمر الخديوى بجمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخابرة بين الدولتين واعادة النظر فى شئون اتفاقهما المذكور . وبناء على ذلك نرجوكم أن تصرحوا الآن للجناب الخديوى أن حكومتى انجلترا وفرنسا تريان وجوب تأييد جنابه فى الخديوية وفقا للأحكام المقررة للفرمانات السلطانية التى قبلتها الدولتان قبولا رسميا . باعتبار أنها وحدها تكفل الآن وبعد الآن استمرار السلم والسكون، وتوجب توسيع نطاق الثروة والعمارة فى البلاد المصرية مما فيه

مصلحة الحكومتين المذكورتين المتفقتين على الاشتراك في السعى الى دفع كل ما من شأنه أن يحدث فى مصر ارتباكا أو يخل بنظاماتها وأحوالها ، سواء كان هذا الخلل وهذا الارتباك ناشئين عن أسباب خارجية أم داخلية • ولا ريب عندنا أن هذا التصريح العلنى المبين لمقاصد الحكومتين يمنع حدوث ما عساه أن يطرأ على حكومة الجناب الخديوى من الأخطار ، وان حدث فالحكومتان لا تترددان فى دفعه ولا تحجمان عن صده • وفى أمل الدولتين أن الجناب الخديوى يعرف كنه المعرفة ما فى هذا التصريح ، فتحقق له الثقة والقوة اللتين لابد له منهما لادارة أمور القطر المصرى •

كانت هذه هى المذكرة المشتركة لدولتى انجلترا وفرنسا ولابد أن القارىء قد أدرك مقاصد الدولتين وهى بلا شك كان لها تأثير عظيم فى النفوس واضطرب منها الجند وأعضاء مجلس النواب ومأمورو الحكومة ورابهم منها أمور كثيرة وأيقنوا أن المراد منها مزيد من التدخل ، وجعل البلاد تحت حماية انجلترا وفرنسا •

ثم توجه محمود سامى البارودى ناظر الجهادية الى جميع النظار وفاوضهم فى الأمر وأبلغهم انفعال الضباط والعساكر من هذه المذكرة •••

ثم توجه بهم الى الخديوى فبسطوا لديه الأمر والرأى ، والتمسوا المداركة بما يذهب الآثار التى نشأت عنها فاستقر الرأى على اخطار الباب العالى •

أما الباب العالى فقد اعترض على هذه المذكرة مثلها بعثت بها وزارة الخارجية العثمانية الى الدولتين المتفقتين على يد سفيرى الدولة العلية لديهما •

لقد مر بنا الكلام على ما كان من تفاقم الخلاف بين مجلس النواب

ومجلس النظار فيما يتعلق ببنود الميزانية من اللائحة الأساسية ٠ وقد ذكرت أن اشـــتداد هذا الخـلاف كان سببا فى استعفاء وزارة شريف باشا ٠ ثم أرجأت اتمام الكلام على سقوط هذه الوزارة الى أن يتم ذكرى لأهم الأمور التى جرت فى عهدها ولذلك فاننى أعود مرة ثانية لذكر بقية البيان ٠ ففى يوم الثلاثاء الموافق ١١ ربيع أول سنة ١٢٩٩ أعاد مجلس النظار اللائحة الأساسية بافادة مآلها أن وكيلى الدولتين فرنســا وانجلترا لا يريان أن لا حق لمجلس النواب فى تقرير الميزانية ؛ ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة فى هذا الشأن بشرط أن يســـتقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنــود اللائحة ٠ وبناء على ذلك طلبت الحكومة من النواب أن يصدقوا على اللائحة كما عدلها مجلس النظار ، وأن يترك البند المتعلق بالميزانية، وأن يبدى النواب رأيهم النهائى فى أمر الميزانية لتجعله الحـــكومة أساسا للمخابرة مع الدولتين ٠ فلما وصلت هذه الافادة مع اللائحة الى النواب اجتمعوا فى منزل محمد ســـلطان باشا رئيس المجلس فقضوا عدة ساعات فى التداول والتشاو وقرروا فيها عدم قبــول افادة الحكومة المذكورة ٠

وعقد مجلس غير عادى فى ١٢ ربيع أول سنة ١٢٩٩ تقرر فيه احالة اللائحة والافادة المذكورتين الى اللجنة التى كانت مكلفة بتنقيح اللائحة وأن يشترط على هذه اللجنة اعادة النظر فى اللائحة وتعديلها وتقديم الجواب على الافادة قبل ظهر يوم ١٣ منه واستمرت اللجنــة الى ما بعد الغروب تقرأ التغييرات وتطالع التعديلات التى أدخلهــا مجلس النظار على اللائحة ، فصدقت على بعضها ورفضت الموافقة على البعض الآخر ٠ وتم تعيين لجنة مؤلفة من النواب وعددها خمسة عشر عضوا وكان ذلك فى يوم الخميس ٠ لتتوجه هذه اللجنة الى الخديوى طالبة تنفيذ ما قرروا واستعفاء الوزارة ٠ وفى أثناء سير اللجنة فى طريقها الى الخديوى ، مرت بمنزل شريف باشا وطلبت منه جوابا

نهائيا . فرفض فذهبت الى الخديوى وطلبت منه أحد الأمرين : — اما قبول اللائحة أو تغيير الوزارة . فأمهلها الخديوى الى صباح السبت فانصرفت اللجنــــة . ثم ذهب شريف باشا وقنصــلا الدولتين الى الخديوى فى مساء يوم الخميس وكان شريف باشا مصرا على موافقة رأى القنصلين المذكورين ورفض طلب أعضاء مجلس النواب وبناء عليه استعفى فى الحال . فاستدعى الخديوى لجنة النواب وكلفها أن تختار رئيســا للوزارة فامتنع أعضاؤها وقالوا أن هــذا من حقوق الجناب الخــــديوى ، فألح عليهم كثـــيرا ولكنهم ثبتوا على الامتناع وانصرفوا . وطلبهم الخديوى مرة ثانية فى صباح يوم الجمعة الموافق ١٤ ربيع أول سنة ١٢٩٩ وكلمهم مكررا عليهم تعيين من يختارونه لرئاسة النظار فلم يعدلوا عن المسلك الذى سلكوه من قبل ، وأخيرا قالوا اننا نريد وزارة تنفذ لائحة النواب .

وزارة البــارودى

وعين محمود سامى البارودى باشا فأظهروا الرضاء والسرور فاستدعاه الخديوى اليه وقلده الرئاسة وكلفه بأن يؤلف الوزارة . فتوجه الخديوى توفيق الى منزله وعقد مجلسا مؤلفا من لجنة النواب وجرت المذاكرة بينه وبينهم فوقع الاختيـــار على الأشخاص الآتى أسماؤهم : —

١ — محمود سامى البارودى باشا
للرئاسة والداخلية

٢ — أحمد عرابى بك
للجهادية والبحرية

٣ ـ علي صادق باشا
للمالية
٤ ـ مصطفى فهمي باشا
للخارجية
٥ ـ عبد الله فكري باشا
للمعارف
٦ ـ سليمان أباظة باشا
للحقانية
٧ ـ حسن باشا الشريعي
للأوقاف
٨ ـ محمود فهمي بك
للأشغال

وقد أعلن ذلك للقناصل رسميا .

وفي ذلك الحين اجتمع ولفرد بلنت بأحمد عرابي وزملاءه ، واتفقوا على انشـــــاء ما يعود على البلاد والجيش بالخير واليمن والبركات فكتب بلنت لائحة أقر فيها ما دار في أذهان العرابيين ولما عرضها عليهم قالوا : **هذه هي أفكار الحزب الوطني** . وقد ادعت جريدة « التيمس » أن عرابي أرسل لها خطـــابا يتضمن برنامج الحزب الوطني المصري ومطالبه وأمانيه ومساعيه . فتناقلت بعض الجرائد وشركات التلغراف خبر هذا الخطاب . الا أن « الوقائع المصرية » كذبته وكذبه أيضا « المستر ولفرد بلنت » حين قال : ـ

« ان اللائحة المشتملة على أفكار الحزب الوطني التي نشرتها جريدة التيمس لم ترسلَ اليها من أحمد عرابي باشا بصفة رسالة بقلمه وأمضائه كما زعم تلغراف روتر والتيمس ، بل باجتماعي

معه ومع زملائه من رجال الجيش المصرى وبعض علماء الأمة المصرية.
وقد رأيت أن أفكارهم لا تخرج عن هذه اللائحة ، وبعد أن كتبتها عرضتها عليهم فقالوا هذه هى أفكار الحزب الوطنى بالجيش ، فلما وافقوا عليها أرسلتها الى جريدة التيمس باسمى وأمضائى لا باسم عرابى باشا » .

لائحة الحزب الوطنى

ولائحة الحزب الوطنى المشار اليه وما جاء بها كالآتى : ــ

أولا : يرى الحزب الوطنى محـــافظته على العــلاقات الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ ذلك البـــاب ركنا يستند عليه فى أعماله ويعتقد أن جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله فى أرضـــه وامام المسلمين ، ولا يريد قطع هذه الصلات والعلاقات وما دامت الدولة العلية فى الوجود ، ثم يعترف باستحقاق الباب العالى لما يأخذه من الخراج وما يلزمه من المساعدة العســـــكرية اذا طرأت عليه حرب أجنبية وهذا بمقتضى القوانين والفرمانات الشاهانية . كما يعتقد هـــذا الحزب أنه يحافظ على امتيازاته الوطنية بكل ما فى وسعه ويقاوم كل من يحاول اخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية .

ثانيا : هذا الحزب يخضع للجناب الخديوى الحالى وهو مصمم على تأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية على قانون العدل والشريعة حسب ما وعد به المصريين فى شهر سبتمبر سنة ١٨٨١ وقد قرن هذا الخضوع بالعزم الأكيد على عدم عودة الاستبداد والأحكام الظالمة التى أورثت مصر الذل وبالالحـــاح على الحضرة الخديوية بتنفيذ ما وعدت به من الحكم الشـــورى واطــلاق عنان الحرية للمصريين

ويطلبون منهـا الاستقامة وحسن السلوك في جميع الأمور وهم يستاغدونه قلبا وقالبا كما أنهم يحذرونه من الاصغاء الى الذين يحسنون اليه الاستبداد والاجحاف بحقوق الأمة .

ثالثا : رجال هذا الحزب يعلمون أن استمرار المراقبة الأوربية هي الكفالة العظمى لنجاح أعمالهم مع قبول تلك الديون الأجنبية حرصـا على شرف الأمة ، وان كانت تلك الأموال لم تصرف في مصلحة مصر ، بل صرفت في مصلحة حاكم ظالم لا يسأل عما يفعل .

ثم انهم يرون أن النظام الحالي لم يكن الا وقتيا والا فانهم يؤملون أن يستخلصوا ماليتهم من أيدي أرباب الديون شيئا فشيئا حتى يأتي يوم تكون مصر فيه بيد المصريين وهم لا يخفى عليهم شيء من الخلل الحاصل في المراقبة ومستعدون لاذاعته فانهم يعلمون أن كثيرا من المستخدمين في قلم المراقبة لا يقدرون على القيام بوظائفهم ولا يراعون حق الشرف والاستقامة .

رابعا : رجال الحزب الوطني يبتعدون عن الأخلاط الذين شأنهم احداث القلاقل في البلاد ، أما لمصلحة شخصية تحسن بها أحوالهم أو خدمة للأجانب الذين يسوؤهم استقلال مصر وهؤلاء الأخلاط كثيرون في البلاد . والمصريون يعلمون أن الصمت على حقوقهم لا يخولهم الحرية في بلاد ألف حكامها الاستبداد ، وكره الحرية ، فان اسماعيل باشا لم يمكنه من الظلم والاستبداد الا سكوت المصريين ، وقد عرفوا الآن معنى الحرية الحقيقية في هذه السنين الأخيرة فعقدوا خناصرهم على توسيع نطاق التهذيب ورجوا أن يكون ذلك بوساطة مجلس الشورى (الذي انعقد حينذاك وبوساطة حرية المطبوعات بطريقة ملائمة وتعميم التعليم ونمو المعارف بين أفراد الأمة .

خامسا : الحزب الوطنى حزب سياسى لا دينى فانه مؤلف من رجال مختلفى الاعتقاد والمذاهب ، ومن يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم لهذا الحزب .

سادسا : آمال هذا الحزب محصورة فى اصلاح البلاد ماديا وأدبيا ولا يكون ذلك الا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف واطلاق الحرية السياسية التى يعتبرونها حياة للأمة .

كانت هـذه هى لائحة الحزب الوطنى التى تشـكل لحماية مصـالح المصريين وآمالهم من عبث المستبدين ونرى من ذلك أن عرابى كان قائده ورائده وزعيمه . ثم نعود لنرى تشكيل وزارة محمود سامى البارودى كما ذكرنا آنفا وأعلن هذا رسميا لقناصل الدول . فبعد أن تم تشـكيل الوزارة على النحو المذكور ، اجتمع ضـباط الجيش فى سراى قصر النيل وأظهروا الفرح والسرور بالوزارة الجديدة وشكروا الخديوى على ذلك وهنأوا محمود سامى باشا بالرئاسة واطمأنت قلوبهم بتقليد أحمد عرابى وزارة الجهادية والبحرية وفى هذه الأثناء قام عبد الله النديم وخطب خطبة فى ثمرة الإتحاد ونتيجة التحالف والحرية والتعـاون وحب الوطن وأقيمت احتفالات عظيمة بهذه المناسبة . وتوجه وفد من أهـل الاسكندرية الى الخديوى ورفعوا شكرهم اليه وأعربوا عن سرورهم بما حـدث من تأليف وزارة وطنية حرة ثم ورد من وجوه دمياط وأعيانها عريضـة للخديوى ومحضر لرئاسة النظار وآخر لرئيس النواب يظهرون فيها أنهم ونوابهم يد واحدة وفكر واحد ويشكرون للخديوى انفاذه لرأى النواب وقد أنابوا عنهم فى تقـديم المحاضر الشـيخ « أمين أبو سيف » وبعـد استقرار البارودى باشا فى الرئاسة أرسـل منشورا الى جميع المديرين والمحافظين فى الديار المصرية للسهر على الأمن والنظام وسياسة البلاد بالعدالة والمصلحة .. وقد عقد مجلس النظار جلسة فى ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ دارت

المذاكرة فيها على لائحة النواب . ثم وفد على مجلس النواب ناظر المعارف وناظر الأوقاف في ٧ فبراير سنة ١٨٨٢ وقدما اللائحة كما استقر عليها رأى مجلس النظار فقبلها النواب قبولا اجماعيا وصدر قرارهم بذلك .

وفي اليوم التالي توجه محمود سامي باشا الى مجلس النواب ومعه اللائحــة مقررة فقوبل بالتعظيم وسر النواب لنفاذ رأيهم فشكروا الوزارة الجديدة ووقف البارودي باشا وألقى خطابا جامعا قوبل بالتأييد والاستحسان .. فقام سلطان باشا رئيس مجلس النواب وأجاب على خطاب رئيس مجلس الوزراء فبين فوائد الاتحاد والغيرة والهمة وشكر للوزارة تلبيتها للمجلس في تقرير لائحته ثم توجه النواب الى الخديوى وشكروه على تشكيل الوزارة التي لبت للأمة ما طلبت ثم توجهوا الى رئاســة الوزراء فشكروا أيضــا اهتمامها بأمر مجلسهم ثم زاروا كل ناظر في نظـارته ثم انصرفوا مستبشرين وبعد التصديق على اللائحة أقيمت الاحتفالات واحتفلت جمعية المقاصد الخيرية احتفالا اجتمع فيه النظار والأمراء والعلماء وضباط الجهادية وأعيان مصر وشبانها وقام عبد الله النديم وافتتح الخطابة فاقتدى به كل من أديب اسحق وابراهيم اللقاني ومصطفى ماهر والشيخ محمد عبده والسيد حسن الشمسي وفتح الله صبرى واستمرت الخطب تتلى حتى الثالثة بعد منتصف الليل .

لقد كان أحمد عرابي يتمتع بصفة صادقة من صفات الزعامة الحقة والشهامة الأكيدة ، شأنه شأن كل بطل يسعى لتحقيق آمال أبناء الشعب الذى يتزعمه ويقود ركب أمته للوصول الى أســمى وأعظم قمم المجــد والخلود . فبعد ما أسندت اليه نظارتا الجهـــادية والبحرية شرع في تنفيذ القوانين والاصلاحات العسكرية الجديدة التي صدر الأمر الخديوى باعتمادها واعتبارها قانونا فابتدأ بصرف اســـتحقاق ورثة المتوفين في الحروب وغيرها الذين لم يلتفت الى

شكواهم من أمر بعيد تنفيذا لقانون المعاشـــات الجديد ، وبذلك فتحت بيوت كثيرة بعد أن أخنى على أهلهـــا الدهر · وحيث أن القوانين واللوائح المصرية اذ ذاك كانت حبرا على ورق · فقد أصدر عرابى أمرا بتأليف لجنة عسكرية كان من أعضائها قاسم بك فتحى حكيمباشى الجهـــادية وغيره من الأطبـــاء لفرز الضباط العاملين والمستودعين لمعاملتهم بحسب ما نص عليه قانون المعاشات فأتمت اللجنة عملها وقدمت كشفا لديوان الجهادية بشأن نحو ٣٠٠ ضابط تجاوزوا السن المحددة لكل رتبة فى القانون المذكور وفيهم كثير من شيوخ الترك والجركس فأحيلوا جميعا الى المعاش · ثم تتوالى المؤامرات لنشهد مؤامرة الضباط الجركس « الجنســية » حين أخبر طلبه باشا عصمت حكمدار اللواء الأول الزعيم أحمد عرابى ، بأن راشد أفندى أنور أخبره بأن بعض الضباط الجراكسة تحالفوا على اغتيال ناظر الجهادية ورؤساء الضباط الوطنيين وجميع النظار ، ثم ذكر بعض اسماء للمتآمرين · وقد كان راشد أفندى هـــذا محل ثقه فيما يرويه لشهرته بالصلاح والتقوى · وعرض عرابى الأمر على هيئة النظـار ثم على الخديوى فتقرر اجراء تحقيق سريع لمعرفة حقيقة هذه المؤامرة فى مجلس حربى · ثم تألف مجلس حربى من عشرين عضوا منهم : ـ مرعشلى باشا وخورشيد طاهر باشـا تحت رئاسة الفريد راشد باشا حسنى الجركسى الأصلى · وقد اختاره عرابى رئيسا لهذا المجلس لاعتداله ونزاهته وصـــلاحه وتقواه ، حتى يكون التحقيق خاليا من الأغراض وتكون الأحـــكام عادلة خالية من شوائب الظلم ·

وبـدأ المجلس فى التحقيق مع من عرف عنهم تدبير المؤامرة وهؤلاء بوجود ١٨ ضابطا مشتركين معهم فى المؤامرة · وبعد القبض عليهم وجد معهم أسلحة نارية غير الأسلحة الأميرية فجردوا منها ثم اعترفوا باشـــتراك غيرهم معهم فى تلك المكيدة ودلوا عليهم ·

وكان من هؤلاء أيضا عثمان باشا رفقي الذي كان سببا في كل هذه المؤامرات ويوسف بك نجاتي ومحمود بك فؤاد . وفي ٢٠ من الشهر المذكور بلغ عدد الذين قبض عليهم أربعين رجلا . وبسؤال يوسف نجاتي بك وغيره اعترفوا بأن راتب باشا هو المؤسس لتلك المؤامرة في بيت أحمد أفندي راشد والملازم أول بحارة الروزنامجه القديمة بحضور كل من محمود أفندي طلعت الملازم ويوسف بك نجاتي أميرالاي سواري ومحمد آفندي نيازي وأمين أفندي شكري وسليم أفندي شوقي اليوزباشي وعمر أفند رحمي المعاون بضبطية مصر ، ومحمد أفندي شفيق الملازم ، وأحمد أفندي فهيم وخليل أفندي حسني الملازم ورشوان أفندي نجيب الملازم أول وأحمد أفندي وصفي الملازم بالمخالفات .

وفي ٣٠ أبريل سنة ١٨٨٢ صدر حكم المجلس الحربي على الضباط وعددهم ٤٠ ضابطا في جملتهم عثمان رفقي باشا بالنفي المؤبد الى أقاصي السودان مع تجريدهم من الرتب العسكرية والامتيازات والنياشين على شرط أن يكونوا متفرقين في الجهات التي ينفون اليها ولا يجوز أن يكونوا في مركز الحكمدارية . وصدر الحكم كذلك على اثنين من الملكية بالنفي على الصورة التي تقدم بيانها مع التجريد من الحقوق المدنية . وحكم على راتب باشا الذي عد محركا لهذه القضية بالتجريد من الرتب العسكرية والامتيازات والنياشين وعدم العودة الى مصر واذا عاد فينفى على مقتضى الصورة السالفة . وقد اعتبر أن الخديوي السابق (اسماعيل) هو الباعث على هذه الحركة مستعينا في بثها بالمرتبات التي تصرف له من خزينة الحكومة . ولذلك تقرر أن يكون للخديوي ولمجلس النظار النظر في أمر قطع مرتباته أو تقليلها ثم رفع هذا الحكم لمجلس النظار ثم للخديوي للتصديق عليه . أما عرابي فقد كان يرى أن تأليف القلوب خير من التفريق بين أعضاء الأمة ، والانتفاع بأولئك

الضباط اذا تابوا لعقولهم خير من فقدهم فى فيافى السودان المحرقة . فقد توسل لدى الخديوى أن يبدل هذه الاحكام بأن يرسلوا الى الآستانة العلية ثم بعد مدة وجيزة يصدر عفو الخديوى عنهم ، ويعودون الى أولادهم ووطنهم .

وهذه صورة تؤكد لنا صفات الكرم وحمادة الخلق والزعامة الاكيدة فى شخصية أحمد عرابى .. فعجب الخديوى والنظار لتلك الشفقة المتناهية ، وصدر الامر الخديوى بنفى المحكوم عليهم من القطر المصرى مع الترخيص لهم بالتوجه أنى يشاءون برتبهم ونياشينهم ؛ فشكر عرابى الخديوى على قبول التماسه فى تلطيف الحكم عليهم ولم يذكر شيئا عن رأتب الخديوى السابق فى هذا الأمر .

وبناء على الأمر الخديوى صار ارسالهم جميعا الى الآستانة العلية برتبهم وامتيازاتهم ونياشينهم وهناك شملتهم العناية السلطانية وأسكنتهم فى سراية ملوكية وأغدقت عليهم بالنعم الشاهانية والمرتبات الواسعة على نفقة الجيب السلطانى من وقت وصولهم الى أن صدر الامر الخديوى بالعفو عنهم وعودتهم الى مصر بعد الاحتلال الانجليزى وهزيمة العرابيين .

وبعد ذلك أى فى ذلك الخضم من المؤامرات التى كانت تحيط بعرابى والعرابيين سوف نرى كيف أن انجلترا وفرنسا كانتا ضمن من نسجوا خيوط المؤامرات التى أحاطت ليس بعرابى والعرابيين فحسب بل بمصر كلها وشعب مصر المناضل طمعا فى ثروات البلاد وخصوبة الارض الطيبة الطاهرة .

وقد ظهر هذا جليا بعد نجاح الحزب الوطنى فى إعمالة وتأليف الوزارة الوطنية الحرة التى صدقت على قانون مجلس النواب الاساسى ولائحة انتخاب أعضائه وايضا صدور الأمر الخديوى

بالتصديق عليها . فقد كبر على انجلترا هذا الامر واستمالت اليها فرنسا للاستعانة بها على اطفاء نور الحرية وطمس آيات العدالة التى ظهرت فى وادى النيل الذى هو مطمع ومطمح أنظار الدولتين منذ أمد بعيد .

وحيث أن الخديوى رمى بنفسه فى أحضـــان الانجليز سرا قبيل عزل اســـماعيل باشا لأنه كان متخوفا من والده واخوته ، وذلك بمقتضى عهـــد أخذ عليه ينص على أن يكون لانجلترا النفوذ الاول فى الحكومة المصرية ، وأن الخديوى لا يخالف لها أمرا ، وعلى الحـكومة الانجليزية أن تحفظ حياته وبلاده من الداخل والخارج . وقد أوعز اليه السير «مالت» قنصـــل جنرال انجلترا أن يستنجد بالانجليز ليعيدوا له سلطته الاستبدادية ففعــل . وحين ذاك اتفق اللورد «جرانفيل» ناظر خارجية الانجليز مع المسيو «جمبتا» ناظر خارجية فرنسا على أن تطلب فرنسا من الانجليز التدخل فى المسألة المصرية بارسال أســطول مؤلف من سفن انجليزية وفرنسية ، فطلبت ذلك ووافقت انجلترا على طلب فرنسا المخـــدوعة بسياسة « جمبتا » الذى باع مركز فرنسا فى مصر بثمن زهيد جدا . وبنـاء على ذلك ورد من باريس أن المسيو «رى فريسينيه» رئيس وزراء فرنسا اذ ذاك صرح فى جواب ألقـــاه على سؤال : أن فرنسا تود حفظ استقلال القطر المصرى على الصورة المؤيدة بالفرمانات العديدة بحيث لا يطرأ عليه أقل تغيير وأن اتحاد فرنسا وانجلترا يؤيد هذا الاستقلال . ثم قال أن الحوادث ربما تستلزم اتفاق جميع الدول الاوربية لتسوية المسائل المصرية ، ولكن بمـــا أن الدول تعترف لفرنسا وانجلترا بأفضلية المصـــالح فى ذلك القطر فسيكون من الواجب عليهما أن يديرا سياستهما بحزم أكثر وثبات أقوى . وعلى أثر ذلك شاع أن سيأتى الى الاســـكندرية أسطول فرنسى وآخر انجليزى وأن الباب العالى سيرسل الى مصر وفدا مؤلفا من بعض رجال الدولة وأن الدول وفى مقـــدمتها الدولة العليـــة ستتدخل

بالفعل فى أحوال مصر فأوجس النسياس من هذه الاخبار خيفة ، وأيقنوا بقرب تعاظم المشاكل ودخول مصر فى طور جديد .. ثم ورد تلغراف من باريس ينبيء بأن الاسطول الفرنسى الذى سافر من « بيره » على مقربة من جزيرة « كريت » سيجتمع بالاسطول الانجليزى الآتى من « كورفو » ثم يسير الاثنان الى القطر المصرى ، فكان ذلك مثبتا للأنباء السابقة . ثم ورد تلغراف من الآستانة يعلن أن الباب العالى أرسل الى الدول يعترض على ارسال الدوارع الاجنبية الى القطر المصرى استنادا الى أن الاحوال الجارية اذ ذاك فيه لا تدعو الى مثل هذا التدخل ، فضلا عن أنه يجب أن يعهد فى ذلك الى الدولة العثمانية . وفى ١٥ مايو سنة ١٨٨٢ وفد السير «ادوارد مالت» وكذلك المسيو «سنكوفيش» قنصلا فرنسا وانجلترا على الخديوى وأخبراه بصفة رسمية عن قدوم الاسطول وأنه يصل الاسكندرية فى صباح ١٧ منه ثم نشر «السير مالت» منشورا بعث به الى قنصل حكومته فى القطر المصرى يخبرهم فيه بما كان ويبين لهم السياسة التى يجب أن يتبعوها ويعلمهم بأن وصول السفن ليس فيه ما يوجب تكدير العلاقات فان قدومها انما هو بطريق المسالمة وبصفة ودية .

وفى ١٩ مايو وفدت على ميناء الاسكندرية دارعة انجليزية وفى ٢٠ منه دخلتها دارعتان انجليزيتان وفى ٢١ منه دخلتها سفينتان حربيتان ، وعلم فى ذلك اليوم أن كلا من الدول الاوربية (ما عدا انجلترا وفرنسا) سترسل سفينة أو اثنتين الى المياه المصرية على غير اشتراك مع الاسطولين الفرنسى والانجليزى وبعد قدوم الأسطولين جاء قنصل فرنسا الى منزل رئيس النظار وأعلن له طلب الدولتين فاستدعى الرئيس زملاءه النظار وتشاوروا فى الأمر وبعد المداولة اتفق رأيهم على أخذ رأى الخديوى فى هذا الحادث الجلل فتوجه اليه رئيس النظار محمود سامى البارودى وناظر الخارجية مصطفى فهمى وأخبراه بما حدث . فأجابهم بأنه ينتظر فى هـذا

الشأن تعليمات ترد اليه بعد يوم أو يومين وأخذت المخابرات تجرى بين القنصلين والوزارة فى هذا الخصوص ٠

ثم ورد فى جريدة « التيمس » حينذاك أن ارسال الدوارع الى مياه مصر لم يقصد به الا تعزيز الخديوى وتأييد سلطته ، فأول شيء يجب اجراؤه هو حمل عرابى على التنحى عن الادارة والسياسة وقلب الوزارة ٠ واذا لم يكف ارسال الدوارع لبلوغ الغاية ترتب على ذلك استخدام القوة لاكراه عرابى واعوانه على تنفيذ مطالب الدولتين ٠ ويتم ذلك بارسال بعض الجنود الى القطر المصرى ولمجانبة لمس استقلال مصر يجب أن تكون تلك الجنود جنودا عثمانية ٠ واذا تمرد المصريون عليها عدت مصر عاصية على الدولة ، فيترتب اذ ذاك على الدول أن تنظر فى هذا الأمر ٠

وقد تناقلت الجرائد هذا المقال وعلقت عليه بالشروح والملاحظات فكان له ولها وقع شديد التأثير فى النفوس ٠ وفى خلال ذلك طلب الباب العالى من فرنسا وانجلترا أن تستردا أسطوليهما فأجابتاه بأنهما لا تسترجعانهما الا بعد أن تعود الى مصر راحتها ويستقر فيها النظام ٠

وتقدمت الدولتان فى ٢٥ مايو بالانذار الأخير للوزارة المصرية بطريقة رسمية ويقضى باسقاط الوزارة المصرية بطريقة رسمية أيضا وخروج عرابى من القطر المصرى ، فتضمن له الدولتان حفظ راتبه ومرتباته ونياشينه واقامة عبد العال حلمى وعلى فهمى فى الأرياف بجهات لا يخرجان منها فتضمن الدولتان رتبهما ونياشينهما ورواتبهما ٠ وطلبت الدولتان تسريح صفوف العساكر فلا يبقى منها الا القدر اللازم لحفظ الحدود القبلية ٠ وحين تلقى النظار هذا الانذار اجتمعوا فى منزل رئيس النظار محمود سامى البارودى وقرروا بالاتحاد أن هذا الانذار يعتبر تدخلا مغايرا للمحالفات الدولية

والحقوق الوطنية بل يعد اعتداء محضا . ورأوا عرض الأمر على الخديوى لأخذ رأيه فتوجه رئيس النظار وناظر الخارجية وعرضا عليه الأمر ورفض النظار للانذار المذكور رفضا بتا ، فأجابهما الخديوى بأنه قبل هذا الانذار فأجابا بأن مثل هـذا الأمر يعتبر خلافا عظيما بين الوزارة والخديوى يستلزم استدعاء مجلس النواب للنظر فى مصلحة بلادهم . وطلبا من الخديوى صدور أمره بجمع مجلس النواب فرفض . فقروا بالاجماع استدعاء مجلس النواب وعرض الخلاف عليه وقد عقد مجلس النواب وعرض عليه الخلاف المذكور . ثم قدم النظار استعفاءهم فى ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ محتجين على انذار الدولتين . فقبل الخديوى استعفاءهم بالفرح الشديد .

وقد أقام الخديوى بعدها احتفالا عظيما حضره النواب والأعيان والعلماء وذلك فى يوم ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ . وألقى الخديوى خطابا قال فيه : «ان السياسة اقتضت استعفاء الوزارة وقبول انذار الدولتين فرنسا وانجلترا ، وانى حفظت لنفسى رئاسة الجهادية وادارة المصالح الادارية لحين تشكيل وزارة جديدة» .

وبعد انتهاء الحفل وخروج المدعويين . وصل تلغراف للمعية من ضباط آلايات الاسكندرية بأنهم لايرضون نهائيا غير عرابى باشا ناظرا للجهادية وان مضت ١٢ ساعة ولم يرجع عرابى الى منصبه كانوا غير مسئولين عما يحدث مما لايستحب وقوعه وكان هذا بمثابة انذار للخديوى من آلايات اسكندرية . وما أن وصل خبر استعفاء الوزارة واحتجاجها على قبول الخديوى لانذار انجلترا وفرنسا حتى بلغ الاضطراب فى جميع بلاد القطر مبلغا عظيما وأخذ القلق من النفوس مأخذا جسيما فكثر اللغط وزادت بواعث الخوف . ثم حضر الى العاصمة جميع أعيان البلاد ومستخدمى الحكومة وقدموا لعرابى وزملائه مئات من

العرائض بواسطة مديريهم محتجين فيها على عمل الخديوى هذا مطالبين بأحد أمرين :

● رفض اللائحة المذكورة .

● عزل الخديوى الذى قبل تدخل الأجانب فى أحوال البلاد الداخلية .

فلما أحسن الخديوى توفيق بذلك بعث الى الحضرة السلطانية تلغرافيا بأن الوزراء استعفوا محتجين على قبول لائحة الدولتين وأن الجند غير راضين بما حصل . فورد تلغراف من الباب العالى مضمونه أن الحضرة السلطانية أمرت بتأليف لجنه عثمانية تأتى الى مصر بعد ثلاثة أيام للنظر فى الحالة . ولما ازداد الخوف ذهب الى منزل أحمد عرابى جميع قناصل الدول ماعدا قنصلى انجلترا وفرنسا يطلبون منه التأمين على رعاياهم فأجابهم عرابى بأنه قد استعفى ولا صفة له تخوله تحمل هذه المسئولية العظيمة !

فقالوا له : ان الجيش لا يخالف ارادتك وأنت رئيس الحركة الوطنية ، فلا نأمن على رعايانا وأنفسنا الا باعطائك لنا كلمة شرف بحفظ رعايانا .

ولكى يطمئنهم عرابى كتب تلغرافا الى جميع مراكز العسكرية بصفته رئيس الحزب الوطنى يطلب منهم فيه أن يلزموا الهدوء والسكينة ويحافظوا على راحة الجميع، وخصوصا رعايا الدول الأجنبية وأن يعاملوهم بحسن المعاملة وكمال المجاملة .

و ليلة السابع والعشرين من مايو ١٨٨٢ دعى عرابى الى منزل سلطان باشا رئيس مجلس النواب. فذهب اليه ومعه اخوانه على فهمى وعبد العال حلمى ومحمد عبيد وغيرهم من الضباط

وعند وصولهم وجدوا المنزل غاصا باعضاء مجلس النواب ومعهم قاضى قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن أفنـدى نافذ والشـيخ عبد الهادى الابيارى « امام المعية الخديوية » وتم الاتفـاق على ملازمة الراحة والسكون ، وأن يطلب من الخديوى رفض الانذار الثنائى ويأمر برجوع أحمد عرابى الى نظارة الجهادية والبحرية او يعزل عزلا ، وفى هذه الاثناء حضر بحـديقة المنزل جماعة من الضباط والنبهاء من الملكية وغيرهم وصاحوا قائلين : ـ « اعزلوا الخديوى الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرنا وتهديدنا باساطيلهم »

ثم خرج عرابى ومن معه من الضباط وتوجهـوا الى منزل محمود سامى باشا فوجدوا كثيرين من الذوات هنـاك ينتظرون ما عسى أن يحدث من مخبآت الدهر ، فقابلهم عبد الله باشا فكرى الذى كان أستاذا ومربيا للخـديوى فى صـغره وسـألهم : هل قتلتموه ؟

فقال له عرابى : « من تعنى ؟ ! » فقال : « أعنى الخديوى .. الم يقتل ؟! » فقال عرابى : « اننا لا نقتل أحدا بغير حكم شرعى ، فلا يليق بك أن تتكلم بهذا الكلام » .

وفى اليوم التالى فى صباح السبت ٢٧ توجه رئيس مجلس النواب سلطان باشا وحسن باشا الشريعى وسليمان باشا أباظة الى أحمد عرابى وسـلموه أمر الخـديوى القـاضى برجوعه الى نظارة الجهادية والبحرية وأخبروه بأنهم لما وفدوا على الخديوى وجدوا جميع القناصل فى حضرته ما عدا قنصلى انجلترا وفرنسا وانهم طلبوا من الخديوى صدور أمره برجوع عرابى الى نظارة الجهـادية والبحرية لأجل اطمئنـان الجميع على وعاياهم . ثم توالى اجتماع قنصلى انجلترا وفرنسا بالخديوى ليـلا ونهـارا وأما عرابى فأرسل الى جميع قناصل الدول منشورا تكفل لهم فيه بتأييـد الأمن والراحة لجميع سـكان القطر المصرى وطنيين

واجانب مسلمين وغير مسلمين ، وطلب من الخديوي ضرورة جمع العساكر لاستكمال الآلات على مقتضى القدر المقرر فى الفرمانات السلطانية ، فأجابه الخديوى بالموافقة على ذلك وصدر أمر الجهادية بجمع عساكر الامدادية نمرة ٢ ونمرة ٣ استعدادا لما عسى أن يطرأ من الحوادث .

وبعد ذلك حاولت فرنسا وانجلترا التدخل بخديعة على نحو جديد ، بأن أرسلتا الى سفيريها فى الآستانة أوامر بأن يعرضا على الباب العالى ان يتدخل باسم أوربا فى القطر المصرى تدخلا غير مطلق بل معين الحدود وأن يكون ابتداء هذا التدخل بارسال مأمور على سفينة واحدة حربية يحض الضباط المصريين على الامتثال لأمر الخديوى والخضوع لارادته ويصدق على تصرفه فى أعماله . وبعد ذلك اجتمع الوزراء فى الآستانة ونظروا فى تدخل الباب العالى فى القطر المصرى وقرروا انه اذا دعت الحاجة الى ذلك فلا يكون التدخل الا بمقتضى سيادة الحضرة السلطانية على القطر المصرى التى تعترف بها أوربا وليس على الوجه المقيد كما عرض سفيرا انجلترا وفرنسا • وثبت أن الدولتين أرسلتا الى الباب العالى مذكرة مشتركة تطلبان أن يؤمر عرابى وسائر زعماء الحزب العسكرى أمرا قطعيا بالذهاب الى الآستانة وعرضت فرنسا ان يعقد مؤتمر فى الآستانة يكون أساس أعماله تأييد الحالة المقررة للقطر المصرى . فوافقتها انجلترا على ذلك وطلبت المانيا واستراليا وروسيا وايطاليا من الباب العالى أن يوافق على لائحة فرنسا وانجلترا • وأبلغت انجلترا الباب العالى بأن ما تريده هو رفع العلم العثمانى فى القطر المصرى وارسال المعتمد السلطانى على مدرعة حربية عثمانية • وأثبت المسيو « فريسينيه » رئيس وزارة فرنسا فى مجلس النواب الفرنسى أن لا شىء يدعو الى تدخل الجنود الفرنسية فى القطر المصرى لأن اتفاق الدول الأوربية وحده يتكفل بحل المشاكل المصرية على وجه سلمى بدون أن تنشأ

المصاعب فى مصر وأوضح المستر « جلادستون » رئيس وزراء انجلترا فى مجلس العموم أن انجلترا ترى من الواجب عليها ان تؤيد الخديوى توفيق فى منصبه على حسب تعهدها له وتعهده لها ، لما أظهره من ادلة الصداقة والاخلاص .

وفى ٢ يونيو ١٨٨٢ ، عين درويش باشا معتمدا عثمانيا ليأتى الى القطر المصرى للتحقيق ، فسافر من الآستانة ووصل ثغر الاسكندرية فى ٧ يونيو على السفينة الشاهانية «عز الدين »ومنها حضر الى العاصمة للنظر فى الخلاف الواقع بين الخديوى والامة المصرية . وكان قد اكتمل فى مياه الاسكندرية الى ذلك التاريخ عدد من السفن الحربية التى أرسلتها انجلترا وفرنسا وقدمت لها أيضا سفن أخرى مختلطة من سفن الدول لحماية رعاياهم . وكانت مدينة الاسكندرية مكتظة بالناس من الواردين اليها من الأجانب والوطنيين . فتعاظمت المخاوف وازداد ارتعاد الفرائص بحيث كان الناظر لا يرى الا وجوها علتها صفرة الخوف وقلوبا واجفة تملكها الرعب والفزع .

ولكثرة تردد قنصل انجلترا « السير مالت » على الخديوى ليلا ونهارا واستسلام الخديوى بما يوحى به اليه بدا أن انجلترا طامحة فى الاستيلاء على وادى النيل الخصيب عملا بقاعدة التوازن الدولى لتضارع بعملها هذا عمل فرنسا فى استيلائها على « ولاية تونس » .

وقد كتب عرابى للحضرة السلطانية بكل ذلك ، وحيث أنه لا توجد واسطة فى الآستانة تبلغ مقاصده اتخذ على راغب قبودان احد شبان البحرية المصرية رسولا وكلفه بابلاغ عريضته الى الحضرة السلطانية بواسطة الشيخ محمد ظافر شيخ السادة الشاذلية وشيخ الحضرة السلطانية فصدع للأمر وأوصل الرسالة للشيخ المذكور وكذلك أبلغ أحمد راتب باشا ما أوصاه عرابى به

بعد عودته من مأموريته الحجازية الى دار السعادة فكتب الشيخ ظافر الى عرابى وصــحبه بما صــدر به النطق الشريف وكذلك فعل أحمد راتب باشا وكان الحامل لهذين الخطابين عن الحضرة السلطانية السيد أحمد اسعد أفندى وكيل ألفراشة النبوية الذى حضر اخيرا بمرافقة درويش باشا .

الا أن الانجليز كبر عليهم نجاحالمصريين فى أعمالهم الوطنية . فأرادوا أن يشوهوهم فى نظر أوربا فأخذوا يفــكرون فى مؤامرة توجب التدخل بالقوة الحربية فدعا المســتر « كوكس » قنصــل انجلترا جميع القناصل واظهر لهم ان المصريين فى هياج شــديد من وجود الأساطيل الحربية فى الثغر ويخشى من هجوم الرعاع على الأوربيين وأخذهم على غرة ويجب الحزم واتخــاذ التدابير اللازمة لحفظ أرواحهم ووقاية أموالهم . فعقدوا عدة اجتماعات ثم قرروا باجماع الرأى أن يحشدوا عددا هائلا من الأفرنج وأن يهيئوا له الأسلحة اللازمة ويجعلوه قائما على قدم وساقاستعدادا لدفع الشر عند حدوثه ثم استشاروا فى ذلك أميرى الأسطوليين الفــرنسى والانجليزى ، فوافقـــاهم على ذلك ثم ورد الى دار القنصلية الانجليزية كمية وافرة من الأسلحة والجبخانة . فهاجت الأفكار وتوجس الناس شرا . ثم كتب قناصل الاســكندرية الى القناصل الجنرالية بمصر بما عزم الأوربيون عليه وأوفدوا اليهم (بودنكى) قنصل « أسوج ونروج » الجنرال معتمدا من قبلهم ليعقدوا مخابرة فى هذا الشأن . فلم يفز عملهم هذا بالرضا ولم يحز قبولا بل انكره عليهم أكثر القناصل .

مذبحة الإسكندرية

وكان يوم ١١ يونيو عام ١٨٨٢ . فقد حدث أن رجلا مالطيا من رعايا الحكومة الانجليزية ركب حمارا ونزل بجهة قسم اللبــان

وترك صاحب الحمار من غير أن يوفيه حقه من أجر فطلب منه صاحب الحمار حقه فطعنه المالطى بسكين والقاه صريعا يتخبط فى دمه . ثم دخل الى منزل هنــاك ، فاجتمع كثير من الحمــارة يريدون ضبط القاتل ، فأطلق عليهم الرصاص من منافذ البيت الذى لجــأ اليــه ، ثم جاء مالطى آخر واراد تفريق الحــاضرين بضربهم بالعصى فضربوه ، والقــوه على الارض صريعا . ثم تكاثر رعاع الاوربيين ، وضربوا الوطنيين بمسدساتهم ولما كان الوطنيون عزلا من السلاح ، دافعوا عن انفسهم بالعصى، وكان فيهم الحمارة والحمالون واجتمع عليهم العرب والسودانيون والصعايده فكثرت الغوغاء واشتدت الضوضاء وسلت الخناجر واطلق الرصــاص واختلط الوطنيون بالأوربين ، ولما كثر القتل فى الوطنيين انهالوا على الأوربيين من كل صــــوب يضربونهم بالعصى والنبابيت حتى قتلوا منهم نحو مائة نفس وكذلك قتل من الوطنيين بالسلاح نحو هذا العــــدد وامتدت الفتنة الى الشارع المعروف بشــارع السبع بنات وشارع المحمودية وغيرهما من شـــوارع المدينــة . وانتشر رعاع الأوربيين من المالطيين وغيرهم لايقـــاد نار الفتنــة بمعرفة « السير مالت والمستر كوكس » من جهة والخديوى وعمر لطفى محافظ الاسكندرية من جهة أخرى فى ذلك اليوم كما ثبت ذلك لدى « اللورد شرشهيل » حين طلب من مجلس العموم الانجليزى محاكمة الخديوى ومعاقبته على ذلك وبدليــل تأخــر عمر لطفى ومأمور الضبطية السيد بك قنديل عن تدارك اطفــاء تلك الفتنة حتى تأججت نيرانها . وقد تمارض مأمور الضبطية المذكور وادعى أنه حدث له شلل فى ذراعه اليسرى ولزم فراشه ليتخلص من المســئولية وليرضى عمر لطفى والخــديوى بعــدم اجراء ما يلزم اتخاذه من الحيطة لمنع حدوث تلك الفتنة وانتشار نيرانها .

وبلغ خبر تلك الحادثة اسماعيل باشا كامل قومندان آلايات الاسكندرية فى الساعة الخامسة . فأسرع بارسال الآلاى الخامس

والآلاى السادس الى ساحة المنشية وهو فى مقدمتهم ، ثم وزع البلوكات فى جميع شوارع الاسكندرية وامرهم بتفريق الجموع وعند ذلك حضر المحافظ عمر لطفى ووكيل الضبطية حسن صادق وساعدا قومندان الآلايات فى تعيين النقط والمراكز التى يلزم حفظها بالعساكر .

وعند غروب الشمس هدأت الفتنة وتوجه كل من الثائرين الى محله • وانقضى الليل ولم يحدث فيه شىء يذكر غير أن الخوف والذعر كانا ملء القلوب ، ولما بلغت القاهرة أخبار تلك الحادثة اضطرب لها الأهالى ونزلت على أسماعهم نزول الصاعقة . فبادر أحمد عرابى بارسال وكيل الجهادية يعقوب باشا سامى ومعه الآلاى البيادة الثانى بأمرة خليل بك كامل والآلاى الرابع بأمرة عيد بك محمد وبطاريتين طوبجية وآلاى سوارى حكمدارية أحمد بك عبد الغفار ليلا الى الاسكندرية تحت قيادة طلبة باشا عصمت . وأمر أحمد عرابى وكيل الجهادية باعادة الأمن الى نصابه بالاشتراك مع المحافظ . وعلى اثر ذلك تألفت لجنة لتحقيق هذه الحادثة من وكيل نظارة الجهادية يعقوب باشا سامى وبطرس غالى باشا وياور الخديوى وياور درويش باشا ومندوب قناصل الدول الأجنبية تحت رئاسة محافظ الاسكندرية وقررت فى الحال التدابير التى تعود بها الطمأنينة ويعم السكون ولكن القلق كان قد استولى على قلوب الجميع وصار سكان المدينة فى اضطراب مستمر حتى بات الناس لا يعلمون أى الأخبار صحيح وأيها مكذوب • وفى جملة ما تناقله الرواة يومئذ ان الاوربيين يتأهبون للهجوم على المسلمين وأنهم يعدون العدد والسلاح فاجتمع رؤساء الجند بالاسكندرية وقرروا أن يخبروا القناصل بما رأوه ملطفا للهياج فكتبوا اليهم بما يأتى : « اذا لم يعن القناصل جميعا بتسكين الهياج وابعاد أسباب الاضطراب

والتنبيه على رعاياهم بعدم اجراء ما يوجب حصول المكاره فلا يكون من السهل تأييد الراحة العمومية والمحافظة على النظام والأمن» ولما وصل هذا القرار الى قناصل الدول تشاوروا فى الأمر ثم اتفقوا على نشر الاعلان الآتى :

« يا أبناء بلدتنا الأعزاء .. وقع امس بالاسكندرية وقائع مهمة ولكن الجهادية المصرية أعادت الراحة وتعهد رؤساؤها بالمحافظة عليها ونحن بهم واثقون فضلا عن كوننا متوافقين مع المأمورين الملكيين والجهاديين على ما يجب اجراؤه من التدابير اللازمة المؤدية الى وقاية الراحة العمومية وصيانتها . فنقدم اليكم أن تساعدونا بحكمتكم على القيام بهذا الواجب العمومى فلا تتقلدوا أسلحة نارية والزموا منازلكم ما استطعتم واجتنبوا أسباب المشاجرات والمنازعات . وحرصا على المصلحة العمومية قد حصل التوافق بين جميع القناصل الموقعين على ذيل هذا الاعلان — على أن يكون لقناصل القنصليات جميعا من اية تابعية كانوا الاختصاصات المعروفة للبوليس وسائر رجال الشرطة فنكلفكم أن تمتثلوا لها .. « التوقيعات » .

وفى اليوم التالى لنشر هذا الاعلان أى فى ١٣ يونيو سنة ١٨٨٢ غادر الخديوى القاهرة متوجها للاسكندرية للاصطياف فيها على حسب العادة . وقد ركب عرابى على يساره من سراى الإسماعيلية الى محطة مصر وعند وصول الخديوى الى الاسكندرية زاره قناصل الدول جميعهم باستثناء قنصلى انجلترا وفرنسا ، فانهما بقيا فى القاهرة فأبدى الخديوى أسفه الشديد على ماحدث بالاسكندرية ووعدهم أن يصرف عنايته بالا تحدث مستقبلا حادثة مثلها وخاطبهم ايضا درويش باشا بمثل هذا الكلام وزاد عليه قوله بأنه يثق وثوقا تاما بحسن نية الجهادية ورجالها ونبالة مقاصدهم وانه على يقين من انهم يحافظون على الراحة العمومية

ما استطاعوا الى المحافظة والوقاية سبيلا .. ومع هذا كله سوف نرى مدى حقارة قدر الخديوى ودناءة نفسه وجبن طباعه وضعف ارادته حين بدا وهو يحيك الدسائس اكثر نذالة . بعد أن هدأت القلوب واطمأنت بفضل سهر رجال العسكرية على اعادة الأمن والراحة فى أرجاء الاسكندرية . الا أن توفيق أشار الى السير « أو كلان كولفن » المراقب العربى الانجليزى ، بأنه غير واثق باستمرار الأمن والراحة وأنه يعتبر مهمة درويش باشا كأنها قد انتهت ولم تفلح ، وانه لا يرى بدا من وجوب مجىء جنود « انجليزية » لاعادة الراحة والطمأنينة لا جنود عثمانية كما ذكر هذا فى « **تاريخ مصر** » للنقاش . (لأنه لا يصح أن يطلب جنودا عثمانية من عامل انجليزى مثل كولفن) وما أن شاع هذا التصريح الصادر من الخديوى حتى اشتد قلق الناس وعظم خوفهم وعلموا من بعض قناصل الدول الكبرى أن الخطر قريب قائم عند الأبواب وانه لابد من وقوع حوادث تنخلع لها القلوب الثابتة . فكثر عدد المهاجرين النازحين . ثم كتب بعض القناصل كتابات رسمية يحضون بها رعاياهم على الهجرة ..

ولما شاعت هذه الأخبار وعرف الناس أنها صادرة من وكلاء الدول السياسيين ايقنوا أنه لابد من وقوع أمر هائل . فركن الأجانب الى الفرار سارعين ينزحون من كل صوب . ثم تجدد القيل والقال واستؤنف اشتداد الخوف فى مصر والاسكندرية وسائر مدن القطر المصرى وضاقت قطارات السكة الحديدية عن المسافرين والمهاجرين .

ولما رأى أحمد عرابى ذلك نشر منشورا فى يوم الخميس ١٥ يونيو سنة ١٨٨٢ الصق فى شوارع القاهرة والاسكندرية والمحافظات والمديريات قصد به استمالة الخواطر الى الهدوء والسكينة والاعتقاد باستتباب الراحة .

لقد وفد الى الاسكندرية اكثر قناصل الدول كما سبق أن ذكرنا وبقى السير « مالت » وكيل انجلترا والمسيو «سنكوفتش» وكيل فرنسا . فى العاصمة حتى ورد الى الأول منهما برقية من لندره تأمره بالمجيء الى الثغر وأن يرافق الخديوى أينما ذهب وحيثما توجه . فتوجه الى الاسكندرية صادعا بأمر حكومته وتبعه أيضا المسيو « سنكوفتش » قنصل فرنسا .

وبدا الشقاق بين الدول الأوربية فى ذلك الوقت . فانحازت المانيا واستراليا وايطاليا وروسيا الى الباب العالى وانفردت الدولتان الغربيتان « فرنسا وانجلترا » فى سياستهما ثم حدث بعض الفتور فى صلات هاتين الدولتين حتى توهم الناس أن انجلترا ستنفرد وحدها بالمسألة المصرية وتكون سائر الدول الباقيات معارضة لها • وقد أيد هذا الوهم ما كان فى تلك الأنباء من تدخل قنصلى ألمانيا واستراليا بمساعدة درويش باشا وسعيهما لدى الخديوى فى تاليف وزارة جديدة يكون عرابى من أعضائها ويبقى فيها ناظرا للجهادية والبحرية ونصحهما له بأن حال البلاد لا يصلح والقلاقل لا تحسم والطمأنينة لا تحصل الا بتاليف وزارة على الصفة التى ذكرت وألحا عليه بذلك ، وأذعن الخديوى واستدعى شريف باشا ثم مصطفى باشا ثم غيرهما وكلف كلا منهم بتاليف الوزارة فأبوا جميعا لما علموه من مقاصد الحكومة الانجليزية ، ثم استدعى اسماعيل راغب ، وكلفه بتاليف وزارة تحت رئاسته وأن يكون ناظرا للخارجية فيها أيضا ، فوافق .

وزارة إسماعيل راغب باشا

وفى ١٦ يونيو سنة ١٨٨٢ صدر أمر الخديوى بذلك وفى ٢٠ يونيو سنة ١٨٨٢ تم تأليف الوزارة على النحو الآتى :

١ ــ اسماعيل راغب باشا للخارجية ورئيس النظارة

٢ ــ احمد رشيد باشا للداخلية

٣ ــ عبد الرحمن بك رشيد المالية

٤ ــ احمد عرابى باشا للجهادية والبحرية

٥ ــ على ابراهيم باشا الحقانية

٦ ــ سليمان اباظة باشا المعارف

٧ ــ محمود الفلكى باشا الأشغال

٨ ــ حسن الشريعى باشا الاوقاف

وفى اليوم التالى لتأليف الوزارة أى فى ٢١ من الشهر المذكور شرعت الوزارة فى عملها ثم عقدت جلستها ونظمت لائحتها وفيها بيان المنهج الذى يجب أن تسير على مقتضــاه وقد عنيت باعادة الأمن الى نصابه بين المصريين والأجانب . وفى ٢٢ يونيــو سنة ١٨٨٢ كتب راغب باشا الى قناصل الدول ينبئهم ببرنامج الوزارة الذى رفعه الى الخديوى فى ١٨ يونيو سنة ١٨٨٢ فأجابوا كلهم ما عدا « قنصلى فرنسا وانجلترا » على كتابه بأنهم راضون تماما عمــا كان ومسرورون بحسم المشــاكل وانهم قائمــون على قدم الاستعداد لمساعدة الوزارة الجديدة على تذليل المصاعب وحسم الفتن وازالة العراقيل السياسية والادارية الى غير ذلك مما دل على رضائهم ورضاء دولهم عن تشكيل الوزارة على تلك الهيئة .

وبناء على ذلك عقدت الدول مؤتمرها فى الآستانة فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٨٢ من غير أن يكون للدولة العلية معتمد فيه وفى جلستها الأولى وقع المعتمدون على البروتوكول الآتى : « **أن الحــكومات التى وقع وكلاؤها بالنيابة على ذيل هذا البروتوكول ، تتعهد أنها لا تعضد البتة اغتنام أرض ما ، ولا الحصــول على امتياز ما ، ولا أن يكون لرعاياها من الامتيــازات التجرية مالا يســتطيع أن يناله غيرهم من رعايا اى الدول فى مصر . وذلك فى اية مســالة**

حصل التوافق عليها بسعيها واشتراكها فى المخابرات لتنظيم أمور تلك البلاد » .

« التوقيع »

انجلترا	ألمانيا	استراليا	فرنسا	روسيا
«دوفرين»	«هرشفلد»	«كاليس»	«دى نوايل»	«أونو»

وبعد التوقيع على هذا البروتوكول أخذ المؤتمرون يتداولون فى المسألة . وقد ذكر فى الكتاب الأزرق صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير انجلترا بالآستانة الى اللورد غرنفيل وزير خارجيتها يشتمل على بيان ما جرى فى المؤتمر حتى يوم ٢٦ يونيو وقد حشى هذا البيان بالأكاذيب والأباطيل ونشر فى الصحف . وفى الحقيقة أن انجلترا فى ذلك الحين كانت تتأهب للحرب وحشد جميع طاقاتها وامكانياتها للهجوم ولكنها كانت تتحين الفرص . وكان أكثر الناس يتوهمون أن ذلك انما صدر منها على سبيل التهديد والارهاب للمصريين ولتنال أغراضها بدهائها فأحست الدول الأوربية بما وراء الأكمة ولكنها لم تجسر على مقاومة الانجليز ومعارضتهم علنا ، ولا سيما بعد أن صرح اللورد « **سالسبرى** » فى مجلس نواب الانجليز ، بأن الانجليز وحدهم قادرون على نوال مآربهم وتحصيل ما يطلبون رضيت الدول أم لم ترض ، وكانت الدول تحاول اقناع الانجليز بألا يستبدوا فى الأمر وحدهم وان يستشيروا غيرهم ويشركوهم معهم فى العمل فكانوا ينفرون من ذلك ولا يعترفون لغير الفرنسيين بحجة التدخل فى المسألة المصرية اذا اشتعلت نار الحرب واشتد أوارها وهم وان كانوا قد عرضوا على الدول أن تشترك معهم فى المؤتمر الا أن سياستهم كانت فى الباطن على غير ذلك المنهاج . وقد عرضوا على الباب العالى أن يرسل جنوده الى مصر، ولكنهم اشترطوا عليه شروطا لا يمكن الرضا بها ، منها أن تكون رئاسة

الجيش العثمانى لقومندان الجيش الانجليزى وتحت تصرفه .
وكانت انجلترا على وفاق تام مع الفرنسيين فيما اذا وقعت الحرب فقد كانت موقنة بأن فرنسا سوف تنسحب من الاشتراك فيخلوا الجو لها . وكانت فى كل يوم تعرض على الدول الأوربية أن تشترك معها فى ارسال جنودها الى مصر ، وما كان ذلك الا تظاهرا بما كان مخالفا لمساعيها الخفية . والدليل على ذلك قول المستر « باجت » سفير انجلترا بايطاليا فى الكتاب الذى بعث به الى اللورد « غرنفيل » وزير خارجية انجلترا فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٢ . ويتضح من هذا الكتاب أن الدول الاوربية كانت شديدة الحذر من انفراد انجلترا فى المسألة المصرية تحاول اقناعها بلزوم اشتراك الدول معها ولا تستطيع معارضتها بالعنف ، ويتبين أيضا أن أهم مسائل ذلك الوقت كانت مسألة برزخ السويس وصيانته واستبقاء الخديوى توفيق باشا أو استبداله .. وكانت هذه المخابرات جارية بين وزارة أوربا والناس فى مصر لا يعلمون بما سيتم عليه الرأى ولا يعرفون أى الأخبار يصدقون . وكان اختلاف الروايات موجبا لزيادة تشويش الأذهان وعلى الأخص ما شاع فى ذلك الحين من وقوع الخلاف الشديد بين الدولتين الغربيتين فرنسا وانجلترا فذهب الناس حينئذ الى أن فرنسا لا توافق انجلترا على نيتها الا على شريطة أن يخلع الخديوى توفيق باشا ويستبدل به عمه حليم باشا ، وأيدوا هذا القول بما شاع حينئذ من أن الحضرة السلطانية راغبة فى ذلك الاستبدال، وأنها تظهر كل يوم ميلها الى حليم باشا وتقربه منها وهو يعدها بالخضوع والانقياد لأوامرها ونواهيها . بخلاف توفيق باشا الذى وافق انجلترا على سياستها وتخلف عن تنفيذ الأوامر السلطانية والعمل بها ، وخالفها بعدم ذهابه الى الآستانة عقب ورود الفرمان العالى المؤذن بتعيينه خديويا لمصر ، فقد كان عليه أن يتوجه الى دار السعادة تبعا للرسوم المألوفة ليتقلد من يد الحضرة الشاهانية

وظيفته السامية الى غير ذلك مما رجح فى عقول كثيرين من المصريين صحة وقوع الخلاف بين انجلترا من جهة وفرنسا والباب العالى من جهة أخرى حتى صار فى معتقدهم أن انجلترا لا تستطيع مقاومة الدولتين المشار اليهما متحالفتين فلا بد لها اذن من الرجوع بخفى حنين ، فتخسر مقامها فى مصر وتعود من حيث أتت ، وكان الجميع فى ذلك الحين يترقبون ورود الأخبار من الآستانة ليقفوا على ما كان من أعمال المؤتمرين وما سيقر عليه رأى الدولة العثمانية · وكانت انجلترا أثناء هذه الأحوال تسعى بدسائسها ودهائها فى الانفراد بمصر وحشد الجند واعداد ما يلزم للقتال ، والناس فى غفلة يتوهمون أنها انما تفعل ذلك من قبيل التهديد ليس أكثر من ذلك ·

وقد وفد على «راغب باشا» رئيس النظار فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٢ المستر « كارترايت » وخابره فى أمر مياه الاسكندرية وطلب اليه أن يعتنى بوقاية المستر «كورس» وجماعه عمال شركة المياه وصيانتهم وأن يتخذ فى ذلك الوسائل الفعالة لحمايتهم ودفع كل ضرر عنهم ، والا فانهم يهاجرون فيمن هاجر تاركين المدينة من غير ماء ، فأجابه راغب باشا بأنه لايستطيع اتخاذ مثل هذه الوسائل الخصوصية لوقاية شخص واحد فى حالة كون الحكومة المصرية متعهدة بوقاية جميع الاوربيين وحمايتهم وصيانة مصالحهم .

وليس من شك فى أن جميع ماكان يرسل من المستر «كارترايت» من الاسكندرية الى الآستانة أو لندرة من برقيات أو رسائل ، كان مليئا بالأخبار الكاذبة ، مجسما حالتي الخوف والاضطراب فى البلاد المصرية وغيرها من الترهات .

وحيث أن الدول الأوربية أبدت رأيها فى وجوب عقد مؤتمر للمسارعة فى ايجاد حل لمعالجة حالة مصر · فقد انعقد مؤتمر دولى بالآستانة وتقرر فيه الآتى : —

بعد أن اعترفت الدول الأوربية بوجوب المسارعة الى معالجة حالة مصر الحاضرة بالدواء الناجع قررت في المؤتمر الذى عقده وكلاؤها أن يلجأ الى سيادة الجناب السلطاني ويطلب منه أن يتدخل في أمر مصر وأن يساعد الخديوى بارسال قوة برية كافية لاعادة الأمن والنظام الى البلاد وانقاذ مصر من الفوضى التى تمكنت منها ونشأ عنها اهدار الدماء وخراب ألوف من بيوت الأجانب والمسلمين (وهذا كذب وافتراء) وتضرر كثير من مصالح الأجانب والوطنيين. وسيكون من شأن الجنود العثمانية بمصر أن تؤيد وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للخديوى سلطته ويكون من شأنها أيضا الشروع في اصلاح حال العسكرية بمصر وفقا لأصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عموميا ، على شرط ألا يكون هذا التدخل موجبا لمس الترقيات النافعة التى نفذت في نظام مصر المدنى والادارى والقضائى على غير مخالفة ما تقضى به الفرمانات السلطانية. والدول الأوربية واثقة كل الوثوق بالتجائها الى الجناب السلطانى ببقاء ما هو مقرر لمصر على حاله في مدة وجود الجنود العثمانية ومعتقدة أن حقوق مصر والامتيازات الممنوحة لها بمقتضى الفرمانات السابقة لا تمس البتة ولا يمس أيضا شيئا من الأصول المقررة لادارة الأحكام فيها ولا من العهود والمواثيق الدولية ، ولا من أعمال التسوية التى نجمت عنها وتقررت في شأنها . أما مدة استقرار الجيش العثماني فتكون ثلاثة أشهر في مصر ما عدا اذا طلب الخديوى تمديدها الى أجل تتفق على تحديده الدولة العلية مع الدول الأوربية وحكومة مصر وتعين قيادة هذا الجيش بالاتفاق في الرأى مع الجناب الخديوى أما مصاريف هذه التجريدة فتكون على نفقة مصر وستعين مقاديرها باتفاق يحصل بين الدولة العليا والدول الست الأوربية وحكومة مصر . واذا أجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كما هو المأمول فكيفية تنفيذ الأحكام سابقة الذكر تتم بتوافق يحصل عليه بعد الآن بين الدولة العثمانية والدول الست الأوربية ..

وقد كتب كل من السفراء الى حكومته يسألها ابداء رأيها فى هـــذا القرار تلغرافيا فى ٦ يوليو ١٨٨٢ ٠ وقد وافقت الدول الأوربية ، ولكن الباب العالى رفضـــها لمخالفتها للحقوق الدولية ، فاتخذت انجلترا ذلك حجة وذريعة لأن تتدخـل بالقوة ، فأوعزت شرا الى وكلائها ورجالهـــا فى القطر المصرى أن ينزعوا الى وجود أسباب ولو طفيفة لمبـاشرة القتال ، وكان ذلك من أيسر الأمور لديهم ، فان الأميرال « سيمور » زعم يومئذ أن الجهادية تحصن القلاع فى الثغر ، وقال ان هذا التحصـــين مناف لحقوقه ٠ وجاء تلغراف من الصـــدر الأعظم الى الخـــديوى توفيق يذكره به أن « باشكاتب السفارة الانجليزية حضر الى الباب العالى ، وأخبر أن الجهادية المصرية تهدد الأساطيل الانجليزية فى ثغر الاســكندرية بتحصين القلاع واقامة الحصون وفى ذلك تهديد للدونانمة الانجليزية فان لم تكف الجهادية عن تقوية الاستحكامات وتمســـك تعزيز حصونها من غير ابطاء ، اضطر الأميرال « سيمور » الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية فيدكها دكا ويهدمها عن آخرها » ٠

وقد أرسل الخديوى توفيق هذا التلغراف الى عرابى ليجيب عليه ؛ فكتب عرابى اليه قائلا بأن « **مصر لم تعتد على الانجليز ولم تهدد أساطيلها الحربية بل هى التى تهددنا بمراكبها الحربية وكل ما فى الأمر أن الجارى فى الاستحكامات انما هو ترميم المختل منها على حسب العادة السنوية ؛ واذا كانت الدونانمة الانجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شرا بنا فلتقلع من موانئنا وتعود الى بلادها بســلام ، وانى ليدهشنى احجام الباب العـالى عن اجابة الســفارة الانجليزية بذلك** » ٠٠

ثم كتب الأميرال « سيمور » الى قومندان الاسكندرية يهدده باطلاق مدافعه على المدينة فيهدمها عن آخرها ان لم تكف الحكومة عن تقوية الاستحكامات وغيرها من التحفزات ٠ فأجابه القومندان

المذكور طلبة باشا عصيمت بقوله : لا صحة لما تقول وان الجهادية لم تهتم بتحصين الإستحكامات لأنها محصنة ، وانما جارى فيها ترميمات عادية » ..

ولما شاع هذا الخبر في المدينة أيقن الناس بقرب وقوع القتال ، وأوعز كل من قنصلى فرنسا انجلترا الى رعاياه بأن يخرجوا من مصر ، ويهاجروا منها سريعا ، فتسابق الأوربيون الى الرحيل ؛ ولم يبق منهم في المدينة الا القليل ؛ حتى أن الخديوى استدعى اليه المستر « كولفن » مراقب المالية الانجليزى ؛ واتفق معه على أن يبارح سراى رأس التين ويتوجه بعائلته الى سراى الرمل فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ لأن ضرب الاسكندرية سيكون فى صباح ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ . هذا ما حصل الاتفاق عليه ؛ وطلب الخديوى من المستر كولفن أن يبلغ ذلك الى اللورد غرنفيل ليخابر خارجية أنجلترا . وقد تمارض المستر « مالت » قنصل انجلترا وانتقل الى البحر فى ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٢ ، وأقام فى الباخرة « مونجوليا » من بواخر الشركة الشرقية ثم سافر بعد ذلك الى « برنديزى » وحذا حذوه وكيله المستر « كالفر » بنفس الحجة ، واقتفى أثرهما المستر « يورج » القنصل وقد أوعز المستر « كولفن » الى المستر « كارترايت » بأن يخبر اللورد « غرنفيل » بما جرى بينه وبين الخديوى ففعل وأرسل فى اليوم نفسه برقية الى وزارة الخارجية الانجليزية ضمنها ما دار بينه وبين الخديوى وأردفه بقوله : « وأظن أنه لا خوف على حياة الخديوى ، ولا سيما اذا لم تطل مدة القتال ؛ ومن رأيى أن أنذر درويش باشا بأن الحكومة الانجليزية تعده مسئولا عن حياة الخديوى ، وأن التبعة تعود عليه اذا أصيب الخديوى بسوء يوم أطلاق المدافع ، وقبل نزوله الى البحر » .

وقد بلغ الاضطراب منتهاه وأيقن الناس بدنو الساعة أسفين على ما سيحل بالأسكندرية من هول الخطب ؛ ورأى قناصل الدول

الأجنبية إن سيحيق برعاياهم خطب كبير فحاولوا ابعاد الخطر المحدق بالمدينة ؛ فاجتمعوا فى ٧ يوليو للتداول فى الأمر ؛ وكلفوا المستر « كارترايت » بالحضور معهم فأبى ، فعقدوا عندئذ مجلسهم، ولم يحضر فيه أحد من قبل انجلترا ؛ وبالتداول والتشاور قرروا أن يرسلوا الى الأميرال الرسالة الآتية :

« من قناصل الدول الأوروبية الى الأميرال سيمور ... ان لرعايانا مصالح مهمة فى الاسكندرية ، ولهم فيها أملاك واسعة ، وعقارات كبيرة ؛ والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرون وهو ما دعانا الى أن نتقدم اليكم ونسألكم : هل اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالكم المتعلق بتحصين القلاع أم لا ؟ . فاننا نستطيع تعديل الجواب المذكور بما يرضيكم ويقنعكم واذا كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون أن تقتنعوا لأمر ما ؛ فنرجوكم أن تنبئونا عن المهلة التى تتركوها لرعايانا قبل الشروع فى القتال ليتمكنوا من الرحيل . واننا نخطركم بأن اطلاق المدافع سينشأ عنه كيف كانت الحال فى حذر عظيم ؛ يحيق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ، ولا بد أن تنهدم أبنية عديدة للأوروبيين ، وبودنا لو أنكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل أن تنفذوا أوامرها » ..

فرد عليهم الأميرال « سيمور » بهذه الرسالة :

« تلقيت اليوم الكتاب الذى اتفقتم عليه وعلى ارساله الى ؛ وتفضلتم فيه بالاستعلام منى وتكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا فى الأمر بحيث أحصل بواسطتكم على جواب يرضينى ، فأشكر لكم كثيرا هذه العناية وأجيب على خطابكم بقولى انى انفذ ارادتكم اذا كانت لدى السلطة والنفوذ ما تستطيعوا به أن تجعلوه صادقا فى اجراءاته وأقصد فى هذا المومأ اليه اذا كانت أيضا لديه السلطة والنفوذ وأن يبطل عاجلا أشغال التحصين وتعزيز الاستحكامات التى شرع فيها ، ولا أرى جواب المومأ اليه (بالكتابه) كافيا لحملى

على الاقتناع بما يقول وعلى الوقوف بما أكد لى فى جوابه من انه يجيب طلبى ؛ ومهما كانت عبارة هذه الكتابة فانها لا تكفينى بالنظر الى المصالح المهمة التى عهد بها الى • واخبركم انى ما أعلنت قط بعزمى على رمى الاسكندرية بنار المدافع ؛ واذا اقتضت الحاجة ، فانى أوجه قوتى على القلاع والاستحكامات فقط ؛ وبذلك لا أرى موجبا لخوفكم من انهدام منازل الأوروبيين وغيرهم ، وسأرفع الى حكومتى أمر الملاحظة التى ابديتموها فى العبارة الأخيرة من خطابكم ونبهتمونى اليها • واذا استمرت الجهادية فى اشغال تحصين القلاع والاستحكامات ؛ فانى أنفذ فى الحال ما كتبت اليهم به محافظا على كل حرف من حروف تلك الكتابة ، وكيف كانت الحال فانى قبل الشروع فى العمل أعلن عنه ولا اباشر اطلاق المدافع الا بعد ٢٤ ساعة من تاريخ الاعلان » « كتب فى السفينة « أنفسيبل » بمياه الاسكندرية فى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢ » ••

التوقيع : « بوشان سيمور »

وعند وصول هذا الجواب الى قناصل الدول الأوربية اجتمعوا مرة ثانية وأخذوا يحاولون ارضاء الأميرال سيمور ولكن ذهبت جميع محاولاتهم أدراج الرياح •

وبعد أن تمكنت انجلترا من اقتناع فرنسا وباقى الدول الاوربية بأنها ستنفرد بالعمل فى قتال المصريين ، اختلقت لذلك أسبانيا لا ظل لها من الحقيقة ، وذلك أن المستر « كارترايت » كتب الى اللورد غرنفيل ما يأتى :

« سيدى اللورد ... ارفع الى حضرتكم أن الأميرال سيمور علم اليوم بأن قد وضع مدفعان فى القلعة المعروفة بقلعة «السلسلة» الكائنة تجاه الميناء الجديدة علاوة على المدافع الموجودة فيها فلم يعد فى امكانه تحمل هذه الأمور والصبر عليها ، ولذلك عزم على اطلاق المدافع فى فجر يوم الثلاثاء الآتى الموافق ١١ يوليو وسأخبر

القناصل الجنرالية والخديوى ودرويش باشا بهذا العزم فى هذا اليوم : ثم أجرى من التدابير ما يلزم لكى يتمكن الباقون فى الاسكندرية من النزول الى السفن والالتجاء اليها » .

« كتب فى السفينة «هليكون» بميناء الاسكندرية فى ٩ يوليو سنة ١٨٨٢ بتوقيع : « كارترايت » وفى مساء اليوم المذكور أعلن المستر كارترايت القناصل جميعا عن عزم الأميرال فأوعزوا الى رعاياهم بالمهاجرة فى الحال ، وشاع الخبر بين السكان وطنيين وأجانب وصاروا يتسابقون الى محطة السكة الحديد زرافات ووحدانا الى داخل البلاد فى المدن والأرياف وهرول بعض الأجانب الى البحر لاجئين الى السفن الراسية فى المرافىء ولم ينقض اليوم العاشر من شهر يوليو حتى خلت المدينة من السكان واقفرت من أهلها أو أوشكت ولم يبق فيها الا الجند والحامية وقليل من الأجانب وبعض الأهالى .. وفى مساء اليوم نفسه توجه المستر « كارترايت » الى سراى رأس التين ، وأعلن الخديوى بصفة رسمية عن عزم الأميرال على مباشرة القتال صباح الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، ثم أشار عليه بأن يترك سراى رأس التين ويلجأ الى سراى الرمل ؛ وبعد ذلك قصد درويش باشا فلم يجده فكتب اليه بصفة رسمية أيضا يطلب اليه بأن يحافظ على حياة الخديوى وأنه مسئول عما عساه يصيب الخديوى .

وفى صباح اليوم العاشر أرسل الأميرال رسالة الى طلبة باشا قومندان موقع اسكندرية مؤقتا ورئيس حاميتها ، طلب فيها انزال جميع المدافع المتسلحة بها طوابى استحكامات الاسكندرية من طابية المكس الى طابية برج السلسلة وادعى زورا بأنه شاهد مراكب شراعية مشحونة بالأحجار تفرغ فى بوغاز الميناء بقصد سد البوغاز وحبس المراكب الانجليزية ؛ وأنه ان مانع فى انزال المدافع أمر باطلاق مدافع الاسطول على الاسكندرية والاستحكامات صباح اليوم التالى فيدمرها تدميرا ، ويقول أيضا : « أرسلنا كتابات رسمية الى

كل من درويش باشا المندوب السلطاني العالي ، وراغب باشا رئيس الوزارة المصرية أعلن لهما فيها عن خروج رجال الوكالة الانجليزية من القطر المصري اشارة الى قطع العلاقات والصلات الودية » ..

وسرعان ما عم الخوف كل من بقى فى المدينة وأيقن النـاس بحلول الدمار وصـاروا فى انتظار النـار والرعب ملء أفئدتهم ، فأخذت السفن والمراكب الراسية فى الميناء فى الخروج منها وذهب الأسطول الفرنسي قاصدا بور سعيد تاركا الأسطول الانجليزي وشأنه يتصرف فى الادعاء على المصريين بما يوحيه اليه الأميرال سيمور ؛ وبما يروق فى أعين رجال الحكومة الانجليزية من الظلم والعدوان .

وفى ١٠ يوليـو سنة ١٨٨٢ انعقد مجلس فوق العـادة من النظار وغيرهـم من الذوات الاختيارية تحت رئاسة توفيق باشـا بحضرة المندوب السـلطاني درويش باشا وقدرى بك سـكرتيره والسيد أحمد أسعد وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانية المرسل مع درويش باشا للنظر فى المسألة المصرية التى ابتدعتها المطامع الانجليزية ، ولما تلى خطاب الاميرال سيمور المرسل الى طلبة باشا . تقرر بالمجلس المذكور أنه لا يمكن اجابة طلب الأميرال ؛ لما فى ذلك من الخزى والعـار الذى يلحق بالمصريين الى الأبد حيث أن الاستحكامات والطوابى المذكورة ما أنشئت الا لحفظ الثغور والعساكر ما وجدت الا للدفاع عن الوطن العزيز والذود عن حياضه، فلا يجوز لهم أن يخربوا معاقلهم بأيديهم لمجرد طلب العدو الطامع فى بلادهم ، بل الواجب عليهم أن يدافعوا عن بلادهم ويقوموا بما تحتمه عليهم واجباتهم الحربية الى آخر رمق من حياتهم دفاعا عن شرف الوطن . ولكن قفلا لباب الشر وقطعا لاحتجاجات الأميرال سميور ، رؤى أن يرسل له وفد مؤلف من عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وقاسـم باشـا وكيل البحرية السابق ومحمد كامل باشا وكيل البحرية حينذاك ؛ وتكران بك باشكاتب مجلس النظار ويتلطفوا معه فى المقال ، ويوضحوا له أن المصريين ليسوا أعداء

للانجليز ؛ وأنه لا يمكن سد البوغاز بالأحجار كما قيل ، وأنه يمكن ضبط المراكب المشحونة بالأحجار عند شروعها في العمل ان وجدت، وأما انزال المدافع فهذا أمر لا يمكن قبوله لما فيه من مخالفة قوانين البحرية ولما يتبع ذلك من الاهانة والذل . وانما يمكن اجابة لطلبه وفضا للاشكال تنزيل ثلاثة مدافع من ثلاث طوابى احداها طابية المكس والثانية طابية صالح والثالثة طابية برج السلسلة وأن يكتفى بذلك ردا لشرف الدونتمه الانجليزية .

فذهب الوفد وبلغ الرسالة ثم رجع وأخبر بأن الأميرال المذكور لم يقبل ما عرض عليه ، وصمم على وجوب انزال جميع المدافع كما طلب ؛ وانما تكرم بأن عافى عساكره البحرية من معاناة مشقة انزال المدافع وتخريب الطوابى وسمح للعساكر المصرية بأن يعانوا هذه الأعمال ؛ ويخربوا معاقلهم بأيديهم . وزاد على ذلك بأنه يطلب من الحكومة المصرية أمرا صريحا باعطائه طابية المكس وما وراءها من الأراضى ، وطابية العجمى وطابية باب العرب لاتخاذها معسكرا للعساكر الانجليزية ، وأنه اذا لم يجب الى طلباته المذكورة باشر القتال عند طلوع الشمس فى يوم غد . وحيث أن طلباته غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصا وأن الفرمان السلطانى يحجر على الخديوى التصرف فى اعطاء قيد شبر من الأراضى المصرية وملحقاتها الى دولة أجنبية . فلذا تقرر رفض طلبات الأميرال واعلان الباب العالى بذلك ؛ حيث أنها صاحبة البلاد المصرية ، ويكون اخطارها تلغرافيا مع الاستعداد بشرط ألا يبتدأ بها من جهة الحكومة المصرية الا بعد اطلاق ثلاثة (جلل) من جهة العدو المعتدى وفى حالة وقوع الحرب حقيقة تعلن الأحكام العرفية فى جميع البلاد المصرية وبعد ذلك فض المجلس ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا ومن معهما من رأس التين الى سراى الرمل فى أصيل اليوم المذكور عملا برأى المستر « كارترايت » كما سبق ذكره .

ثم صدرت بعد ذلك أوامر الجهادية الى رؤساء الاستحكامات

وأمراء الآلايات وفروع الجهادية بالاستعداد للحرب والمدافعة عن البلاد ، وسهروا طوال الليل في ترتيب ما يلزم اجراؤه للقتال .
وفي اليوم التالي انتشر الخبر في عواصم أوربا ونقلته الأسلاك التلغرافية بأسرع من لمح البصر ؛ فارتجت له أفكار العالم واهتزت له جوانب الأرض ؛ فرأت وزارة خارجية انجلترا ، أن تلطف الخبر للدول الأوربية مخافة معارضتها لها فيما تريد اجراءه ، فكتبت الى وكلائها الخطاب الآتي

« من اللورد غرنفيل وزير خارجية جلالة ملكة انجلترا الى وكلائها لدى حكومات باريس وبرلين وفينا وزوما وبطرسبرج والآستانة » « تحرر في النصف الثاني ؛ من اليوم العاشر لشهر يوليو سنة ١٨٨٢ . بناء على رسالتي التلغرافية المرسلة اليكم مساء أمس أخبروا الحكومات التي أنتم نائبون عن حكومتنا لديها بأن ما سيجريه الأميرال سيمور بالاسكندرية لا يكون الا من قبيل الدفاع والمحاماة عن الاسطول ، ولسوء الحظ لم نر بدا من ذلك غير أننا مع ذلك نصرح أن ليس لنا مأرب خفي أو نية غير بينة ، وقد اتضح لنا من تقرير الأميرال أن حكام الاسكندرية قد استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين العدوان والبغضاء نخونا بالرغم من نواهي الحضرة الشاهانية وأوامرها الصادرة لهم بالكف عن التظاهر بالأمور العدائية وخلافا لارادة الخديوي بل ونقيضا لما أبدوه لنا مرارا من مسالمتهم ومصادقتهم لنا » .

ثم أرسل رسالة تلغرافية بهذا الصدد الى اللورد دوفرين بالآستانة . غير أنه زاد فيها عبارة أخرى :

« وهذا حرص منا على مصلحة الجناب السلطاني ، الذي خالف الثائرون أوامره ؛ ونبذوا مشوراته ووصاياه نبذ النواة » .. وقد قدم وكلاء انجلترا هذا الكتاب الى حكومات أوربا ، وفي جملتهم اللورد دوفرين وكيلها بالآستانة .

وبعد ذلك أرسل اللورد دوفرين الى الأميرال سيمور تلغرافيا ما يأتي :

« لست أدرى ما هى الأوامر التى ألقيت اليك من حكومتنا ؛ وهل أنت مفوض بالتماهل عند اللزوم أم لا ؟ ‥ فاذا كان الأول فلا بأس من تأجيل العمل ثلاث ساعات أو أربعـا ليتمكن اللورد غرنفيل فى خلالها من النظر فى جواب الحكومة العثمانية ، فربما كان كافيا لتعديل ما يقيد اجراؤه ، وذلك لأن هذا الجواب المنتظر لا يمكن وصــوله قبل الساعة التى عينتموها لمباشرة القتال » ‥

« التوقيع دوفرين » ‥‥

ضرب الإسكندرية

رغم هذا فان الأميرال المذكور لم يكتب ردا على ماكتبه دوفرين اليه فى الموعد المحدد ٠ وقامت البارجة « الكسندرة » باطلاق مدفعها الأول فى الساعة السابعة والدقيقة الرابعة من صباح يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ثم تليها باقى المدرعات الانجليزية بطلقات عديدة وبعد خمس دقائق أجابتها القلاع بنار شديدة حامية واستمر القتال على هذا الحال الى قبيل الغروب حتى تهدمت الاستحكامات وتعطلت المدافع من جراء مقذوفات المراكب الهائلة ٠ وللأسف فان قدم المدافع كان حائلا بين نيرانها وبين الوصول الى المراكب الانجليزية ومدافع « الأرمسترونج » لم تكن لها مساطر تعرف بها المسافات ، وتحكم الاصابة بواسطتها ؛ اللهم الا مســطرة واحدة ، كانت فى محــل التعليم بالعباسية (بالبلجون) استحضرت ليلا وسلمت الى البطل « سيف النصر بك » قومندان طابية الفنار ؛ فكان يطلق المدافع بنفسه وينتقل من مكان الى آخر ويحكم الاصابة بواسطة المسطرة المذكورة ، فكان معظم الدوراع التى تعطلت من جراء المقذوفات التى أحكم هو اطلاقها ٠

ولو كانت مدافع « الأرمسترونج » كلها ذات مساطر لأمكنها تعطيل جميع الدوارع الانجليزية ٠وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر واعطائهم الماء وحمل الجرحى منهم وتضميد جراحهم ونقلهم الى المستشفيات ٠

وكان عرابى اذ ذاك مع جميع النظار فى طابية كوم الدماس للاشراف على مواقع القتال ، فكتب راغب باشا رئيس النظار الى جميع مصالح الحكومة والمديريات والمحافظات يعلنها بنشوب الحرب بين الانجليز والمصريين ظلما وعدوانا بلا سبب معقول وأن البلاد جميعها صارت تحت الادارة العرفية والأحكام العسكرية ٠

وقبيل غروب شمس ذلك اليوم توجه طه باشا لطفى وسليمان باشا أباظة وحسين بك الترك من قبل الخديوى ومحيى الدين بك ياور من قبل درويش باشا وهو ياور المندوب السلطانى المذكور ، ليبلغوا عرابى والوزراء سلام الخديوى ودرويش باشا وثناءهما على صبر العساكر وثباتهم العجيب تجاه قوة الدوارع الهائلة ٠

وقد استشهد فى ذلك اليوم من جميع الطوابى مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللاتى كن يضمدن جراح الجرحى ٠ وفى اليوم نفسه حضر محمود سامى باشا البارودى من القاهرة للاشتراك مع عرابى وزملائه فى الدفاع عن البلاد وبعد الغروب توجه عرابى والبارودى مع النظار الى سراى الرمل وعرضوا على مسامع الخديوى ودرويش باشا ما حصل فى ذلك اليوم وان الاستحكامات تخربت والمدافع تعطلت ٠ فحصلت المداولة فى هذا الشأن بالمجلس المنعقد تحت رئاسة الخديوى بحضور درويش باشا ورئيس مجلس النواب وتقرر فيه بأنه اذا عاودت المراكب الانجليزية الضرب فى صباح يوم ١٢ يوليو فلا تجاوبها القلاع بل ترفع الراية البيضاء علامة للمخابرة مع الأميرال فى توقيف الحرب واعادة الصلات الودية حيث قد

تحصل الأميرال على غرضه بتخريب القلاع وتعطيل المدافع. ثم توجه عرابى بعد ذلك مع راغب باشا رئيس النظار الى بيته الكائن على ترعة المحمودية وأرسلها الأوامر اللازمة الى رؤساء القلاع والمعاقل وقضيا تلك الليلة فى البيت المذكور . وفى صباح يوم ١٢ يوليو جاءهما رسول من قبل الخديوى يدعوهما اليه فتوجها وكان قد لحق بهما باقى النظار الى الخديوى تلبية لدعوته . فى سراى الرمل . فأخبرهم بأنه قد حضر قسم من العسكر الى السراى . وسأل الخديوى عرابى عن سبب حضورهم . فأجابه أحمد عرابى بأنه لا علم له بذلك ولعلهم حضروا لتقوية الحرس ، فقال : **لا لزوم لذلك ؛ فان فرقة الفرسان الموجودة كافية . فمرهم بالرجوع الى مكانهم** » فتوجه عرابى الى القشلاق ووجد أربعة بلوكات من آلاى سليمان بك سامى ومعهم الصاغ على أفندى أبو غنيمة (أوهشيمة) كما كانوا يدعونه . فقال ان حكمدار الآلاى سليمان بك أمره بذلك. فحضر لتقوية الحرس الخديوى ؛ فأمره عرابى بالعودة الى آلايه مع عساكره لعدم الحاجة الى تقوية .

وفى صباح اليوم المذكور أطلقت البوارج الانجليزية مدافعها على القلاع فرفعت الراية البيضاء وتقرر ارسال طلبة باشا عصمت الى الأميرال سيمور لابلاغه ما تقرر من ايقاف الحرب واكتفاء بما حدث من التخريب والدمار فذهب وقابل مندوب الأميرال فى الترسانة وأخبره بما ذكر ثم توجه المندوب المذكور برفاص صغير الى الأميرال وأخبره بما تلقاه من طلبة باشا فلم يقبل ولم يرجع بالجواب الا بعد العشاء فذهب طلبة باشا الى الخديوى وأخبره بما كان من عدم قبول الأميرال واصراره على الرفض . ثم عاد عرابى وزملاؤه وأخبرهم بما حصل . وفى الساعة العاشرة من اليوم المذكور ، رجع عرابى من سراى الرمل الى الاسكندرية مع راغب باشا . فلما وصلا الى قرب الباب الشرقى وجدا المهاجرين من الأهالى

رجالا ونساء وأطفالا مزدحمين ازدحاما شديدا ومختلطين بالعساكر
الفارين الذين آل أمرهم الى الخـــذلان المعيب . فتركوا ضباطهم
ومواقعهم الحربية عند ما رأوا رفع الراية البيضـاء . ومن شـدة
الازدحام لم يتمكنا من الوصول بواسطة العربة . فترك عـرابى
راغب باشا فيها وصار ماشيا على قدميه يتخلل الناس حتى وصـل
الى ساحة الباب الشرقى فوجد بعض الضباط هناك من آلاى عيد بك
محمد ومعهم نصف أورطة من العساكر . وباقى الآلاى ذهب الى
حيث ذهب الفارون . وأخبر عرابى أن عساكر الطوبجية تركوا
الاستحكامات وتوجهوا الى بلادهم مع أهالى الاسكندرية وقد اقتدى
بهم عساكر البيادة . وكذلك بلغ عرابى أن سـليمان بك سـامى
هائج هياجا شـديدا . وأنه قد حضر ومن معه من العســاكر الى
المنشية وأنه يريد حرق الاسكندرية قبل تركها للعدو وأن عساكره
كسرت بعض الدكاكين وأخذت منها بعض الأقمشة . فأرسل عرابى
اليه ابراهيم بك فوزى وعمر بك رحمى وغيرهما من الضباط لمنعه
ممـا عزم عليه واخطاره بسرعة الحضور الى عرابى وصحبه بمن معه
من العساكر ، فحضر . ولما سأله عرابى عما نسب اليه ، أنكره كل
الإنكار ، ثم توجه الى عساكره وجمع ما وجده معهم من الأقمشـة
وأشعل فيها النار ؛ ولما رأى عرابى ذلك وبخه كثيرا وبرأ من عمله
هذا الى الله وأشهد عليه الأرض والسماء وجميع الحاضرين بأنه هو
المسئول عن عمله الفظيع دون غيره . وحين دب الرعب والفزع فى
قلوب العساكر ودب فيهم الفشل واستولى عليهم الخذلان فتشتت
أكثرهم لهول ما رأوا من تخريب الطوابى ولما رأى عرابى ذلك حاول
أن يوفق الى جمع شتاتهم فخرج بمن أمكن جمعهم فى الغروب الى
جهة « حجر النواتية » وهناك ضرب النفير نوبة جمع فتوارد بعض
المنتشرين فى الفضاء .

عرابى فى كفر الدوار

وفى صباح يوم ١٣ يوليو توجه عرابى بمن اجتمع عنده من العساكر الى عزبة خورشيد ثم الى كفر الدوار واتخذوهما مركزا حربيا ثم كتب الى محطات السكة الحديد والمديريات والمحافظات بسرعة ارجاع العساكر الى كفر الدوار للمدافعة عن الوطن ومن ثم أخذوا فى انشاء استحكامات خفيفة وتحصين التلال القديمة وجعلوا الخط الأول من الاستحكامات عند عزبة خورشيد خلف الملاحة وفى ١٥ يوليو أمروا بارسال قطار الخديوى ليقله وعائلته من سراى الرمل وحضوره الى عاصمة البلاد ؛ وقطار آخر لركوب الذوات والعساكر الذين بمعية الخديوى ، فلما رأى الخديوى ذلك أسرع فى التوجه الى سراى رأس التين ومعه عائلته والذوات والنظار والعساكر تحت رحمة الانجليز ورعايتهم وقد وضح بذلك انحيازه الى العدو المحارب لبلاده . وقد رفض الخديوى الرجوع الى عاصمة بلاده ، ولما وصل ومن معه الى سراى رأس التين استقبله ومن معه الأميرال والضباط الانجليز فى ردهة السراى الكائنة على رأس السلالم ثم أمر باحاطة السراى بالبوليس الانجليزى وقرر الأميرال سيمور وقنصل انجلترا والمستر كولفن تعيين المستر « أورستستين » ترجمانا بينهم وبين الخديوى وكان من واجباته الا يفارق السراى وأن يراقب كل ما يجرى فيها ويقدم به بيانا كافيا ، فكان يتناول الطعام مع الخديوى فى الصباح والمساء على مائدة واحدة . وهكذا صار الخديوى تحت رحمة الانجليز بمحض ارادته يأتمر بأمرهم وينفذ ارادتهم .

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من خورشيد باشا طاهر قال فيه :

« ظهر العدو من جهة الرمل باورتطين مشاة واورتطين سوارى

ومعه مدفعان يحاول وضعهما على ربوة على بعد ١٥٠ مترا من المستحكم الطبيعى الموجود أمام عساكرنا » .

فقابله كل من أحمد أفندى البيار البكباشى ومصطفى أفندى حسان البكباشى بأورطتين بيادة وأورطتين سوارى ، وأرسلا خبرا الى خورشيد باشا . فأسرع بثلاثة بلوكات من السوارى الى ميدان القتال فوجده كثير الرمال فأبطل ضرب نار البيادة وفتح السوارى فى هيئة (جرخاجية) وهجم على العدو حتى الجأه الى التقهقر خلف الربوة التى كان يحاول وضع المدفعين عليها ؛ وهناك اختفى العدو فى النخيل وولى منهزما .

« قد أصيب فقط حصان من خيول الجيش ؛ ولم يستشهد أحد من العساكر الأبطال ، وكان ابتداء القتال فى الساعة الأولى من النهار وانتهاؤه فى آخر الساعة الرابعة ، فمدة القتال ثلاث ساعات أبلت فى خلالها العساكر المصرية والضباط البواسل بلاء منقطع النظير ولم تعرف خسائر العدو لرفعها من ميدان القتال أولا بأول » ..

وفى ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ظهر قطار مقل لعساكر انجليزية آتيا من سكة القبارى ، فلما قرب من المقدمة أطلق عليه البكباشى محمد أفندى حشمت مدفعا عظيما من نوع « كروب » ، فأصاب القطار وأوقف سيره ؛ فنزلت العساكر وتقدمت الى الأمام بقيادة الجنرال « اليزون » الذى رتب جيشه على أربع فرق تحت حكمدارية الميرالاى (طوسون) والماجور (سترنج) والقبودان (أدج) فى صورة قلب وجناحين ، فلما قربوا على مسافة ٨٠٠ متر اشتبكوا فى القتال مع أورطة محروس أفندى البكباشى وأورطة المستخفظين حكمدارية محمد أفندى فوده الذى أظهر من الشجاعة أقصى حدودها ، ولما اشتد القتال بين الطرفين تقدم الرجل الشجاع أحمد بك عفت حكمدار المقدمة ومعه أورطة سليمان أفندى تعيلب ، وأرطة رزق

أفندى حجازى البكباشى ، وأصلوا العدو نارا حامية ، ثم قام فى الحال طلبة عصمت باشا قومندان فرقة كفر الدوار ، ومعه الآلاى برنجى ســـوارى حكمدارية أحمد بك عبد الغفار ، وحرك الاورط جهة المقدمة ، فتقارب الجيشان واختلط الفريقان وتقاتلوا بالسلاح الابيض ، ولما أظلم الليل وضعفت قوة العـــدو قفل راجعا متقهقرا والعســاكر المصريين فى أثره تأخذ عليه الطرق ، وتضـيق عليه السبيل وتضربه حتى حال الظلام بين الفريقين ، وكان ابتداء القتال فى التاسعة نهارا حتى الثامنة مساء وعند تفقد العســاكر المصرية وجد أن المستشهدين ٢٩ جنـــديا وصف ضابط وأستشهد الملازم الشـــجاع أحمد أفندى على ، وأما الجرحى فهم البكباشى محروت أفنـدى الذى توفى بسبب جراحة واثنان من الملازمين و ٦٥ جنديا وصف ضابط .

أما خسائر العدو فكانت فادحة وقد ترك عساكر الانجليز فى هـذه الموقعة ١٧ جثة منهـــا الملازم « ديز » وصار دفنه فى جسر المحمـــودية وقد شوهد الكثير من عساكر الانجليز يحملون قتلاهم وجرحاهم . كما شوهدت ساحة القتال فى اليـــوم التالى مشوهة بالدماء وآثار جر الموتى ظاهرة فيها .

خطاب توفيق إلى عرابى فى كفر الدوار

وفى ١٧ يوليو ١٨٨٢ أرســل الخـديوى توفيق الى عرابى وصحبه فى كفر الدوار تلغرافا من رأس التين بعد ارتمـائه فى احضان الانجليز يقول فيه : ــ

اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونتمة الانجليزية على طوابى الأسكندرية وتخريبها ، انما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى ، وتركيب المدافع التى كلما كان يصير الاستفهام عنها ، كنتم تخفونها وتنكرونها ، والآن قد حصلت

المكالمة مع الأميرال سيمور فأفاد بأنه ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة المصرية الخديوية خصومة ولا عداء ، وان ما حصل انما هو فى مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدوننمة ، وانه اذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منظم وممتثل ومؤتمن ، فهو مستعد لتسليم الأسكندرية اليها ، وكذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الانجليزية تحترمهم وتسلم المدينة اليهم ، فقد تحقق من هذا أن الحكومة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية ، وانه تقرر من جميع الدول المعظمة فى المؤتمر بأنه لا يصير من امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا من حقوق الدولة العلية ، بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت ، وأن يصير ارسال عساكر شاهانية لأجل استتباب الراحة فى مصر . فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جميع العساكر وكافة التجهيزات الحربية التى تجرونها بوصول أمرنا هذا وتحضروا حالا الى سراى رأس التين لأجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفهية على حسب أمرنا هذا ، وما استقر عليه مجلس النظار » « محمد توفيق » .

ردّ عرابى على توفيق

وبعد أن اطلع أحمد عرابى على هذا التلغراف وقرا ما فيه . أجاب عليه ببرقية فى نفس اليوم أى فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ قائلا : ـ

« مولاى .. فى شريف علم مولاى المعظم أن المحاربة التى وقعت بيننا وبين الانجليز انما تسببت عن طلبات الأميرال الانجليزى وبلغت مسامع عظمتكم ، وعرضت على مجلس نظاركم « المنعقد تحت رياسة سموكم » بحضور كثير من ذوات البلاد المنتخبين ودرويش باشا نائب الحضرة السلطانية . ولما تحقق عند جميعهم أن هذه الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن البلاد ،

قر رأيهم على معارضة طلب الأميرال ولو ادى ذلك الى الحرب .
وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة ٢٥ الف عسكرى وصدرت الأوامر الى المديريات بطلبهم ، وقرر المجلس ايضا أن لا تطلق المدافع الا بعد اطلاق ٥ طلقات من السفن الإنجليزية .
ولما ابتدأت السفن باطلاق النار على مدينة الأسكندرية لم تقابله الا بعد ٢٠ طلقة ، ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب ادنى استعداد لاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد ثم أعلن حضرة رئيس مجلس النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهات الادارة بأنه قد اشتبكت البلاد فى حرب مع الانجليز وانها صارت تحت الأحكام العسكرية كما هو حكم القانون فى زمن الحرب فلهذه الأسباب يا مولاى تكون حكومتكم الخديوية المصرية محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع ، ولم يحصل من الحكومة أو من عساكرها أدنى تحقير ولا ازدراء بالدونتمة كما هو معلوم لدى عظمتكم .
وانما كان الحرب عدوانا من الانجليز على الحكومة التى لم يبد منها أدنى شيء يستوجب الحرب ، فان كان الأميرال أظهر فى مخابرته مع سموكم أنه عدل عن المحاربة الى المسالمة ، فذلك يعد وقوع الحرب يعد طلبا للصلح وسعيا وراء تجديد العلاقات ، ولا يجوز أن يكون انكارا للحرب وتبرؤا من العدوان بعد وقوعهما ، ولا شك انى أوافق على أفكار سموكم فى الميل الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة ، وان كان الأميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد أن تخربت بمدافع السفن الانجليزية هدما وحرقا ، فها هو جيشها المنظم الذى لم يقع منه ادنى أمر يخل بالنظام ، مستعد لأن يتسلمها بعد أن تبرح المراكب مياه الأسكندرية . ولو انها ضربت المدينة بمدافع سفنها . وللمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغى الاستمرار على الاستعدادات العسكرية كما يوافق ذلك رأى سموكم أولا حتى تفارق المراكب السواحل المصرية خوفا مما عساه أن يحدث من قبيل ما سبق ،

فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على ان المسالة بالوعد من الانجليز لا يمكن كمال الثقة به ، وانما هو لأجل اشـــتغالنا عن الاستعدادات ، واقتراح مطالب تضر بصالح البلاد . وانني كنت اتمنى أن أمثل بين يدى عظمتكم لابداء هذه الملاحظات لو كنتم فى عاصمة البلاد ، بلادكم ولكن من الأســـف أن تحقق عندنا تحيز سموكم الى العدو المحارب لبلادكم ، بدليل رفضــكم العودة الى العاصمة وقت ارسال القطار الخديوى لســـموكم ، واختياركم الذهاب الى راس التين ومعــكم النظار وغيرهم من الذوات بعد علمكم بأن المدينة مشغولة بعساكر الانجليز اجابة لرأى المســـتر « كلفن » .

فان كنت يا مولاى حرا ، فيجب حضوركم الى عاصمة البلاد ، وان كنت أسيرا لدى الانجليز أو متحيزا اليهم فلا يمكن التسليم بقبول ما يكتبه العدو عن ســـموكم ، أو عن لسان رئيس النظار وزملائه والأمر لمن له الأمر » .

الامضـــاء :

« ناظر الجهادية أحمد عرابى »

كما أرسل أحمـــد عرابى خطابا الى وكيل الجهادية يعقوب سامى باشا شرح له فيه تفاصيل ما حدث من الانجليز والخديوى .

المؤتمر الوطنى

وبناء على هذا الخطاب دعا وكيل الجهادية كثيرا من الذوات والأعيان وكان الاجتمـــاع فى ديوان الداخلية وبعد المداولة قرر الحـــاضرون وجوب الاســـتمرار فى اعداد التجهيزات الحربيـــة واستدعاء الخديوى والنظار من الأسكندرية .

وفى ليلة غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ عقد فى نظارة الداخلية مجلس مؤلف من سعادة وكيل الجهادية وسعادة وكيل الداخلية حسين باشا الدرملى ووكيل الحقانية بطرس باشا غالى وسعادة

على باشا فهمى وناظر الدائرة السنية سعادة أحمد باشا نشأت . وكل من سعادة دانش باشا ومحمود سامى باشا ومحمد باشا رضا وحضرات باشكاتب المـــالية واحمد بك رفعت رئيس المطبوعات ومأمور ضبطية مصر ابراهيم بك فوزى وعلى بك يوسف وأحمد بك فرج وحسين بك جاد .. وبعد المداولة قرر المجلس المذكور انعقاد مجلس فى هيئة مؤتمر عام يشكل من اكابر العلماء والرؤســاء الروحانيين من الطوائف المختلفة ومأمورى الحكومة الحائزين على الرتبة الثانية فما فوقها وأمراء العــائلة الخديوية واكابر الذوات المتقاعدين وأعيان التجار وان يكون انعقاده فى نظارة الداخلية يوم الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ .

وفى الميعاد المذكور انعقد المجلس تحت رئاسة سعادة وكيل الداخلية ومن عدد كثير من كل طبقة من الطبقات المذكورة ، وتليت عليهم الأوراق المتعلقة بالمسألة المتقدمة ، وطلب منهم النظر فيها لكونهم أعيان البلاد وأصحاب الصالح المهم فيها ، فقر رأى الجميع بعد المداولة على ما يأتى : —

أولا : — يلزم طلب حضور الخديوى والنظار الى العاصـمة ، ان كانوا أحرارا ولزوم الاستمرار على التجهيزات الحربية مادامت عساكر الانجليز فى مدينة الأسكندرية ومراكبهم فى مياهها .

ثانيا : — تعيين لجنـــة مؤلفة من مندوبين من طرف المجلس العام ليتوجهوا الى الأســـكندرية ، ويبلغوا سمو الخديوى وحضرات النظار قرار المجلس ثم يدعوهم الى العــاصمة ان كانوا أحرارا !! ..

وقد انتخب المجلس على باشا مبارك وزير الأشغال سابقا فى زمن الاستبداد رئيسا لهذه اللجنة واعضاؤها رؤوف باشا حاكم السودان سابقا ، وأحمد بك السيوفى من الأعيان ، والشيخ سعد

الشماخي وكيل دولة مراكش فى مصر والشيخ على نايل والشيخ أحمد كبوة من العلماء . وقد انتهت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة بالتوقيت العربى من اليوم المذكور .

وكان هذا المؤتمر يعتبر بحق أول مؤتمر وطنى يعرفه شعب مصر فى عهود الطغيان ..

وبناء على قرار المؤتمر . خرج الوفد المعين من الذوات الى معسكر كفر الدوار أولا ومنه توجهوا الى الأسكندرية على ظهور الخيل ومعهم الحرس اللازم ، وفى صباح ١٣ يوليو سنة ١٨٨٢ اجتمعوا بالخديوى والنظار وأخبروهم بمهمتهم . وعلى ذلك صار حجز على باشا مبارك واحمد بك السيوفى بالأسكندرية ورجع محمد باشا رؤوف والشيخ سعيد الشماخى والشيخ نايل والشيخ احمد كبوة وكذلك اسماعيل باشا حقى أبو جبل لضعفه . وكان رجوعهم بمقتضى تصريح خصوصى من قائد الانجليز . وعند رجوعهم أخبروا أحمد عرابى وبالتالى أخبروا المجلس بأن الخديوى أسير عند الانجليز ولا يمكن رجوعه الى مصر .

وبعد ذلك ورد الى أحمد عرابى من الخديوى توفيق أمر بعزله من نظارة الجهادية .

وهذا هو نص الأمر المشار اليه : —

« الى احمد عرابى باشا فى ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ و ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

« ان سفرك الى كفر الدوار مصحوبا بالجند وخروجك من الاسكندرية بعد القتال ، وتعطيلك الخطوط الحديدية والبريد ، ومنعك لمهاجرى الأسكندرية من العودة الى اوطانهم واستمرارك على اعداد التجهيزات الحربية وعدم امتثالك لأوامرنا ، والقدوم الى الأسكندرية ، كل ذلك الجانا الى عزلك من وظيفتك فانت

بمقتضى هذا الأمر المرسل اليك معزول من الآن من نظارتى الجهادية والبحرية » .

ومن هنا نرى أن الخديوى تحت تأثير أسياده الانجليز كان يكمن فى نفسه نية عزل احمد عرابى قبيل وصول أعضاء الوفد اليه . فأصدر أمره الموضح بعاليه ووقعه بتاريخ سابق لوصول أعضاء الوفد السالف ذكرهم . ثم أشفع هذا الاعلان بمنشور علق فى شوارع المدينة بين فيه الأسباب التى دعت الى عزل احمد عرابى واوضح أن نزول عساكر الانجليز الى المدينة ، لم يكن بقصد الاستيلاء ، فان المؤتمر القسطنطينى لا يوافق على ذلك ، بل سيعود الانجليز الى بلادهم بعد استتباب الأمن والراحة فى انحاء البلاد المصرية واعادة سلطة الخديوى المسلوبة . . وقد ارسل هذا المنشور مع منشور آخر من الأميرال سيمور بالمضمون عينه يعترف فيه بأن العمارة الانجليزية تعود الى انجلترا بعد تأييد سلطة الخديوى واعادته الى مركزه ، وأن لا مطمع للانجليز فى الاستيلاء على البلاد المصرية ، وأرسلت تلك المنشورات الى رؤساء المراكز العسكرية وعمد البلاد ومشاريخ العربان . وفى اليوم المذكور حضرت سفينة الى أبى قير وسلمت أمر الخديوى المؤذن لاحمد عرابى بعزله ومنشور الخديوى والأميرال الانجليزى الى خورشيد باشا طاهر حكمدار النقطة المذكورة ، فأرسلها الى احمد عرابى بافادة من طرفه . وعندما وصلته ارسلها احمد عرابى الى رئيس المجلس بالقاهرة لفحصها واعطاء القرار من المجلس بما يراه .

وانعقد المؤتمر العام فى ديوان الداخلية كما ذكر فى ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٢ الموافق ٦ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ وبعد تلاوة الأوراق المعروضة للمذاكرة فى شأنها صدرت فتوى شرعية من الشيخ العارف بالله شيخ الاسلام والمسلمين السيد محمد عليش وشيخ الاسلام الشيخ حسن العدوى والشيخ الخلفاوى وغيرهم من

العلماء بمروق الخديوى توفيق باشا من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده وقرر قرار المجلس ما يأتى :

« بعد تلاوة الأوامر الصادرة من الخديوى توفيق باشا أولا وآخرا ، وفيها الأمر الصادر الى أحمد عرابى باشا ، وتلاوة منشورات عرابى باشا ، وبعد سماعنا ما عرضه وكيل الجهادية بصفته بهذه الوظيفة وكونه رئيس المجلس المشكل لادارة أشغال الحكومة على المجلس ، وهو « هل وجود الخديوى فى الاسكندرية هو ونظاره تحت محافظة عساكر الانجليز يقتضى عدم تنفيذ أوامره أم لا . واذا صدرت له أوامر من الخديوى هل يعلم بها أم لا ؟؟ » . رأينا أن وجود العساكر الانجليزية فى الاسكندرية وبقاء مراكبهم الحربية فى السواحل المصرية ووقوف عرابى باشا لمدافعة العدو يقضى وجوب بقاء الباشا المشار اليه فى نظارة الجهادية والبحرية مداوما على قيادة العسكر متبعا فى أوامره المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله عن تلك الوظيفة . ورأينا وجوب توقيف أوامر الخديوى وما يصدر من نظاره الموجودين معه فى الاسكندرية كيفما كانت ولأى جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث ان الخديوى خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف ويلزم عرض قرارنا هذا على الأعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات » .

وبعد امضاء هذا القرار عرض مضمونه بواسطة التلغراف على الحضرة السلطانية ، وصار ابلاغه الى أحمد عرابى رسميا والزامه بالدفاع عن الوطن واعطاؤه لقب « **حامى البلاد المصرية** » .

وكان قد ورد تلغراف الى أحمد عرابى فى ١٢ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ الموافق ١٨ يوليو سنة ١٨٨٢ من على باشا مبارك رئيس الوفد الذى أرسل من المجلس العام الى الأسكندرية لمقابلة الخديوى قال فيه : —

« بحمد الله تعالى وصلنا الى الأسكندرية واخذنا نسعى فى الاشـــتغال بالمأمورية المحولة على عهدتنا من قبل المجلس المنعقد بالقاهرة . وفى علم ســـعادتكم اهمية مأموريتنا وما تحتاجه من المذاكرات ، فلأجل الوصول الى الغاية المقصودة فى الزمن القليل يلزم أن تكون المخابرات بيننا وبين سعادتكم بواسطة التلغراف فربما ينتج منها فائدة للوطن وحفظه من الغائلات . ثم أعرض على سعادتكم أنه قد تقرر تشكيل قومسيون يكون مركبا منا ومن بعض الذوات يجتمع مع قومسيون ممن تعينونه وتعتمدون عليه من أمراء العسكرية يجتمعون فى محل يصير تعيينه بالاتفاق للمذاكرة فى الأحوال الحاضرة حتى نؤمل الحصول على نتيجة توافق الجميع وتزيل هذه النازلة عن وطننا العزيز فان راق لكم فلتعينوا المحل والذوات العسكرية وفيدونا بما ترونه أفندم » .

ومن هنا نرى مدى مراوغة على باشا مبارك فى اداء المهمة وعلى ذلك قام أحمد عرابى بالرد عليه بما يأتى : ــ

« نحمد الله على وصول سعادتكم بالسلامة ، وبعد فاننـــا تشرفنا بورود تلغراف سعادتكم الذى به تطلبـــون منـــا تعين قومسيون من العسكرية لانضـــمامه مع قومســـيون يتشكل من سعادتكم وبعض الذوات للمذاكرة فى الأحوال الحاضرة . وحيث انه من المعلوم لنا انه قد صار عقد مجلس حافل عمومى بمصر من ذوات العسكرية والملكية والعلماء والتجار والاعيان والرؤســـاء الروحانيين ، وكنتم سعادتكم من ضمن الموجودين به وما كان عقد هذا المجلس الا للنظر فى الأحوال الحـــاضرة ، واتخاذ التدابير اللازمة لوقاية البلاد . وقد قرر ذلك المجلس كما تعلمون سعادتكم بوجوب استمرار التجهيزات الحربية وبارسال ســـعادتكم مع من تعين معكم لمأمورية مخصوصة ومحدودة . ومن هذا ترى سعادتكم انه لا يوجد لى ادنى صفة او حق لتعيين قومســـيون من طرفى

ولا أدرى الغرض منه بعد قرار المجلس الذى عقد بالقاهرة على أنى لست مستقلا بعمل أمر ما ، بل انى مطيع ومنقاد فى أى حال لما تامر به الأمة . ولهــذا فانى متاسف لعــدم امكانى اجابة طلب سعادتكم » .

وفى ٢٣ رمضـــان سنة ١٢٩٩ هـ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ صــدر منشــور من الخديوى الى جميع المصريين وهــذا نصــه : ــ

« نحن خديوى مصر نعلن لجميع المصريين أن عرابى باشــا قد ارتكب آثاما فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر وأهلها وجعلت الدول الأوربية ناقمة عليها ، فانها باتت الآن تعتبر المصريين امة غير متمدينة . فهذه الجرائم والآثام منحصرة فى عصيان عرابى المذكور ، وتحريضه للقوم على السير تحت لواء العصـيان وفى الدسائس التى نشأت عنها مذبحة الأسكندرية وغيرها من البلاد فأوقفت فيها حركة التجـارة وعطلت أعمال الزراعة ثم فى عصيانه لأوامر جلالة السلطان الأعظم وهى الأوامر التى صـــدرت اليه بالانقطاع عن التظاهر بالعدوان فى الاستحكامات والحصون مما بات معلوم النتيجة من هلاك النفوس وتدمير قلاع وخراب أبنية ، وبعد أن بدد عرابى فى أقل من ساعة شمل سكان الاسـكندرية الذين نهبهم أضرم النار فيها ، وغير ذلك ، وخرج منها بجيشه قاصـدا كفر الدوار حيث عسكر بقومه من غير علمنا وبغير ارادة منا ، فبعث ذلك على نزول الانجليز الى المدينة لاطفاء النار المضرمة فيها ومنع النهب والمحافظة على الراحة ، وفوق ذلك منع المهاجرين من العودة الى أوطانهم وقطع ما بينهم وبين أهلهم وسائل الصلة والعلاقة ، وقطع الماء عن الاسكندرية وأعلن جهرا عصيانه بأكاذيبه الظاهرة ، فبذلك عد عاصيا ومستحقا لأشد العقوبات بمقتضى الشرع الشريف. ولا يزال مع ذلك عاملا على تعميم الخراب بمساعدة جنده والأهالى

المتحزبين معه المنقادين لآرائه الوخيمة ، وقد تجاوز الحدود بعصيانه بما يفوق الوصف ، فقد استولى على أموال الضرائب وعزل كثيرين من موظفى الحكومة ، واستبدلهم بغيرهم فى حالة كونه معزولا من وظيفته معدا للعقاب الصارم الشديد • ولقد رأينا أن قلوب كثير من رعيتنا لا تزال قاسية مائلة الى عرابى بالرغم من أوامرنا السابقة ، فلذلك أصدرنا هذا المنشور الآخر معلنين فيه أن كل شخص يعرف عنه أنه ذو ضلع مع عرابى وميل اليه ، عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان ، فرحمة بمصر وأهلها نستأنف الآن اعلاننا للمصريين عموما والجند خصوصا أن كل من أصر على عصيانه وانقياده الى عرابى كان مذنبا أمام الله غير مقبول العذر لدينا ، فنجرده مع ولده وذويه من جميع الرتب والرواتب ومعينات التقاعد وسائر الامتيازات التى كان متمتعا بها ، وليعلم المصريون أننا نحن أميرهم ومولاهم وألا يرتكبوا عصيانا علينا وليعلم كل منهم أيضا أنه اذا أدى للعاصى عرابى أو لأتباعه أموال الضرائب كانت تأديته للمال غير محسوبة لدينا بل اننا نطالبه بها يوم تنقشع عن سماء مصر غيوم النكبات العرابية » ••

« الامضاء : ـ «محمد توفيق»

ورد عرابى بمنشور مماثل قال فيه :

« الى رؤساء الجيش فى المراكز الحربية وللمديريات وجميع فروع الحكومة : ـ « قد أوجب الله علينا اعداد ما نستطيعه من القوة لقتال الامة الانجليزية التى اعتدت على البلاد طمعا وشرها ، وبادأتنا بالحرب بغيا وعدوانا • وقد قام به أحسن قيام على قدر شأن كل حر مخلص شهم عالى الهمة ، شريف الذمة من رجال البلاد عموما ونظراء سعادتكم من حضرات المديرين خصوصا • وبعناية الله

واتحاد الجميع ذلك الاتحاد الذى هو أثر الغيرة الوطنية والحمية الانسانية ، قد أدركت البلاد فى زمن يسير من عظيم القوة وجليل الاستعداد ما لم يخطر بالبـال قبل الآن ، ولا يخفى أنه من أجل ما يجب القيام به الحرص الزائد على الدقيقة الواحدة ، بل اللحظة الواحدة من زمن المحاربة ، فلا تفوت الا وتكون قد صرفت فى حسن التـدبير وأصالة الرأى فى النكاية بالعـدو ، رده الله على عقبيه خاسئا خاسرا • وأنه مما وجب اعـداده لذلك هو زيادة الجنـد ٢٥ ألف عسكرى ، فبناء على ذلك وما ترااى من أن هذا العدد اذا شرع فى جمعه بحسب القرعة العسـكرية ، فقد يجتمع من الشبان ما يلزم لتدريبهم وتمرينهم على حمل السلاح وحركات الدفاع وقت لا يحسن تقويته الا بأعظم ما يمكن من الفائدة لما مر • وحيث أن خفراء البلاد المرتبين من الاهالى هم بالطبـع أكثر من غيرهم تعودا وتمرنا على حمل السـلاح والحركات الدفاعية وأشد قوة وبأسا ، وأثبت جأشا لدى المقـاومات العدائية ، وقد يتيسر جدا جمع هـذا العدد من هؤلاء الخفراء وحشده مع الجيش فى زمن وجيز وبحالة أقرب وأسهل ممـا لو جمع من غيرهم بالقرعة العسكرية ـ فعليه يجمع هذا العدد من المديريات ، بحيث تسرع فى جمعه من الخفراء المذكورين ـ وكل بلدة وما يخصها منه ، وقد خص مديرية سعادتكم من العدد المذكور كذا نفر ، فالقصد مزيد الاعتناء والاسراع فى جمع العـدد المومأ اليه تخصيصـه على بلاد المدرية من نفس الخفراء المذكورين ، ثم يجرى تفهيم كل واحـد منهم بأنه فى نظير تلبيته لدعوة هذه الخـدمة الوطنية الشريفة مع المسرة والبشر شأن الحريص على شرف قومه فانه بعد انتهاء الحرب بنصرنا ، وظفرنا بفضل الله تعالى ، يكون معافى من الخدمات العسكرية • ويصير ارسال الانفار المذكورة بالأفادات المقتضـية كالجـارى ، أما الخفراء الذين يلزم ترتيبهم بدلا من المذكورين فيجرى انتخـابهم وتعيينهم فى محلات

دركات أسلافهم فى الحال ، حسب ما يلزم ، واقتضى تحريره ونشره للاجراء على مقتضاه »

« ناظر الجهادية : ـ امضاء أحمد عرابى »

وفى الحقيقة أن الحرب التى نشبت بين المصريين والانجليز قامت فى وقت كانت خزانة الحكومة خاوية وليس بها درهم واحد لأن المراقب الانجليزى المستر « كولفن » أخذ الاموال من خزينة المالية وأنزلها فى الدونتمه الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام قليلة ، وكذلك الأموال الموجودة فى صندوق الدين العمومى قد حملها أعضاء قومسيون الصندوق الى المراكب الحربية حيث أمنوا عليها .

وكان قد حدث بعد اعلان الحرب بأربعة أيام أى فى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٢ أن وردت اشارة تلغرافية من رئيس مخبز حى القبارى الى أحمد عرابى بأنه موجود فى المخبز ٣٥٠ ألف أقة بقسماط ويخشى من أن عساكر الانجليز يأخذونها ، فاستحضر أحمد عرابى القائمقام محمد بك نسيم . وأمره بأن يأخذ قطارا بعربات فارغة لشحن البقسماط الموجود بمخبز القبارى ويأتى به الى كفر الدوار ، فصدع القائمقام المذكور بالأمر ، وأخذ القطار وتوجه الى القبارى بالاسكندرية ولكن خاب ظن عرابى فيه ، فانه بعد وصوله الى الاسكندرية ترك القطار وتوجه الى رأس التين وأخبر الخديوى بدخيلة أمره ، فأمر الخديوى بحجز القطار ، وصرف البقسماط الى الجيش الانجليزى ومنعه عن العساكر المصريين ، وكان ذلك القائمقام أول من ترك الجيش وانضم الى جانب الخائنين لوطنهم ، ثم اقتدى بعمله القائمقام أركان حرب محمد بك لبيب والبكباشى عبد الرازق نظمى الذى قتل بعد ذلك فى حرب الدراويش بسواكن ، وبناء على ذلك تحرر من المجلس العام الى المديريات أمر بتحصيل الاموال من الاهالى عن كل فدان عشرة قروش ، ومن شاء أن يتبرع

بشيء اعانة لاخوانهم المجاهدين فى سبيل المدافعة عن وطنهم وحفظ كرامتهم وشرفهم ، يقبل منه مع اعلان الشكر .

ولما أعلن ذلك جاءت الأمة على اختلاف مذاهبها ونحلها بالمال والغلال والخيل والجمال والابقـار والجواميس والاغنام والفاكهة والخضروات حتى حطب الحريق . فمنهم موسى بـك مزار الرجل الوطنى البحت ، فقد تبرع بألف وثلثمائة ثوب بفته وثلاثين عجل بقر عن طيب خاطر ، ومنهم والدة الخديوى اسماعيل ، فقد تبرعت بجميع خيول عرباتها وجاراها فى هـذا المضمار باقى أفراد العائلة الخديوية .

وكذلك حرم خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وحرم رياض باشا وكثيرون غيرهم من الذات ، رجالا ونساء ، كل ذلك فضلا عما مدوا به الجيش من الاقمشـة والاربطة اللازمة لتضميد الجراح ، ومن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلكه من الغلال والمواشى ، ومنهم من خرج عن جميـع مقتنياته ، ومنهم من عرض أولاده للدفاع عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه.. وبالجملة فان الامة المصرية عن بكرة أبيهـا قدمت من التبرعات وأظهرت من النـخوة والغيرة ما لم يسبق له عهد فى القرون الخالية .

وكان الجميع متحمسين للنهوض لقتـال الانجليز وكان نبهاء الأمة يعقدون الاجتماعات ويلقون فيها الخطب الحماسية والقصائد الدالة على كبر نفوسـهم ، ومن هؤلاء الخطباء والشعراء : الشيخ أحمد عبد الغنى والشيخ سيد المرصفى ، والسيد عبد الله نديم ، والشيخ محمد أبو الفضل ، والشيخ محمد فتح الله وغيرهم .

وقعـة كفر الـدوار

حدث فى يوم الأحد ٥ شـوال سـنة ١٢٩٩ هـ الموافق ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ م أن رؤى العدو يرتب عسـاكره من

الساعة السادسة فأمر عرابى « طلبة باشا » قومندان الفرقة بكفر الدوار بترتيب العساكر بهيئة مؤلفة من أربع أورط من الجهـــة الشرقية تحت حكمدارية الأميرالاى « عيد بك » والقائمقام « أحمد بك عفت » ، وأربع أورط من الجهـــة الغربية تحت حكمدارية « الأميرالاى مصطفى بك عبد الرحيم » والقائمقـــام « سليمان بك سامى » وأما العربان والسوارى فتحت قومندانية «أحمد عبد الغفار» وفى الساعة التاسعة ظهر العدو مرتبا قولاته من ستة قولات من الجهة الشرقية وقولين من الجهة الغربية وقطارين من قطارات السكة الحديدية ثم ابتدأ الضرب بالمدافع من الطرفين واستمر ساعتين ، وكانت العساكر المصرية تتقدم تحت نيران الطوبجية وعندما صار العدو تحت مقذوفات البيادة ابتدأ اطلاق النار من الطرفين فاحتدمت الحرب وتوالى اطلاق النار الى منتصف الساعة الأولى من الليل . فلما رأى العدو ثبات العساكر المصرية واقدامهم بشجاعة وسرعة حركاتهم ، ولى الأدبار فتبعته السوارى والعربان وأوقعت به قتلا وفتكا حتى أدخلته فى الرمل مما جعله يترك كثيرا من رجـــاله أشلاء فى ميدان القتال .

وفى اليوم التالى حضر العدو بقولات من جهة الرمل وابتدأ باطلاق المدافع فجاوبتها العســاكر المصرية بالمثل وكانت المشـــاة المصرية تسير تحت نيران المدافع المصرية وقبل أن يصلوا الى مواقع المقذوفات تقهقر العدو واستمر اطلاق المدافع الى الغروب وعنـــدما رأى العـــدو أن النيران المصرية لا تبقى ولا تذر فر هاربا وعادت العساكر المصرية ولم يصب واحد منهم بسوء .

وفى اليوم التالى الموافق الثلاثاء ٢٢ أغسطس ورد الى أحمد عرابى تلغراف من طلبة باشا قومندان فرقة كفر الدوار ، يشيد بعظمة العساكر المصرية ويشير الى الهزائم الشنعاء التى لقيهـــا العدو .

وحينما علم الخديوى توفيق بما حدث أراد أن يزعزع النفوس ويخمد حمية رجال الجيش ويبث اليأس فى نفوسهم ، مساعدة منه للانجليز وأصدر أمراً بتشكيل وزارة جديدة بعد أن استقالت وزارة راغب باشا فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٨٢ واستقدم « رياض باشا » من أوربا وبعد قدومه دعا الخديوى محمد شريف باشا الى تأليف وزارة جديدة برئاسته ، فلبى الدعوى وصدع للأمر وألف الوزارة على الوجه الآتى : ـ

محمد شريف باشا « رئيس النظار وناظر الخارجية » ـ مصطفى رياض باشا « للداخلية » ـ عمر لطفى باشا « للجهادية والبحرية » حيدر باشا « للمالية » ـ على مبارك باشا « للنافعة ـ الأشغال » ـ أحمد خيرى باشا «للمعارف» فخرى باشا « للحقانية» ـ أحمد زكى باشا « للأوقاف » .

توفيق يحث الشعب لمساعدة العدو

وبعد ذلك أصدر الخديوى منشورا الى أهالى القطر يحضهم على مساعدة الانجليز ويصرح فيه بأنهم نائبون عنه فى تأديب الجيش المصرى ! وقد جاء فى هذا المنشور ما يأتى :

« ليس خافيا ما أقدم عليه أحمد عرابى وشيعته الضالة من الأفعال المغايره والتشبثات الفوضوية التى أخلت بنظام القطر ، وأضعفت الثقة به بل أورثته الخسائر والأضرار الجسيمة ولا سيما بانضمام الجيش المصرى اليه واتحادهم معه فى البغى والمجاهرة بالعصيان لحكومتنا الخديوية حتى ارتبكت الأحوال وخيفت العواقب فبادرت الدول الى عقد المؤتمر الدولى بالآستانة للنظر فى المسألة وتقرير ما به حلها . وبالبحث والمذاكرة فى ذلك استقر رأيهم على اتخاذ الطرق التى يترتب عليها عودة سلطتنا الخديوية وتأديب

هؤلاء الخارجين لتستتب الراحة وتزول أسباب المفاسد حرصا على عمران القطر واحترازا مما عسى أن يلم به من الدمار ، ولما كانت الدولة البريطانية الانجليزية لها فيه المنافع الكبرى ولا سيما بالنظر الى ترعة السويس التى هى طريقها الوحيد للخطة الهندية المهمة ، فقد أخذت على عهدتها وتحت أمرتها التدخل الفعلى لقمع هؤلاء المفسدين ، ومحو آثار الفتن دون أن تمس حقوق السلطنه السنية ولا الامتيازات المصرية • ولتحققنا أن نيتها سليمة ومساعيها فى الظاهر والباطن ليس الا الاصلاح ولا غاية لها فى الاستيلاء على البلاد ولا الفتك بأهلها لعداوة دينية ولا غير ذلك مما يذيعه العصاة تنفيرا منهم للعامة وتبغيضا لهم فى الأمة الانجليزية على حسن مقاصدها المذكورة ، ولا يزال العاصون على حالهم من المقاومة وتجسيم الحال المؤدى الى زيادة الخراب حتى اعتبرتهم السلطنة السنية عصاة مخالفين للأحكام الشرعية ، فاستدراكا للأمر ومراعاة للمصلحة العمومية قد رخصنا لحضرة القائد العمومى للجيش الانجليزى بالتجول نحو جموع العصاة واستعمال الوسائط القاهرة لتبديد شملهم وسرعة القبض على رؤسائهم لمحاكمتهم بما يستحقون من أشد العقاب ، وبما أن العساكر الانجليزية يعملون فى هذه الحالة نائبين عنا فى قطع دابر المفسدين وتطهير البلاد منهم حتى يستتب الأمن والراحة ويزول الشقاء عن العباد • ومن كانت هذه صفتهم فانهم جديرون بالمعاونة والمساعدة ولا يرتاب احد فيهم بوجه من الوجوه فينبغى ألا يرهب منهم أحد ولا يظن فيهم سوءا أو مكروها وألا يعاملوا بما يستوجب المنافرة بل على كل مصرى يحب وطنه ويخشى خرابه أن يعاملهم لقاء حسن النيه بالاكرام اللائق بهم ، ولا يتأخر أحد عن مساعدتهم فى تقديم ما ربما يحتاجون اليه من المؤونة بأثمانها السائرة التى هم مستعدون لادائها فورا فمن فعل كذلك فقد وفى ما يجب عليه من حقوق الوطنية الصادقة واستوجب رضاء الله ورضانا عنه فضلا عما يراه منهم من المكرمة ومن

أبى وخالف وقابلهم بالمكابرة الوحشية التى لا تجديه نفعا فقد عرض نفسه للتهلكه التى نهى الله عنها وتحققنا أنه من العصبة الباغية فامره كأمرهم .. » ..

(امضاء محمد توفيق)

وكان الانجليز قد أصدروا فى ١٩ اغسطس سـنة ١٨٨٢ المنشور الآتى :

« يعلن الجنرال ولسلى قائد الجيوش الانجليزية أن الدولة البريطانية لم تقصد بارسال التجريدة العسكرية الى القطر المصرى الا تأييد سلطة الجناب الخديوى ، فجنودنا لذلك لا تقاتل الا من كان شاكى السلاح ، خالعا لطاعة الخديوى ، أما سائر الأهـالى الذين يكونون فى هدوء وسـكينة فيعاملون بالتـؤدة ، ومقتضى الشعائر الانسانية فلا يمسهم أذى بل سيحترم دينهم وتصـان مساجدهم وعائلاتهم ، وما يلزم الجيش من زاد وغيره يؤدى بثمنه. ولذلك ندعو الأهالى الى تقديم مالديهم مما يحتاج اليه الجيش . ثم أن الجنرال قائد الجيوش يسر كثيرا وينشرح صدرا من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم ممن يؤدون المساعدة فى قمع العصيان والقاء القبض على العصاة الذين عقوا الخديوى أمير البلاد وواليها الشرعى المعين من لدن الحضرة السلطانية .

« الاسكندرية فى ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٢ .

الامضاء : ـ الجنرال غازنت ولسلى

قائد الجيوش الانجليزية فى الديار المصرية »

وفى نفس يوم صدور هذا المنشور ورد تلغراف الى أحمد عرابى من محافظة السـويس بأن الانجليز أطلقوا مدافعهم على المدينة ولما لم يجاوبهم أحد خرجوا الى البر واحتلوا المدينـة

وتم ذلك ايضا في مدينة الاسماعيلية في ليلة ٢٠ اغسطس . وفي ٢١ اغسطس توجه الفريق راشد باشا حسني الى الخط الشرقي ومعه فرقة من البيادة والطوبجية والسواري تحت امرة خالد باشا نديم ومحمد بك عبيد الأميرالاي وكذلك الأميرالاي عبد القادر عبد الصمد ثم صار وضع أورطة في محطة « فايد » واخرى في « نفيشة » وجعلوا المركز العمومي في « المسخوطة » وتوجه اليهم محمود باشا فهمي رئيس أركان حرب ، واخذوا في انشاء استحكامات خفيفة في المسخوطة بواسطة الأهالي المتطوعين .

موقعة "المحسمة"

وفي ٢٤ أغسطس سنة ١٨٨٢ الموافق ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ . نشب القتال مع الانجليز بين المسخوطة والاسماعيلية فاقتتل الفريقان قتالا شديدا اشترك فيه العربان حتى أخرجوا الانجليز من مراكزهم التي تحصنوا فيها عند محطة المحسمة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة ٠

وفي اليوم التالي ٢٥ اغسطس ورد تلغراف من رئيس اركان حرب الجيش بالمحسمة لوكيل الجهادية بمصر يشيد فيه بموقف الجيش وانتصاراته في واقعة المحسمة ، وقد أرسل هذا التلغراف تهنئة وبشرى من رئيس أركان حرب الى ناظر الجهادية احمد عرابي ووكيلها ٠ وحينما سمع عرابي بهذا النبأ السار أرسل تلغراف تهنئة لراشد باشا حسني قومندان الجيش الشرقي ٠ وفي نفس اليـوم أى ٢٥ أغسطس أطلق الانجليز مدافعهم على العساكر المصرية في المسخوطة وهي قريبة من الاسماعيلية ٠ ثم هجم جيشهم برا بقوة هائلة . وكان هناك ستة آلاف جندى من

المتطوعين يشتغلون فى الاستحكامات ، فلما نزلت عليهم مقذوفات العدو بشدة تشتتوا وتخللوا العساكر النظاميين فلم يتمكنوا من الضرب لامتلاء الميدان بهم ولم يجدوا بدا من الرجعة فرارا من تمكن العدو منهم ، وتركوا مركز المسخوطة ورجعوا الى التل الكبير . واما محمود باشا فهمى فانه لم يرد أن يرجع مع العساكر وآثر الوقوع فى الأسر على البقاء فى الجيش لشدة ما هاله وألم بنفسه من المنشور السابق الذى صدر باسم السلطان .

عرابى فى رأس الوادى

ولما بلغ عرابى خبر هذه الواقعة قام بمن معه من القادة من كفر الدوار الى راس الوادى وكذلك قام اليها من مصر على باشا فهمى ومعه آلاى اجى بياده حكمدارية أحمد بك فرج وحضر من دمياط خضر بك خضر الى رأس الوادى ومعه أورطتان من العساكر السودانيين وجاءهم عيد بك محمد بآلايه من كفر الدوار واحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن بآلايات السوارى. وصار ترتيب الجيش ومواقع الاستحكامات . ثم عقد عرابى مجلسا حربيا تحت رئاسته . وتقرر فيه هيئة الهجوم على العدو .. وعرف الرؤساء كيفية ترتيب الجيش وسيره ، واعطى لكل واحد منهم رسم الشكل الحربى مبينا فيه الدقيقة التى يلزم أن توجد الفرق فيها على خط النار أمام العدو ، حيث كان معسكرا فى « القصاصين » وكان ترتيب الجيش على هيئة شكل مقعر يكتشف العدو من كل جهة ، فكانت أورطة محمد افندى الرملاوى فى الجناح الايمن للترعة الحلوة ومعه أورطه من السوارى ومدفعان وجانب من العربان . وفى هذا الجناح من يسار الترعة ا جى آلاى بيادة حكمدارية أحمد بك فرج وخلفه مدفعان . وفى

القلب ثلاث أورط يتقدمها ٨ مدافع من الكروب وخلفها أورطة من البيادة و ٦ مدافع . والجميع تحت حكمدارية على باشا فهمى والطوبجية تحت حكمدارية حسن بك رأفت ، وفى الجناح الأيسر ٦ أورط من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبد الغفار وأورطتان من البيادة ومدفعان تحت حكمدارية عيد بك . وقومندان هذا الجيش راشد باشا حسنى وكذلك محمود سامى البارودى حكمدار الجيش المعسكرى فى الصالحية وكان مركبا من ١٢ ألف عسكرى ورتب له أن يقوم بجيشه ليلا بحيث يصل الى يسار جيش رأس الوادى عند مطلع الفجر ، ويحيط بميمنة العدو .. والقوة التى على يمين الترعة تحيط بميسرته والعربان يقتحمون الترعة من خلف وتقطع عليه خط الرجعة وبذلك لايتمكن العدو من الفرار وقد كان مع العدو « الدوق اف كنوت » ثالث أنجال ملكة الانجليز . أما عرابى فقد كان يتنقل من مكان الى آخر للاشراف على سير القتال بنفسه ويصدر تعليماته الى قادة جيشه ويحثهم على الجهاد ويبشرهم بالنصر عقبى الصابرين .

معركة القصاصين الأولى وهزيمة الإنجليز

وفى ليلة الاثنين الموافق ٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢ سهر على باشا فهمى والضباط فى تهيئة العساكر وتعيين النقط وتلقى التعليمات من عرابى وابلاغها الى الحكمدارية . وفى الصباح تقدم الجيش نحو العدو حتى وصل اليه واشتبك معه بالمدافع أولا ثم بالبنادق وقد ثبت الجيش المصرى أمام العدو ثبات الأبطال ثم امتد القتال الى الليل والتحمت السوارى المصرية بالسوارى الانجليزية التحاما عظيما ، فتراجع الفريقان . وقد قام أحمد

بك عبد الغفار بأسر قرينة من جيش العدو الذى كان يقاتله وهو (طليانى الأصل) برتبة اليوزباشى .. وقد نشر عبد الله نديم فى جريدة الطائف ما حدث بعد أن عاين المعركة بنفسه .. وكان نجاح الجيش المصرى فى موقعة القصاصين الأولى حدثا عظيما اهتزت من أجله افئدة الخديوى وحاشيته وقادة الانجليز انفسهم

وقد قام الخديوى بارسال وفد الى الاسماعيلية مؤلفا من محمد سلطان باشا وعمر لطفى باشا وفريد باشا وزكى بك (ابن أخت يعقوب باشا سامى) وعثمان بك رافت ومعهم مقادير عظيمة من نسخ الجوائب وبها منشور السلطان بعصيان عرابى وصحبه ومنشور الخديوى القاضى بمساعدة الانجليز وانه لا مطمع لهم فى مصر وقد انضموا الى زهراب بك المعين مع الجيش الانجليزى من قبل ليبثوا العيون والجواسيس على الجيش المصرى وليتخابروا مع بعض الضباط المصريين الذين فسدت عقائدهم وضعفت عزائمهم وليوزعوا عليهم تلك المنشورات. وقد كلف بعض رجال الوفد المذكور بالتنقل فى البلاد الريفية ليدعوا العمد والأعيان لطاعة الانجليز ومساعدتهم اتباعا للمنشور الخديوى وقد إنخدع وانضم اليهم فى هذه الخيانة السيد افندى الفقى من مديرية المنوفية واحمد افندى عبد الغفار عمدة تلا وغيرهم من المصريين الذين انخلعت قلوبهم من منشور السلطان .

وهذا نص المنشور :

أولا : ان الدولة العلية السلطانية تعلن أن وكيلها الشرعى بمصر هو « فخامتلو محمد توفيق باشا » .

ثانيا : أن أعمال عرابى كانت مخالفة لارادة الدولة العلية ثم التمس جناب الخديوى العفو فعفا عنه ونال ايضا من الحضرة السلطانية العفو العام .

ثالثا : ان الشرف الذى ناله اخـــيرا من الحضرة العليـــة السلطانية انما كان من تصريحه بالطاعة لأوامر مولانا السـلطان المعظم الخليفة الاعظم .

رابعا : قد تحقق الآن رسميا أن عرابى باشا رجع الى زلاته السابقة واستبد برئاسة العساكر بدون وجه حق فيكون قد عرض نفسه لمسئولية عظيمة لاسيما انه تهدد أساطيل دولة حليفة للدولة العلية السلطانية .

خامسا : بناء على ما تقدم يحسب عرابى باشا وأعوانه عصاة ليسوا على طاعة الدولة العلية السلطانية .

سادسا : تصرف الدولة العلية السلطانية بالنظر الى عرابى باشا ورفقائه واعوانه يكون بصفة انهم عصاة .

سابعا : يتعين على سكان الأقطـار المصرية حالة كونهم رعية مولانا وسيدنا الخليفة الأعظم أن يطيعوا أوامر الخديوى المعظم الذى هو فى مصر وكيل الخليفة وكل من خالف هـذه الأوامر يعـرض نفسه لمسئولية عظيمة .

ثامنا : ان معاملة عرابى باشا وحركاته واطواره مع حضرة السادات الأشراف هى مخالفة للشريعة الاسلامية الغراء ومضادة لهـا بالكلية » .

وعندما نشر هذا المنشور بجرنال الجوائب ارضاء للانجليز ، أرسل منه مئات الألوف الى الهند والأفغان والحجاز والعـــراق والترك ومصر والمغرب الأقصى وجميع بلاد الاسلام بواسطة الانجليز ووزعت منه نسخ كثيرة على ضباط الجيش المصرى فى جميــع المراكز بوساطة أبو سلطان باشا ومن معه من المخدوعين الخونة .

وقد كان لهذا المنشور بعض التأثير على بعض أمراء العسكرية

الا أن عرابى باشا أوضح لهم أنه ليس مخالفا لأحكام الدين الاسلامى لأنهم انما يقاتلون أعداء المسلمين الذين يريدون أن يستولوا على بلاد اسلامية وأن الجهاد فى سبيل الله وفى سبيل حماية الدين والمال والوطن فرض واجب . وان سلطان المسلمين لا يسمح بمثل هذا المنشور وانما هو دسيسة انجليزية تمكنوا من انفاذها بواسطة الرشوة . ولو فرض وصدر مثل ذلك من سلطان المسلمين لوجب على المسلمين خلعه لمخالفته لأحكام الدين .

وبرغم كل هذه النصائح التى قدمها عرابى ، لم تؤثر فى الذين يجهلون أحكام الدين مثل أحمد بك عبد الغفار قومندان السوارى وعبد الرحمن بك حسن حكمدار ٢ جى آلاى سوارى، وعلى بك يوسف أميرالاى ٣ جى بياده ولكنهم اظهروا قبول نصائح عرابى لهم وأسروا الغدر والخيانة .

هزيمة الإنجليز فى موقعة القصاصين الثانية

ثم بدات المعارك من جديد وكانت معركة « القصاصين الثانية » هى البداية الجديدة . وقد حدث فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أن عقد مجلس حربى برئاسة احمد عرابى حضره راشد باشا حسنى قومندان الخط الشرقى وعلى باشا فهمى وجميع أمراء الآلايات الموجودين بمركز التل الكبير ، ومحمود باشا سامى قومندان مركز الصالحية وتقرر فيه الهجوم على الأعداء بمركز القصاصين حيث المعسكر الذى حشدوا اليه جميع قواهم الحربية فكانوا يزيدون على ٣٠ ألفا ، وقد تقرر أيضا أن يكون خط الجيش المصرى على شكل مقعر ؛ أى على هيئة نصف دائرة تحيط بالعدو ويكون محمد أفندى الرملاوى بأورطته فى الجانب الأيمن للترعة

الحلوة ومعهأورطة سوارى ومدفعان وعـــدد من العربان ، وفى الجانب الأيسر للترعة المذكورة ١ جى آلاى بيادة حكمدارية احمـد بك فرج وخلفه ٦ مدافع . وفى القلب آلاى عبد بك محمد يتقدمه بطاريتان كروب ١٢ مدفعا وخلفه بطارية ٦ مدافع تحت قومندانية على باشا فهمى والطوبجية تحت حكمدارية حسن بك رافت . وفى الجناح الأيسر على بك يوسف بآلايه وخضر بك خضر ومعـه أورطتان من السودان وبطارية من ٦ مدافع وســـتة أورط من السوارى تحت حكمدارية احمد بك عبد الغفار وقومندان الجيش راشد باشا حسنى . وأن يقوم قومندان مركز الصالحية محمـود باشا سامى بجيشه المركب من الأسلحة الثلاثة وقدره ١٢ الفا ليلا بحيث يصل الخط المعين للقتال عند مطلع الفجر ويقف على يسار جيش مركز راس الوادى ويحيط بميمنة العدو والقوة التى على يمين الترعة تحيط بميسرته والعربان يقتحمون الترعة من خلفـه وتقطع عليه خط الرجعة . وعمل بهذا الترتيب رسم بطرف اركان حرب الجيش واعطى امير من القواد نسخة يعمل على موجبها . . وفى الثلث الأخير من الليل مساء الجمعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ قام الجيش على هذا الترتيب فلما وصل قريبا من العدو اخـذ كل محله على خط النار ولكن العدو كان عالما بما استقر عليـه الراى . فبادر الجيش المصرى باطلاق النار واشتبك الجيشـــان فى قتال عظيم . وأما جيش مركز الصالحية فانه تاخر عن الميعاد المذكور والمحدد له ، ولما قرب من الجيش كان العدو متهيئا لقتاله فوجه اليه بطارية مدافع ، واطلق عليه مقذوفاتها قبل أن يصل الى محله فتشتت الجيش المذكور ، فمنهم من عاد الى الصالحية ومنهم من حضر الى مركز رأس الوادى ، واما راشد باشا حسنى وعلى باشا فهمى ومن معهما من الجيش فقد ثبتوا ثبات الأبطال الى آخر النهار، وقد جرح راشد باشا حسنى فى قدمه برصاصة

وعلى باشا فهمى برصاصة ايضا فى ساقه ، وخسر كل من الجيشين خسارة كبيرة وكانت هذه الواقعة أشد حرب بين المصريين والانجليز اذ كانت قوة الجيشين عظيمة وثباتها نادر المثيل .. ولما وصل الجيش أرسل عرابى الجرحى فى قطار مخصوص الى العباسية لمعالجتهم ومعهم القائدان العظيمان السالف ذكرهما .. ثم طلب عرابى على باشا الروبى قومندان مريوط ليتولى قيادة جيش رأس الوادى . فحضر فى عصر الثلاثاء ١٢ سبتمبر وتوجه على التو الى المقدمة فأمر بانتقال آلاى على بك يوسف وعبد القادر بك عبد الصمد من الجناح الأيسر الذى كان مستحكما مائلا الى الوراء على شكل زاوية منفرجة ليحمى المعسكر من هجمات العدو ووضعهما على استقامة الخط المستحكم الممتد من الترعة الحلوة الى الجهة الشرقية وأمرهما باتخاذ دورة خفيفة من التراب فى أثناء الليل فعمل عبد القادر بك عبد الصمد خط استحكام خفيفا بعساكره حيث كان فى نهاية الجناح الأيسر ، وأما على يوسف فانه جمع عساكر الآلايه فى هيئة القول ولم يجر عمل شىء من مقذوفات العدو اذا هجم على الجيش . وتقدم أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن بعساكر السوارى الى الأمام على بعد ألفى متر ليمنعوا تقدم العدو اذا أراد الهجوم على المعسكر ولكن خاب أمل عرابى والجيش فيهما .. ثم نأتى فى ختام الأحداث الى المعركة الفاصلة ففيها تحدد مصير مصر والمصريين الا وهى معركة « التل الكبير » ..

معركة التل الكبير

فى ١٣ سبتمبر الموافق الأربعاء ١٨٨٢ . كان عرابى يؤدى صلاة الفجر وليس ــ كما قال بعض الذين افتروا كذبا ــ

أنه كان يقيم « حلقة ذكر » . اذ سمع ضرب المدافع والبنـــادق بشدة ، فأنهى صلاته وخرج واذا به يجد ضرب النار على طـول خط الاستحكام ورأى بطارية طوبجية ســـوارى على مرتفع من الأرض يبعد عن الخيمة التى كان فيها بنحو ٦٠٠ متر وهى تصب مقذوفاتها على مراكزهم وخاصة مركزهم العمومى وكان المـركز المذكور خلف الاستحكامات بأربعة آلاف متر ولم يكن هناك الا الأهالى المتطوعين مع الشيخ محمد عبد الجواد وأخيه الشـيخ أحمد عبد الجواد وجابر بك من بندر ببا بمديرية بنى ســويف ، وكانوا نحو الفى نفر فدعاهم عرابى للهجوم معه على تلك البطارية فامتنعوا ودهشوا . فذكرهم عرابى بحمـــاية الدين والعــرض والشرف والوطن . فلم يجد كل ذلك نفعا لأن الرعب كان قـــد اخذ كل مأخذ من قلوبهم فتفرقوا فرارا فجاء ضابط من طرف على باشا الروبى ، يخبر عرابى باتخاذ مركز آخر ثم نظر عرابى فوجد الميدان مزدحما بالخيل والجمال والعساكر مشتتين مولين ظهورهم للعدو . فذهب عرابى الى القنطرة التى على الترعة هناك ليمنع العساكر من الفرار وصار يناديهم ويحرضهم على الرجـوع والثبات والصبر على قتال العدو ويذكرهم بالشرف الاسـلامى والعرض والوطن ولم يترك كلمة واحـدة من شأنها تنشيط الأجسام الميتة وبث الشجاعة فى قلب كل رعديد جبان الا وقالها ، فما كان من سميع ولا بصير ، بل ألقوا بانفسهم فى الترعة وسبحوا الى البر الغربى .. فذهب عرابى الى بلبيس لجمع المنهزمين هنـــاك واتخاذ مركز آخر لمنع العدو من الوصول الى القاهرة وكان معـه اخوه السيد/ صالح عـرابى وخادمة محمـــد ابراهيم وجاويش بروجى يدعى عطية محمد . وكانت مقذوفات الطوبجية السوارى تتساقط عليهم من كل صوب حتى تركوا حدود التل الكبير . ولما وصل الى بلبيس وجد على باشا الروبى سبقه اليها وسأله عمـا دهاهم ، فلم يزد عن قوله (انه الخذلان) وكانت على اثرهم فرقة

من خيالة العدو وهجموا عليهم وهم عزل من السلاح فأرخى عرابى ومن معه للخيل اعنتها حتى وصلوا محطة « انشاص » فوجدوا هناك قطارا فركبوه وأسرعوا الى القاهرة لاتخاذ الوسائل اللازمة لحفظها من الأعداء قبل وصولهم اليها . وكانت أسباب هذا الخذلان انه فى خلال تلك الأيام كانت الرسائل تترى من قبل الخديوى الى كبراء الضباط بالوعد والوعيد ، معلنة لهم أن الجيش الانجليزى لم يحضر الى مصر الا بأمر السلطان خدمة للخديوى وتأييدا لسلطته . وكانت تلك الرسائل توزع بواسطة محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب ومن معه من الذين كانوا مع الانجليز فى الاسماعيلية بأمر الخديوى وبواسطة الجواسيس من المصريين مثل أحمد بك عبد الغفار عمدة « تلا » والسيد الفقى العضوين فى مجلس النواب عن مديرية المنوفية ، فأثروا على قلوب مثل على بك يوسف وأحمد بك عبد الغفار قومندان السوارى لشدة ضغط ابن عمه عمدة تلاعليه وعبد الرحمن بك حسن ٢ جى آلاى سوارى وحسن بك رافت قومندان الطوبجية .

واستمر ذلك الى أن كانت ليلة الأربعاء ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فأشاع على يوسف أنه علم من الجواسيس أن الانجليز لايخرجون فى هذه الليلة من مراكزهم ، ولذلك لم يفعل ما أمره به على باشا الروبى من عمل خط الإستحكام من الحجارة . وجمع عساكره فى نقطة واحدة . وكانت العساكر الانجليزية قد سارت من أول الليل وفى مقدمتها بعض ضباط أركان حرب من المصريين الذين انحازوا الى الخديوى مع الانجليز . وامامهم عربان الهنادى يرشدونهم الى الطريق . واستمروا سائرين الى أن بلغوا المقدمة فى آخر الليل . وكانت من السوارى تحت حكمدارية أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن . فبدل أن تقاتل العدو القتال وتوقف سيره ، رجعت أمامه كأنها تقوده الى أن بلغوا محل آلاى

على بك يوسف الذين كان خاليا من العساكر ، فمروا بلا مانع يمنعهم وأطلقوا النار على الاستحكامات من الخلف والأمام، ووقعوا بالجند على حين غفلة منهم ، اذ كانوا راقدين . فدهشت العساكر وتولاها الذهول حيث ضرب النار من خلفهم وامامهم ، فالقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة لأنفسهم ، الا برنجى آلاى بيادة حكمداية أحمد بك فرج وآلاى محمد بك عبيد ، وآلاى عبد القادر بك عبد الصمد ، فانهم ثبتوا فى مراكزهم ، وقاتلوا اعداءهم حتى النهاية ، فاستشهد منهم من استشهد وجرح من جرح وصار الميدان ظلاما من دخان البارود واختلط الجند المنهزم بالحيوانات المنتشرة فى تلك الصحراء الواسعة ، واشتعلت النار بعربات السكة الحديدية التى بها الذخيرة الحربية وما جاورها من عربات المؤونة من جراء مقذوفات الطوبجية السوارى التى عمدت الى ضرب المركز العمومى ..

وهكذا تم استيلاء الانجليز على مركز التل الكبير ومهماته وذخائره وبه كانت نهاية الحرب والخسارة العظيمة بسعى الخديوى ومن كان معه من الخونة المصريين الذين انحازوا اليه ، وبمساعدة المنافقين من عمد واعيان المنوفية وعرب الهنادى بالشرقية الذين كافأهم الخديوى جميعا ، وخصوصا الشيخ احمد أبو سلطان واخوته من عربان الهنادى القاطنين بالشرقية ، بأن اقطعهم ٥ آلاف فدان فى رأس الوادى ومكافأة لهم على خيانتهم للدين والوطن الذى نشأوا فى خيراته .

ولما علم الخديوى بنبأ استيلاء الانجليز على التل الكبير أمر بأن تعزف الموسيقى الخديوية بانغام التبشير بالظفر ووفد من الاسكندرية الكثير من الذوات والأجانب على الخديوى يهنئونه

بالفوز والنصر . وعزفت الموسيقى السلام الخديوى أمام سراى الحقانية فرفعت العساكر الانجليزية السلاح تعظيما واجلالا ، وهتف الأوربيون « فليحيي توفيق الأول » ثم ختم ذلك بالدعاء للخديوى وملكة الانجليز والجنرال ولسلى الايرلندى والدولة الانجليزية .

وبرغم كل ما حدث فان عرابى كان يخشى أن ينال الانجليز من المصريين ومن مصر كل منال . فضحى بنفسه وبماله وبأولاده فى سبيل مصر وحياة المصريين وكان ذلك حين وصل من التل الكبير الى القاهرة فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ظهر يوم الأربعاء . وتوجه الى ديوان الجهادية بقصر النيل ودعا المجلس العمومى للحضور وعقد مجلسا حافلا من امراء العائلة الخديوية وامراء العسكرية والملكية وأعيان القاهرة وأخبرهم بهزيمة الجيش المعسكر فى رأس الوادى ثم استشار المجلس فيما يجب أن يعمل ، وهل يجب الاستمرار فى الدفاع ، أم يلزم التسليم لقضاء الله وقدره . فأجاب الأمير ابراهيم أحمد والأمير كامل باشا فاضل ، بوجوب الدفاع عن الوطن الى النهاية . ثم قام **ابراهيم باشا أحمد** وقال : ـ « **ان مصر غاصة بالجند والمخازن ملآى بالمؤن والذخائر والأسلحة ، ومعدات الدفاع متوافرة ، فالواجب علينا اذن الدفاع ما دام فينا بقية** » . فأجاب الجميع بالاستحسان ، ثم استقر الرأى على انشاء خط دفاعى فى ضواحى المحروسة ، وبناء على ذلك ، ذهب عرابى الى العباسية ومعه محمود باشا المرعشلى باشمهندس الاستحكامات ، ومحمود باشا رضا ، لواء الخيالة ، وحسن باشا مظهر لواء مأمور تشهيل ارسال الذخائر الحربية الى مركز الجيش ، وتقرر اتخاذ الخط الدفاعى أمام المطرية شرقى عين شمس يستند يمينه على الجبل ويمتد شمالا الى ترعة الاسماعيلية ثم ينعطف غربا على الترعة المذكورة الى النيل عند فم رياح الترعة المذكورة بالقرب من شبرا ،

ثم ذهبوا جميعا الى مركز الطوبجية وأرادوا استعراض العســاكر الموجودة هنــاك ، فلم يجدوا الا نحو ألف رجل من خفراء البــلاد بدون ضباط ونحو أربعين نفرا من الســوارى فى مركز عســـاكر الخيالة مع الأميرالاى أحمد بك نير . فقال الأميرالاى المذكور : ـ **«اننى اقف فى وجه العدو واقاتله برجالى الاربعين حتى اموت معهم»** ولكن ما الفائدة فى هذا وليس لديهم جيش قوى يقوى على الدفاع عن البلاد :

عرابى يسلم نفسه حقناً للدماء وفداءً لأمتــه

فلما شاهدوا كل ذلـــك رأوا أن الأولى حقن الدماء وحفظ القاهرة من غوائل الخراب والدمار كما حدث فى الاسكندرية مادامت المقاومة لا تجدى نفعـــا . وفضلوا تقديم أنفسهم فداء عن الأمة المصرية سيئة الحظ فرجعوا الى المجلس آنف الذكر وأخبروه بما استحسنوه من رأى حكيم وسديد ..

ثم قالوا : « حيث ان الانجليز يحاربوننا الآن باسم الخديوى لانحيازه اليهم ، ففى امكانه توقيف الحرب وعـــدم خراب القاهرة وغيرها ، وليصنع بنا بعد ذلك ما هو أهله من الغدر والخيانة » .

فلم يجد أرباب المجلس المذكور أفضل من رفع عريضة باسمهم الى الخديوى يعترفون فيها بايقاف الحرب ويلتمسون منه التوسط لدى الانجليز حتى لا يدخلوا القـــاهرة حفظا لها من الخراب بعـد تقديم الطاعة والخضوع له . فحرروا العريضـــة وأرسلوها اليه بعد أن ذيلها عرابى بامضائه مع بطرس باشا غالى ورؤوف باشــا وعلى باشا الروبى ويعقوب باشا سامى رئيس المجلس العسكرى . وكان ذلك يوم الخميس ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فلم يجدهم ذلك نفعا فقد أبى الخديوى قبول العريضة واجابة الالتماس وأمر بالقاء

يعقوب باشا سامي وعلي باشا الروبي في السجن فسجنا في الاسكندرية ، وأما بطرس باشا غالي ورؤوف باشا فلم يسجنا وكذلك أمر بسجن حسن باشا الشريعي وزير الأوقاف ، وعبد الله باشا فكري وزير المعارف في الحكومة الحرة الوطنية ، وكانا مع باقي الوزراء في رأس التين ؛ مع أن عبد الله باشا فكري كان أستاذا ومربيا للخديوي في صغره ، ولكنه ما فعل ذلك بهما الا لعلمه بمقتهما له لانحيازه الى العدو المحارب للبلاد ومساعدته له ضد المصريين • وفي مساء اليوم المذكور وصل الخيالة الانجليز من الهنود مع الجنرال « لوى » وعسكروا في مركز آلايات السواري المصرية بالعباسية • وقد صدر أمر الخديوي بسجن عرابي وسجن جميع ضباط العسكرية وكبار العلماء والرؤساء والذوات والأعيان من جميع البلاد والعمد والمشايخ وغيرهم •

وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من الجنرال لوى قائد الخيالة الانجليزية بالعباسية الى ابراهيم بك فوزي مأمور ضبطية القاهرة بأنه يريد مقابلة أحمد عرابي في العباسية ومقابلة طلبة عصمت باشا ، وكان الأخير قد ترك كفر الدوار وحضر الى القاهرة حين علم بهزيمة الجيش في التل الكبير • فتوجه عرابي وطلبه عصمت الى العباسية واجتمعا بالجنرال المذكور فابتدرهما بقوله : —

« هل تقبلون أن تكونوا أسرى حرب لجلالة الملكه ؟ ..
فقالا : — « اننا نريد أن نحقن الدماء • ولو كان عندنا من القوى الحربية ما يمكننا بها اطالة زمن القتال والمدافعة عن البلاد لقاتلناكم حتى يقضي الله بيننا • ولكن حيث أن الانجليز يقولون أنه لا مطمع لهم في الاستيلاء على بلادنا ، وما كان مجيئهم الى مصر الا ليؤيدوا السلطة الخديوية ، ويسلموا البلاد الى الخديوي ، ثم يعودوا الى بلادهم ؛ فنحن كففنا عن القتال ، ورضينا بأن نسلم سيوفنا واثقين بعدالة الأمة الانجليزية بأن تعاملنا كأسرى حرب » •

وسلم عرابى وطلبه عصمت سيوفهما وقضيا تلك الليلة داخل غرفة من غرف قشلاق الطوبجية لا فراش فيها ولا غطاء ، وكان الجنرال فى غرفة أخرى مثلها .

وفى اليوم التالى قاما من العباسية بكوكبة من خيالة الهنود وضابط انجليزى الى قشلاق عابدين فوجداه محتلا بآلاى حرس ملكة الانجليز حكمدارية « تين » وهو من بيت شريف فى أحرار الانجليز ، فقابلهما الأميرالاى المذكور وقال لهما : — « أنتما أسرى حرب عند جلالة ملكة الانجليز فلا بأس عليكما » .

وأقام عرابى وصحبه فى غرفة مقابلة للغرفة التى هو فيها ، وكان كريم السجايا يأتى اليهما فى كل يوم ويعزيهما على ما أصابهما ، ويعترف بظلم الانجليز لهما ، وأن الاستبداد لا يزال كامنا فى قلوب الانجليز أكثر من كل الأمم . ومن الغريب أن نساء الحكام المستبدين كن يحيين عساكر الانجليز عند مزورهم فى الشوارع بلباسهم الأحمر وأسلحتهم السوداء بالزغاريد تقربا اليهم ، وشكرا لهم على اطفاء شعلة الحرية المصرية . وهنا ظهرت الخيانة بوضوح ، خيانة سلطان باشا رئيس مجلس النواب ، حين حضر من الاسماعيلية الى القاهرة نائبا مفوضا عن الخديوى ، وأمر بسجن جميع ضباط الجيش وجميع رجال الملكية ، والعلماء وخطباء المساجد ، والتجار ، والأعيان الا من كان منهم من الجواسيس والمنافقين فسجنوا جميعا الا على بك خنفس « يوسف » وأحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن مكافأة لهم على خيانتهم وغدرهم فى التل الكبير . وتوجه على بك يوسف الى القلعة مركز آلايه وسلم مفاتيحها الى فرقة من الانجليز بأمر محمد باشا سلطان نائب الخديوى وكذلك صار سجن جميع الذين بالمديريات والمحافظات من المستخدمين والموظفين والعمد والأعيان والقضاة والمفتين وغيرهم من عامة الناس حتى غصت السجون بأكثر من ٣٠ ألفا من المصريين .

أما محمود باشا سامى البارودى حكمدار جيش الصالحية فقد علم

ومن معه من الضباط بهزيمة التل الكبير ،فتركوا مركزهم وقاموا مع عساكرهم بقطارات السكة الحديدية الى المنصورة ومنهـا الى طنطا ، ثم اتياى البارود ، فكوم حمادة ، فبولاق الدكرور . وهناك انحل النظام ، وخرجت العساكر عن الطاعة وتوجه كل منهم الى بلده .

وكان محمود سـامي البارودى قد رأى ترك مدينة القاهرة والالتجاء بجيشه الى الصعيد ، ثم الى السودان ، اذا عجز عن الدفاع ولذلك كتب الى عرابى قبل أن يسلم نفسه تلغرافا من المنصورة يطلب منه اغراق مديرتى القليوبية والشرقية لتعطيل سير الجيش الانجليزى الاستيلاء على جميع المراكب وشحنها ذخيرة وتعيينات وأخذها الى الصعيد مع الجيش .. الا أن عرابى رأى عدم موافقته حتى لا يحيق الخراب بمديريتى القليوبية والشرقية وتدمر العاصمة وتسفك دماء الأبرياء على غير جدوى ، فضلا عما رآه من تحول الأفكار وانخلاع القلوب ، واختلال النظام بالجيش بعد المنشور السلطانى الذى كان فى مصلحة الأعداء ، وبعد اعلان الخديوى أن الانجليز لم يقاتلوا المصريين الا تأييدا لسطته وأن لا مطمع لهم فى البلاد . ولذلك كله فقـد وافق عـرابى المجلس العمومى على ارسال وفد بعريضة منه الى الخديوى ليأمر نصراءه الانجليز بالكف عن القتال وحفظ العاصمة من الخراب والدمار . ولا غرابة فى ذلك فان كثيرين من أعضاء المجلس « مجلس النواب » مثل محمد بك الشواربى وأحمد بك عبد الغفار والسـيد الفقى ومحمد سلطان باشا كانوا ممن انخدعوا وخدعوا وضازوا سهاما صائبة فى كبـد المصريين وكانوا يسارعون فى اتخاذ كل ما من شأنه نجاح الانجليز وفوزهم ارضاء للخديوى الخائن .

ونعود مرة أخرى الى القوات التى كانت بكفر الدوار وأبو قير ورشيد ومريوط .. فلما علم طلبة باشا عصمت بالهزيمة ترك مركز جيشه وحضر فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وعنـدما علمت العساكر

بذهابه تركوا أسلحتهم لضباطهم وذهبوا الى بلادهم ، وكذلك من كان هناك من العربان ، وأما الضـــباط فقدموا طاعتهم للخديوى وسلموا أسلحتهم وأسلحـــة عســاكرهم الى من حضر عندهم من الانجليز ، وذهبوا الى الاسكندرية ثم أودعوا السجن هناك ، وأما عساكر أبو قير ورشيد ومريوط ، فقد سلموا الى من حضر عندهم من الانجليز أيضا بعد اخــلاء سبيلهم · وأما الضباط فسيقوا الى الاسكندرية ، ثم أودعـــوا السجن بعد الاهانة والتحقير والتهديد بوساطة من انحـــاز الى الانجليز من خونة المصريين وأما من جهة عبد العال باشا حلمى قومندان دمياط ومحـــافظها اذ ذاك ، فانه لما علم بهزيمة التل الكبير ، تشجع وأبى التسليم للانجليز ، وحاول أن يحمل الاهالى على الاعتقاد بأن عرابى باشا لم يزل بجيشه ثابتا أمام قوة الانجليز ، وأنه لا بد من القتال والدفاع عن الوطن حتى المـوت ، وأخـــذ فى الاستعداد الى يوم الخميس ٢١ ســـبتمبر ١٨٨٢ الى أن توجهـت قـــوة من الانجليز الى دمياط مع الجنرال «السن» ومعه أمر من الخديوى بالتسليم ، فأخذ عبد العال باشا حلمى رأى من معه من الضـــباط فأجمعـوا على التسليم والطاعة للخديوى واستسلموا وذهب عبد العـــال حلمى ومعه سليمان بك نجاتى ومحمد بك حلمى وغـيرهما من الضباط العظام الى الجنرال المذكور ليقدموا طاعتهم للخديوى · فأمر بارسال العساكر والمدافع والحيوانات الى طنطا وتسلم جميع الأسلحة والمهمات الحربية وأخلى سبيل العساكر بعد ذلك ثم قبض على عبد العال حلمى باشا وغيره من الضـــباط وأرســـلوا جميعا الى سجن مصر تخفرهم العساكر الانجليزية ·

عودة البلاد يعود لحكمه بعد هزيمة التل الكبير

وبعد استسلام عبد العال حلمى وسجن الضباط وغيرهم حضر الخديوى الى القاهرة فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ · فاستقبله رجال

الاستبداد وتقدم رياض باشا ومحمد سلطان باشا وغيرهما لاستقباله ، وأطلقت المدافع وصدحت الموسيقى وبعد ذلك تقدم الشيخ عبد الهادى الابيارى ودعا له ثم تقدم رياض باشا ونطق بمثل هذا الدعاء مختوما بقوله :ـ «فليعش الجناب العالى مؤيدا بالنصر والاجلال» .

وبعد ذلك سار فى مركبة خاصة والى يساره الدوق « أوف كنوت » نجل ملكة الانجليز وأمامه الجنرال « ولسلى » والمستر « مالت » وسار وراءه الفرسان الانجليز وتبعه الوزراء رجال الاستبداد القدماء وأمراء العائلة الخديوية ، ومن حضر من رجال العهد القديم وكان نزوله فى سراى الاسماعيلية .

وفى اليوم التالى ٢٦ سبتمبر توجه الخديوى الى سراى الجزيرة لاجراء رسوم التشريفات فيها ثم تظاهر المستبدون بعمل زينة فى حديقة الازبكية وفى منازلهم ثلاث ليال ، وقد حضر رياض باشا الزينة فى الحديقة فى احدى لياليها ، وكل من خيرى باشا وزير المعارف ، وعلى باشا مبارك وزير الاشغال وزكى باشا وزير الاوقاف وغيرهم من المتملقين وأنصار الظلم والاستبداد والمخدوعين من أعضاء مجلس النواب الذين ساعدوا الاعداء فى التغلب على بلادهم !

وانه لمن العجب الذى يدعو للدهشة ذلك الذى فعله الخديوى توفيق حين استعرض جيش الانجليز المنتصر . ففى أواخر شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ أخذ فى اعداد مقام للخديوى فى ساحة عابدين وفوقه سرادق عظيم ليكون فيه أثناء عرض الجيوش الانجليزية عليه . وفى ٣٠ سبتمبر تم اعداده ورفعت فوقه الالوية وفرش بالبسط والأثاثات الثمينة . وفى الساعة الرابعة بعد الظهر أقبل الخديوى بالملابس الرسمية وعلى يساره محمد شريف باشا رئيس مجلس الوزراء ، وأمامه مصطفى رياض باشا ناظر الداخلية وعمر لطفى باشا وزير الحربية والبحرية ، ومن خلفه بقية الوزراء وبعض

العلماء والذوات الذين لم يسجنوا ورجال الحاشية الخديوية وكلهم بالملابس الرسمية. وكان الجنرال «ولسلى» و «الدوق أوف كنوت» على ظهور الخيل بجانب المقام المذكور وتجاهه كثير من الضباط والياوران الانجليز على خيولهم ، وفى الساعة الخامسة أخذت العساكر فى المرور واستمرت حتى السادسة والنصف الى أن تم مرور الجيش كله ، وفى آخر الاستعراض أمر الخديوى بعزل العلامة الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الازهر ، وقد كان حاضرا معه فى الحفل . وأمر برجوع الشيخ محمد العباسى المهدى الى مشيخة الأزهر ، كما كان قبل الحكومة الحرة ، وصدر أمر الخديوى الى الداخلية ٢ أكتوبر سنة ١٨٨٢ بشأن ذلك وأدب الخديوى مأدبة شائقة فى سراى الجزيرة اكراما للضباط الانجليز فى ليلة كانت من الليالى المعدودة . وكافأ الخديوى محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب بعشرة آلاف جنيه وبالنيشان المجيدى من الدرجة الأولى لما قام به من الخدمات الجليلة نحو الانجليز !

وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وفد على وزارة الداخلية سلطان باشا ومعه أحمد بك السيوفى وغيرهما من المخدوعين وأبلغوا رياض باشا بأنهم على عزم أن يقدموا نوعا من الأسلحة الفاخرة المحلاة بالجواهر الثمينة هدية منهم للأميرال « سيمور » قائد الدونمة الانجليزية وللجنرال « ولسلى » قائد الجيش الانجليزى وللجنرال « لوى » الذى كان أول قادم الى القاهرة بعد سقوط التل الكبير . فاستحسن رياض باشا منهم تلك الاريحية ، ورخص لهم بتقديم الاسلحة الفاخرة المذكورة . وكانوا قد عزموا قبل ذلك على أن يؤلفوا لجانا فى كل جهة ينشئون فيها اكتتابا لجمع نقود كافية لتنفيذ هذا القصد ، ولكنهم فشلوا فى ذلك واكتفوا بشراء الهدية من مالهم الخاص .

محاكمة عرابى والعرابيين

ثم كانت بداية محاكمة عرابى والعرابيين وكل من كان يدافع عن الوطن ، بتأليف لجنة تدعى لجنة القاهرة المخصوصة ، من شأنها أن ترفع الدعاوى على مرتكبى الجناية شخصا فشخصا ، وأن ترسل مندوبا من قبلها لاقامة الدعاوى آمام المحكمة العسكرية ولها الحق فى أن تطلب ضبط أى شخص بمقتضى طلب يقـــدم منها لناظر الداخلية الذى يجرى تنفيذ هذا الطلب .

وقد أصدر الخديوى أمرا بتأليف هذه اللجنة فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢ على الوجه الآتى :

١ ــ اسماعيل أيوب باشا « شركسى » رئيسا
٢ ــ على غالب باشا « شركسى »
٣ ــ يوسف شهدى باشا « شركسى »
٤ ــ محمد زكى باشا « أرناءوطى »
٥ ــ سعد الدين باشا « رومى »
٦ ــ محمد حمدى بك العظم « سورى »
٧ ــ مصطفى بك راغب « تركى »
٨ ــ سليمان بك يسرى « كردى »
٩ ــ مصطفى بك خلوصى « فارسى »
١٠ــ محمد بك مختار « تركى »

ثم أصدر الخـــديوى أمرا آخر بتأليف محــكمة عسكرية فى القاهرة للحكم فى الدعاوى التى تقدم لها من اللجنة المخصوصة وأن تكون أحكام هذه المحكمة قطعية لا تستأنف وتصدر مطابقة للقانون العسكرى العثمانى .

وتألفت هذه المحكمة من الذوات الآتية أسماؤهم وجميعهم من رجال الاستبداد :

الرئيس :ـ محمد رؤوف باشا «كردى»

الاعضاء :ـ الفريق ابراهيم باشا (رومى) ـ الفريق اسماعيل كامل باشا (شركسى) ـ حسين عاصم باشا (شركسى) ـ اللواء خورشيد باشا (شركسى) ـ سليمان نيازى باشا (أرناءوطى) ـ عثمان لطيف باشا (شركسى) ـ سليمان نجاتى بك (شركسى) ـ أحمد حسنين باشا (مصرى) .

وجاء فى مواد هذا الامر القاضى بتأليف محكمة القاهرة ، أن أحكام هذه المحكمة لا تعتبر موضعا للعمل الا اذا كانت صادرة من ستة أعضاء على الاقل غير الرئيس ، ثم أنه يجب أن تصدر بغالبية الآراء المطلقة .

وأصدر أمرا آخر بتأليف محكمة عسكرية فى الاسكندرية للحكم فى الدعاوى التى تقدم لها من لجنتين مخصوصتين تألفتا فى الاسكندرية وطنطا على نحو تأليف لجنة القاهرة ، وأن تكون أحكام هذه اللجنة قطعية أيضا لا تستأنف وطبقا للقانون العسكرى . وهى على النحو الآتى : ـ

الرئيس : ـ عثمان نجيب باشا (شركسى)

الأعضاء : ـ يوسف باشا (شركسى) ـ حسين واصف باشا (شركسى) ـ حسن رضوان باشا (تركى) على بك وهبى (تركى) ـ حسين بك مظهر (تركى) ـ مصطفى باشا العرب (مصرى) .

وذكر فى الأمر الصادر بتأليف هذه المحكمة ان تصدر أحكامها بغالبية الآراء المطلقة أيضا .

وأما لجنة الاسكندرية فكانت مؤلفة من :ـ

الرئيس :ـ عبد الرحمن باشا رشدى (انجليزى مالطى) .

الأعضاء : ـ حمادة بك قاقى بمحكمة الاستئناف (مصرى) ـ أحمد بليــغ أفندى (نائب وكيل الخديوى) ـ ابراهيم بـك فؤاد (رئيس محــكمة الجيزة) ـ كازيمــيرار (ناظر قسم قضايا وزارة الأشغال العمومية والحربية والبحرية) ـ المسيور كليار (أمين عموم الجمرك) ـ المســيو فاستيه دى مون جويون (وكيل خديوى فى المحكمة المختلطة) وأما لجنة طنطا فتألفت على الوجه الآتى :ـ

الرئيس :ـ محمود باشا الفلكى

الاعضاء :ـ لطيف بك سليم ـ شفيق بك منصور ـ جبرائيل افندى كحيل نائب بقسم قضايا نظارتى المالية والداخلية ـ موسيو سكوتى نائب بقسم قضايا الحقانية والخارجية ..

ثم صدر أمر الخديوى بالغاء الجيش المصرى وصرف العساكر الى بلادهم ومحاكمة الضباط وكبــار قادة الجيش المدافع عن البلاد بصفتهم عصاة . فكانهذا الاجراء هو الطعنة الكبرى فى قلب البلاد وبه أصبحت البــلاد بلا حام يحميها وبلا مدافع يدافع عنها ضد الاطماع الاستعمارية اللهم الا الخــونة الانذال ، الذين ارتضوا أن يقدموا أنفسهم وبلادهم وشرفهم وكرامتهم وحريتهم قربانا للتقرب والتودد لخائن . باع نفسه وملكه وبلاد يحكمها لقوة استعمارية .

ثم أصدر الخديوى أمرا بالغاء القوانين العادلة التى صــدق عليها فى عهد الوزارة الوطنية الحرة وهى : ـ

قانون القواعد الأساسية فى النظــامات العســكرية ، وقانون الترقى ، وقانون الضمائم والامتيازات ، والاعانات العســكرية ، وقانون الاجازات التى كانت من ضمن طلبات العسكرية .

وأصــدر أمرا بالغاء الأمر الصادر بتقرير مرتبات الضباط والصف وضــباط والعساكر البرية والبحرية ، وأن تعــاد مرتباتهم

جميعا الى ما كانت عليه قبل صدور الأمر المذكور وأن تلغى جميع العلاوات التى أضيفت الى رواتب الاستيداع ومعاش التقاعد .

وبعد هذا أنعم الخديوى على ٥٢ ضابطا انجليزيا بالنياشين المجيدية والعثمانية من الدرجات المختلفة .

ولما ضاقت سجون القلعة والضابطية بمن سجنوا من الضباط وغيرهم من جميع الطبقات اتخذت الحكومة مقر الدائرة السنية سجنا عموميا ؛ وانشأت فيه مجلسا فخيما للمجلس العسكرى وآخر للجنة التحقيق .

ثم نقل أحمد عرابى وصحبه من قشلاق عابدين الى سجن الدائرة السنية المذكورة لأجل المحاكمة ومعهما طلبة باشا عصمت وقد سجن كل منهما فى غرفة منفردا أسوة بمن فيها من المسجونين بعد أن فتشوهم وأخذوا ما معهم وأهانوا البعض منهم وخصوصا عبد العال باشا حلمى .

***

وبدأت محاكمة الزعيم البطل أحمد عرابى فى يوم الأربعاء ١١ أكتوبر ١٨٨٢ حين حضرت لجنة التحقيق وقامت باستجوابه على الوجه الآتى : —

س : لما تولى خديوينا الأعظم سند الحكومة المصرية اين كنت مستخدما ؟

ج : كنت معينا فى تسليم ٧٠٠ الف اردب غلال واردة من مديريات الوجه القبلى الى منشة وبيعه واجيون بالاسكندرية لسداد ٥٠٠ الف جنيه دفعت فى اقساط الدين المطلوب من الحكومة .

س : كنت تبع اى مصلحة ؟

ج : تبع نظارة الجهادية .

س : هل كنت من المستودعين ؟

ج : لم اكن كذلك ، بل كنت فى الآلاى الرابع وتعينت للمامورية المذكورة ٠

س : ماذا كانت رتبتك ؟

ج : قائمقام فى مدة سعيد باشا

س : متى ترقيت لرتبة اميرالاى ؟

ج : فى ابتداء تولية الخديوى الحالى

س : وفى اى الآلايات تعينت ؟

ج : تعينت فى ٤ جى آلاى بياده ٠

س : فى ١٥ صفر ١٢٩٨هـ تقدم منكم عرضحال لدولتلو رياض باشا رئيس مجلس النظار فى ذلك الوقت فهل تتذكرة ؟

ج : نعم اتذكره جيدا ٠

س : هذا العرضحال لم يكن عليه اختام ، بل مقال فيه انك من ضباط الجهادية ، وقدمته انت وعلى فهمى وعبد العال حلمى ، فهل عندك توكيل من ضباط الجهادية بتقديمه ؟

ج : ذاك العرضحال تقدم منا بالنيابة عن جميع الضباط الوطنيين ، وعليه اختامنا ، وهـذه مسـألة صدر عنهـا العفو الخديوى فى اوائل فبراير ١٨٨١ الموافق ٢ ربيع أول ١٢٩٩ هـ ٠

س : هل تعرف ان هذا ذنب حتى ان الحضرة الخديوية عفت عنه ؟

ج : لم يكن هذا ذنبا ٠٠

س : نحن نسألك هل عندك توكيل أم لا ؟

ج : توكيلهم لى ولعبد العال باشا وعلى باشا فهمى معلوم بداهة ، ولم نأخذ منهم سندات ٠

س : قل بعض اسماء الضباط الذين وكلوكم كى نسألهم ٠

ج : لا لزوم للسؤال منهم ، فانى لما كنت اميرالاى كانت كلمتى نافذة على ضباط سائر الآلاى ، وهذا دليل على انهم اتابونى عنهم ، وانهم مؤتمنون طرفى ٠

س : فى ذلك الوقت صدر امر من الجناب الخديوى بتوقيفكم ، وتلى عليكم الأمر المذكور ، وامتثلتم وعلمتم منه بتاليف مجلس عسكرى مركب من الجنرال

« استون » وابراهيم باشا فريق السوارى ، ولارمى باشا ، وبلوم باشا وخورشيد باشا عاكف ورضا باشا ، ونجم الدين باشا للحكم فيما يختص بكم على مقتضى القانون ، فهل حصل ذلك أم لا ؟

ج : تلى علينا هذا الأمر ولكن يؤخذ منه أنه ليس الغرض الحكم علينا بمقتضى القانون فقط ، بل يستدل منه على موتنا أيضا .

س : الأمر الذى صدر بشأن تشكيل المجلس المذكور موجود هنا ، فستتلوه عليك ، وقل لنا من أين يؤخذ أن الغرض موتكم وها هى صورته : ـ

« صورة الأمر الخديوى لناظر الجهادية عثمان باشا رفقى بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٢٩٨ »

« بناء على الأفكار الفاسدة والحركات المضرة والمتوقعة من كل من احمد عرابى بك اميرالاى ٤ جى بياده وعبد العال بك حشيش اميرالاى ٦ جى بياده ، وعلى بك فهمى أميرالاى ١ جى بيادة خلافا للقانون والنظام العسكرى قد تقرر بمجلس النظار المنعقد يوم تاريخه بسراى عابدين تحت رئاستنا بتوقيت الثلاثة ضباط المذكورين ، واحالة محاكمتهم على مجلس عسكرى تحت رئاسة الجنرال « استون » وأعضائه ابراهيم باشا فريق السوارى ، ولارمى باشا وبلوم باشا ، ولواء خورشيد باشا عاكف ، ولواء سوارى محمد باشا رضا . ومن الضباط المتقاعدين لواء نجم الدين باشا ، ولهذا اصدرنا امرنا هذا لكم كى تجروا توقيف الثلاثة ضباط المذكورين مع أخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع أدنى ما يخل بالنظام العمومى تحت كفالتكم . وبمعرفتكم يصير انتخاب وتعيين بدل الثلاثة ضباط المذكورين فى محلاتهم . ومن حيثية تأليف المجلس العسكرى فوق العادة ومحاكمة الثلاثة ضباط المذكورين قد تحرر فى تاريخه لجناب الجنرال « استون » بما يلزم عن ذلك .

ج : حيث ان الخديوى قال فى ذلك الأمر انه بناء على الأفكار الفاسدة والحركات المضرة الواقعة من أحمد عرابى وعبد العال وعلى فهمى ، فلابد ان كل مجلس مصرى يحكم علينا بالموت . ومقال به أيضا مع أخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع ما يخل بالنظام العمومى تحت كفالتكم . فهذا التأكيد والتسديد لم يسبق له مثيل ويستدل منه ان الغرض اعدامنا . هذا فضلا عما شاهدناه . فان الأمر قاصر على التوقيف ، ولم يذكر به السجن ، والذى حصل خلاف ذلك فانه أخذت سيوفنا ووضعنا بالسجن ، ووقف علينا اصاغر ضباط الجراكسة

وبايديهم الطبنجات ، فرؤى لنا من جميع ما ذكر ان هذه الحالة الغرض منها اعدامنا .

س : منذ كنتم فى السجن حضر ١ جى آلاى واخرجكم منه ، وفى الغروب حضر ٦ جى آلاى حكمداريه عبد العال ، والآلاى حكمداريتكم كان عازما على الحضور أيضا ، فهل حضورهم كان بناء على اوامر منكم وباتفاق قبل حصول الحبس ام حضروا من تلقاء انفسهم ؟

ج : - الآلاى حكمداريتى لم يقم من محله ولم يكن عنده تنبيه بالحضور . اما الآلايان الآخران ، فلم اعلم بناء على اى شىء حضرا ، ولكن من حيث ان الضباط موكلونا للعرض بطلب المساواه والانصاف بين أصناف العسكرية ، فهم طبعا ملاحظون احوالنا ، اولا فاول ، ومتيقظون ، وهم دائما على حذر فلما رأوا ما حصل لنا من السجن اخبروا بعضهم بعضا وحضروا لخلاصنا .

س : علم من التحقيق ان آلاى على فهمى لم يحضر الا بناء على تنبيه من قبل الواقعة بيوم ، وآلاى عبد العال حضر فى يومها بناء على امره بواسطة ارسال واحد من طرفه ، وان عدم حضور آلايكم هو بالنظر لعدم امتثال الفى افندى يوسف ، وخلاف ذلك لم تتحرك باقى الآلايات فماذا تقول ؟

ج : هذه المسالة مع ما فيها من الحيف والظلم توسلنا بقناصل الدول لتسوية ما بيننا وبين الحكومة من الخلاف وصدر عنها عفو عمومى وعاد كل منا الى آلايه ووعدنا باجابة طلباتنا وقد عزل عثمان رفقى ناظر الجهادية .

س : بعد اخراجم من السجن بقصر النيل بواسطة العسكر وحضوركم لعابدين كنتم تعلمون جيدا انكم معزلون من الآلاياتكم ، فلماذا بقيتم هناك مع العساكر واصررتم على طلب عزل عثمان باشا رفقى من نظارة الجهادية ، مع انه مرارا يعدكم الجناب الخديوى بالاجابة ونبه عليكم بالانصراف ولم تنصرفوا حتى تحصلتم على مرغوبكم ؟

ج : قلت ان هذه المسالة تم فيها ما تم وصدر عنها عفو الخديوى .

س : حيث انه قيل منكم انه صدر عن ذلك عفو من الحضرة الخديوية وتحصلتم على رفع ناظر الجهادية الذى كنتم متشككين منه فكان المامول اذن مقابلة هذه النعمة بالطاعة والانقياد التام لأوامر الحضرة الخديوية والسلوك الحسن ، فوقع منكم ضد المامول وقبل انقضاء سبعة اشهر بعد هذا العفو احضرتم الآلاياكم

وآلايات الاثنين اميرالايات الذين اشتركوا معكم في واقعة اول فبراير سنة ١٨٨١ وبعض آلايات التى امكنكم اغراءها على ذلك وبطاريات الطوبجية بجنجاناتها • وقبل حضوركم لتلك الجهة بيضع ساعات حررتم للقناصل ولنظارة الجهادية على هذا التصميم الذى تجاسرتم على اجرائه بالفعل ، فما اسباب ذلك ، ولماذا تجاسرتم على هذا الفعل ، وبدلا من قيامكم باداء وظيفتكم التى هى حفظ البلاد وحفظ الذات العلية التى هددتموها بالأسلحة التى اعطيت لكم لأجل حفظ تلك الذات السنية وحفظ كرامة الحكومة المصرية • وفيما بعد طلبتم من الحضرة الخديوية طلبات لم تكن من وظائفكم ولا من خصائصكم ، واصررتم على عدم اعادة العساكر لمحلاتهم حتى تحصلتكم على مطلوبكم بهذه الكيفية ؟

ج : ان الأسباب التى دعت لذلك هى عدم الأخذ بالعدل والمســـاواة فى المعاملات شان البلاد التى لم يكن فيها قوانين ولم يرع فيها الاجراء على مقتضاها ، فلذلك اعتمد اعيان البلاد على ابنائهم رؤساء العسكرية وتاقت انفسهم الى تشكيل مجلس نيابى بالبلاد يحفظ لهم حقوقهم ويدفع عنهم ما ألم بهم من المظالم • حيث ان كل من كانت له مظلمة منهم وتلقى فى مجلس من المجالس الأهلية ، فلا تنتهى ولا ينظر لها بعين الاعتبار • وربما تترك بالمجالس فوق العشرين سنة حتى يموت صاحب الدعوى كمدا بظلمه • ومن امثلة المظالم ضياع حقوقهم المدفوعة فى المقابلة التى هى عبارة عن سد ١٧ مليون جنيه • ولم يصر معاملتهم فيها اسوة بالدائنين الأجانب الذين لهم ديون على الحكومة المصرية • وغير ذلك مما لا يمكن استيفاء شرحه فى هذا الجواب ، فاجتمعت اذن افكار الناس على انه لا مخلص لهم من تلك المظالم الا وجود مجلس نيابى من شــأنه حفظ الأرواح والحقوق والأموال• مع سن قوانين عادلة تكفــل لهم حقوقهم ، فاجمعوا امرهم على ذلك وتحرر منهم بذلك عرضحالات وختم عليهـــا من نحو الآلفين نفس من عمد واعيان وتجار وغيرهم • ولخوفهم من البطش بهم انابونى مع اخوانى الضباط فى عرض طلباتهم لكوننا اخوانهم وأبناءهم • وهم اهلونا يضرنا ما يضرهم ، وينفعنا ما ينفعهم فقمنا بالعساكر البياده والطوبجية والسوارى الموجودين بمصر بدون ان يتخلف منهم احد وتوجهنا الى ساحة عابدين بعد اعلام قناصل الدول بتلك الطلبات الشرعية الحقه التى لا ينكرها منصف ابدا ، وكان توجه العسكر بغاية الأدب والسكون بصفة عرض جيش على الحضرة الخديوية نلتمس من حضرته الفخيمة منح الأمة المصرية التى نحن ابناؤها ووكلاؤها فى طلب تلك الطلبات الحقة ، فمنحها ذلك وانصرف الكل شاكرا لجنابه الفخم على ذلك • والاعراضات

المتقدمة من اعيان الأمة المصرية تقدم بعرضها وتقدم بعضها الى دولتلو شريف باشا الذى صار تسميته بطلب الأمة رئيسا للنظار • ومع ذلك فقد صدر عفو الخديوى أيضا عما حصل من القصور فى هذه المسألة ، على ان تلك الطلبات جميعها هى من اقصى آمال الحضرة الخديوية ، وسابق التصريح بها فى الدكريتو الصادر من فخامته فى اول ولايته •

س : لو فرض ان الحضرة الخديوية لم تسلم فى هذه الطلبات فماذا كان يحصل ؟ •

ج : لا لزوم للفرض والتقدير لأننا واثقون بكرم الخديوى ووفائه بوعده فى اول دكريتو صدر من جنابه كما ذكرنا فى جوابنا المتقدم حيث ان ذلك من أقصى آماله •

س : لم يوجد اذن وجه لتوجهكم بالعساكر والجبخانة معهم والاحاطة بالرأى بتلك الكيفية المهولة •

ج : البلاد التى لم يكن بها مجلس نيابى يحفظ للأمة كافة حقوقها فى كافة ممالك الأرض يحصل فيها اكثر من ذلك بحيث يسفك فيها كثير من الدماء وهذا لا يخفى على متذكر لأن الحاكم المستبد لا يسلم فى الشورى بسهولة • ونحن بحمد الله تعالى لم يحصل منا ادنى شىء يخل بالراحة بخصوص هذا الطلب ، وتقدم ان ما كان حضور العساكر الا بالنسبة للالتماس فى هيئة عرض انفسهم على الحضرة الخديوية ومع ذلك فعفو الخديوى شمل ما حصل فى تلك المسألة من القصور •

س : تدعى ان الأمة انابتك انت والضباط فى طلب الطلبات التى ذكرتها ، فالأمة المصرية عبارة عن اربعة ملايين • ولا يتصور انه صار توكيلكم انت والضباط من طرف هذا القدر وحيث انك تدعى ايضا انه تقدم اعراضات من نحو الآلفى شخص من اهالى البلاد الى دولتلو شريف باشا مباشرة • فيعلم عدم توكيلكم من طرف احد من الأمة المصرية كما تدعون ، فان كان بيدكم والحالة هذه توكيل ابرزوه ، وخصوصا ان الأمة المصرية واعيانها عموما موجودون ، فبين اسماء ، ولو نحو عشرين من الأعيان الذين نوبوكم حتى باستجوابهم تتضح الحقيقة •

ج : مهما كان تعداد أى أمة من الأمم عظيما ، فانها تكون مرؤوسة برؤساء يسمونهم المشايخ والعمد • ويطلق على هؤلاء الرؤساء الذين هم بعض الأمة لفظ

الكل اعنى الأمة ، وعلى ذلك فرؤساء البلاد النائبون عن الأهالى هم الطالبون لتلك الطلبات وهم المعرضون اعراضاتهم ، التى كان اغلبها بطرفى هذا اليوم ، ومن هؤلاء العمد والأعيان تركب مجلس النواب والدليل على أنهم انابونى فى طلب طلباتهم وجود نحو الألفى عمدة فى ذلك اليوم والحاحهم على دولتلو شريف باشا بقبول الرئاســـة حال حضوره من الاســـكندرية الى مصر ولوثوقهم بى ترامو! باجمعهم على الحضرة الخديوية يلتمســـون منهـا بقائى فى نظارة الجهادية حين استعفت نظارة محمود باشا سامى . افهل هذا لا يكون دليلا على توكيلهم اياى ووثوقهم بى ؟ على انى ومن معى من الضباط والعساكر من أبناء البلاد الذين تشملهم تلك الحقوق الوطنية .

س : وظيفتك كانت أميرالاى جهادى وقوانين العسكرية لا تسمح لك بالتداخل فى الأمور الادارية الأهلية فكيف تداخلت فى ذلك واغريت باقى الضباط الذين اتبعوك ؟ هل الخديوى ونظاره وباقى حكامه كانوا محجوبين عن الأهالى وما كان احد يمكنه الوصول اليهم حتى تداخلت فى امورهم بهذه الكيفية ؟

ج : قدمنا باجوبتنا المتقدمة ان من كان له حق او حاجة وتحال على اى مجلس او اى ديوان فيموت بغصته ، ولم يتحصل على شىء منها . فمن اجل ذلك ولشمولنا مع اهلينا بحقوق واحدة حصل ما تقدم ذكره بدون أن تسقط شعرة واحدة من راس اى انسان . وما كنت لأغوى الناس . بل كنت حافظا لنظامهم وموقفا لحركات افكارهم شديدة التضارب بعضها لبعض ، فهم الذين أنابونى لأســـير بهم فى منهج الاستقامة حفظا للنظام العام . ولولا ذلك بل لولا وجودى لما أمكن توقيف ذلك التيار وشانه من غير حافظ له لحصل من المضرات الكثيرة مالا يخفى على أحد . ومع ذلك فما وقع من القصور فيما تقدم ذكره ، عمه العفو الخديوى .

س : فى أول دفعة فى واقعة ١ فبراير ١٨٨١ طلبتم عزل ناظر الجهادية واصررتم على ذلك بطريقة خارجة عن القانون وتحصلتم على مقصودكم وعفى عنكم الجناب الخديوى كما قيل منكم . وفى واقعة ٩ سبتمبر ١٨٨١ أشهرتم السلاح واحطتم بسراى الحضرة الخديوية بالمدافع وهددتموها وتحصلتم على طلبات خارجة عن وظائفكم وهى احداث مجلس النواب وسقوط وزارة دولتلو رياض باشا وما اشبه وقلتم أن الحضرة الخديوية عفت عنكم فى ذلك أيضا ، فبدلا من مقابلة هذه النعمة التى تحصلتم عليها بالشكر ، لم يمر زيادة عن بضعة أشهر حتى توجهتم ذات ليلة لمنزل سعادة سلطان باشا رئيس مجلس النواب فى ذلك الحين

وبرفقتكم ضباط العسكرية المتعصبون معكم ، وهناك امام من وجد من النواب والعلماء تلوتم خطبة فى القدح والذم فى الحضرة الخديوية وعائلته الشريفة ، وختمتم خطبتكم باعلان خلع جنابه العالى وقلتم ان من يكون معكم فى هذا الرأى يقوم واقفا ، ولما لم ير واحد من الحاضرين القيام خلاف الضباط هددتم انت ومحمد عبيد حالة كونه شاهرا سيفه حتى حصل من ذلك اضطراب وغاغة بمنزل الباشا المشـــار اليه ، واندهش اهل البلاد خصوصا وانك امرت وقتها احد الضباط الحاضرين وهو خليل بك كامل الأميرالاى باستعداد آلايه للهجوم به على سراى الاسماعيلية محل اقامة الحضرة الخديوية ، فهل يجوز وقوع ذلك منكم بعد توصلكم الى كافة طلباتكم من الحضرة الخديوية وانعامكم باحساناتها ؟ ٠

ج : اى ليلة هذه وفى اى تاريخ حصل ذلك ؟ ٠

س : فى الليلة الثانية من سقوط وزارة محمود سامى التى كنتم من ضمنها بصفة ناظر الجهادية ٠

ج : انى لم اطب لنفسى شيئا قط ، بل تلك الطلبات كانت على حسب ما سبق ايضاحه ، وانى دائما محترم وحافظ للحضرة الخديوية ولم يقع منى تهديد أصلا ، بل كنت كسور عظيم البنيان ، مانع لتيار تلك الأفكار سريعة الانحدار ٠ وكنت اظن ان تلك خدمة لا تغيب اهميتها عن افكار اولى العدل والانصاف ، اما تلك الليلة المعروفة بليلة ابى سلطان ، فالحق اقول انه لما تحقق للحضرة الخديوية استقامتى وحسن خدماتى وتاديتها بغاية الحرص والأمانة منحنى رتبة اللواء بعد ان وجهت الى عهدتى نظارةالجهادية ٠ كل ذلك دليل على حسن رضائها الى ان انحلت نظارة محمود باشا سامى البارودى التى كنت من ضمنها لأسباب معلومة للعموم ، وكانت نتيجتها ما حصل من المحاربة الشنيعة الظالمة ، وهى الاختلاف الذى وقع بين الوزارة المذكورة وبين الخديوى فى قبوله اللائحة المقدمة من قنصلى انجلترا وفرنسا وعدم قبولها بطريق الوزارة ٠ وقد صار طلب اعضاء مجلس النواب للنظر فى هـــذه الاختلافات واناطته بتســـويتها ٠ ولما لم يجد ذلك نفعا حصـــل الاستعفاء ولزمت منزلى ٠ فدعيت تلك الليلة الى بيت رئيس مجلس النواب ، حيث كان جميع اعضاء المجلس موجودين فيه ومنتظرين حضورى ، فلم ار بدا من التوجه اليه ، وبحضورى لحضرتهم كلفونى بأن اداوم على ملاحظة العسكرية وحفظ الراحة العمومية ، فاجبتهم بانى استعفيت من نظارة الجهادية مع اخوانى النظار ، وقبل منا اســـتعفاؤنا لدى الحضرة الخديوية ، فلا يمكننى ان الزم نفسى بما

لا يسوغ لى اجراؤه ، فاجابنى رئيس المجلس ومن معه باننا نحن نواب الامة وقد كلفناك بهذه الخدمة الوطنية واننا متوجهون الى الحضرة الخديوية لنلتمس منها بقاءكم فى نظارة الجهادية كما كنتم . ثم دار الكلام فى الأسباب التى اوجبت الاستعفاء ، وما كان من امر اللائحة المتقدمة من انجلترا وفرنسا وما يؤول اليه امر البلاد اذا حصل قبولها وما كانت عليه البلاد قبل التداخل كارهين قبول تلك اللائحة وكارهين ما بنيت عليه من التداخل المضر بشرف البلاد واستقلالها . واجمع رايهم على عدم قبول تلك اللائحة واعطوا قولهم بذلك . وكان من راى الحاضرين عموما التسليم فى عزل الخديوى ولا يسلمون فى قبول اللائحة المذكورة ابدا . واشتدت حركة الأفكار ومكث هذا التضارب الناشىء من تلك اللائحة مدة تزيد على اسبوعين الى ان قبل سعادة راغب باشا رئاسة مجلس النظار ، وصدر من الحضرة الخديوية عفو عام عن جميع ما يتعلق بهذه المسالة وما قبلها لكثرة تشعب الأفكار وشدة الانفعال وتهيج الراى العام . وبناء على هذا العفو تشكلت الوزارة المذكورة وكنت من ضمنها بمقتضى امر الخديوى . ثم لما ورد وابور (عز الدين) حاملا النيشان المجيدى من الدرجة الأولى الذى احسنت به الحضرة السلطانية على لم اقبل ان استلمه الا من يد الخديوى . وما ذلك الا اعلانا باحترامه وحرصا على رضائه . هذا هو الحق ولم يحصل صدور امر الى خليل كامل ولا الى غيره كما ذكر . اذ انى كنت اعد نفسى انى حافظ امين . واما ما قيل غير ذلك فلا اصل له البته .

س : هذا الجواب لم يكن ردا للسؤال ، فافد صراحة هل ناديت بمنزل سلطان باشا بخلع الحضرة الخديوية ، وقلت من يكن معك يقم واقفا أم لا ؟

ج : على حسب فكرى هذا الجواب هو رد عما سئلت فيه ، وانى اوضحت به انه حصل الاجماع على عدم التسليم فى قبول اللائحة ، ولما استقر الراى على ذلك كنت جالسا فقمت وقلت من وافق على ذلك فليقم معنا ، فقام الكل ولم يتاخر احد . والغرض من ذلك هو عدم التسليم فى قبول اللائحة المذكورة ، حتى بالفعل قام رئيس مجلس النواب ومن لزم معه من الأعضاء ، وتوجهوا الى سراى الاسماعيلية فى تلك الليلة نفسها ، وعرضوا طلب بقائى فى نظارتى الجهادية والبحرية والزامى بالأمن والراحة وفى غد تلك الليلة حضر لى رئيس المجلس المذكور وسعادة سليمان باشا اباظه .وحسن باشـــا الشريعى وغيرهم وسلمونى ارادة خديوية ببقائى فى نظارتى الجهادية والبحرية ، فتوجهت مسرعا لتادية التشكرات لحضرة الخديوى على ذلك .

س : كان رأيك اذا مع رأى من استقر رأيهم من الحاضرين على عزل الخديوى ؟
ج : مما توضح يعلم انه لشدة تاثير اللائحة المذكورة التي قبلها الخديوى ما كان يمكن قبولها ولو ادى ذلك لخلع الخديوى . وكنت انا وكل الناس على هذا الرأى .

س : قد كان محمود سامى رئيس مجلس النظار وقد كنت انت ناظر الجهادية فى رأيكم على طلب النواب واحضرتموهم بالفعل بدون امر الحضرة الخديوية فماذا اجريتم ذلك مع علمكم انه مخالف للائحة النواب ؟

ج : من مقتضى لائحة مجلس النواب انه اذا تراءى امر مهم فى مدة غياب مجلس النواب فعلى مجلس النظار تدارك هذا الأمر تحت مسئوليتهم عنه عند انعقاد المجلس فى السنة التالية . ولم يكن امر مهم اكبر من خلاف يقع فى مسألة بين الحضرة الخديوية وبين النظار . فلتدارك هذا الأمر وعدم خروجه من يد اهل البلاد استقر رأى مجلس النظار على طلب مجلس النواب ينظر فيما حصل الخلاف فيه املا فى اصلاح الأمر قبل تعاظمه وعلى ذلك جرى طلب النواب .

س : اعترفت اذا بطلب النواب بدون امر الحضرة الخديوية لأن منطوق اللائحة لا يطابق تاويلكم ؟

ج : اوضحنا بان طلب النواب يفيد امر الحضرة الخديوية وما كان الا اعتمادا على قانون مجلس النواب على أن ذلك جائز فى الحكومات المتمدنة اذا دهم البلاد امر يخل بشأنها ، ولم يكن امر اكبر من خلاف يقع بين الحاكم وحكومته .

س : ماهو الخلاف الذى وقع بين الحضرة الخديوية وبين النظار وترتب عليه طلب النواب بمعرفتكم ؟

ج : هو قبول الخديوى للائحة المقدمة من قنصلى انجلترا وفرنسا وعدم قبولهـــا بطرف نظار حكومته .

س : ماذا كان مضمون تلك اللائحة المقدمة من طرف الدولتين ؟

ج : كان مضمونها طلب سقوط النظارة واخراجى من بلادى الى اوربا واخراج وتبعيد على باشا فهمى وغيرنا الى خارج القطر .

س : هل في معلومكم ان الجناب الخديوى قبل هذه اللائحة من قنصل الدولتين المتقدم ذكرهما أم لا ؟

ج : تقدم باجوبتى مايدل على ذلك .

س : كان الواجب عليكم قبولها مثلما قبلها الجناب الخديوى لكونكم تحت اوامره وهو المناط من طرف الدولة العلية بامتيازات مخصوصة باجراء الاحكام على حسب ما يتراءى له بدون ان يعارضـــه احد فى داخل حكومته . فلماذا تجاسرتم على رد اوامره حيث انه قبلها ولاسيما ان خروجك من البلد حائزا شرفك ومرتباتك ما كان يترتب عليه ضرر .

ج : صحيح كان اولى خروجى الى اوربا او غيرها . ولكن افكار الناس وقتها وحالة البلاد لها من الامتيازات الخصوصية ، فلذلك لا يكون امرا لازما فى الحكومات الشورية ، خصوصا وان جنابه الكريم اوجب على نفسه جعل الحكومة شورية، وان يشترك مع نظاره ونواب البلاد فى الراى . ولحرص النظار على تلك الامتيازات ماراوا قبول تلك اللائحة من التداخل فى الأمور الادارية ومس الامتيازات المصرية لم يصر قبولها كما تقدم الايضاح باجوبة سابقة ..

وكان هذا فى اليوم الأول لاستجواب ومحاكمة الزعيم أحمد عرابى وقد استصوبت اللجنة اعادته الى السجن الى ان ياتى اليوم الثانى . لأن الوقت كان قد قارب على الغروب فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ حتى كان اليوم الثانى ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ هـ لاستجواب البطل الثائر . وقد سار الاستجواب على النحو التالى :

بناء على ماتقرر بجلسة يوم الخميس ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ طلب أحمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه ولما حضر وجه اليه سعادة الرئيس الأسئلة المحررة بعد فاجابه عنها بما ياتى :

س : ألم ينصحك دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية بقبول اللائحة والخروج من القطر ؟

ج : ان اللائحة المذكورة تقدمت من طرف قنصل انجلترا وفرنسا بناء عن رأى ارتآه أبو سلطان باشا كما هو واضح بها . وكان تقديمها باسم دولتيهما عقب حضور المراكب الانجليزية الى ثغر الاسكندرية . ولما حضر الوفد العثمانى

تحت رئاسة دولتلو درويش باشا رأى البلاد المصرية فى غاية الهدوء والسكون ولم يكن بها ادنى شىء يستدعى ما يوجب تلك الارتباكات كما رأى الجيش المصرى فى غاية الطاعة والانقياد ملازما لخدماته وواجباته العسكرية وعرض عن ذلك للباب العالى بالآستانة وترتب على ذلك للباب العالى بالآستانة وترتب على ذلك تشريفنا بالنيشان المجيدى السابق الذكر بتلغراف ورد لدولته من المابين الهمايونى قبل حضور النيشان المذكور . ولما اخبرنى دولته بذلك التزمت بعرض تشكراتى تلغرافيا بواسطة المابين على الحضرة السلطانية وتشرفت بقبولها واجابنى تلغرافيا بحصول الممنونية والمحظوظية للحضرة السلطانية مما اديناه من حسن الخدمة والطاعة والانقياد ، ثم انه قبل حصول الضرب على الاسكندرية بأربعة أيام حضر النيشان المذكور بوابور مخصوص صحبته سليم بك قومندان الوابور (عز الدين) واستلمته من يد الحضرة الخديوية مع اظهار الخضوع والانقياد والشكر على ذلك ، كما انه حضرت جملة نياشين باسم ضباط الجيش اعلانا على حسن طاعته وانقياده ، ولكن لم يسع الوقت اعطاء النياشين لأربابها لمفاجأة الضرب على الاسكندرية ، وكان دولة المشار اليه اخبرنى انه يرى لزوم توجهى للآستانة تحت كنف ورعاية الذات الشاهانية فقلت له : «انى أود ذلك ، بل هو أعظم شىء أتمناه ، ولكن لتعلق الناس بى وازدحامهم على فى كل وقت بحيث انهم لا يمكنونى من تناول غذائى الذى هو من ألزم ملزومياتى المعاشية ، الا بمشقة أخشى أن يحولوا بينى وبين ذلك اذا علم لهم أنى اريد السفر الى خارج القطر المصرى لما يتوقعونه مما يحيق بهم من الضرر فى المستقبل ويترتب على ذلك حدوث فتنة داخلية وهى ما كنا نحذر الوقوع فيها ، فعند انتهاء الأمر وانصراف المراكب الحربية من المياه المصرية يمكن أن نتخلص من هذا الأمر المحفوف بالمصاعب ، ونتوجه الى الآستانة كما ترون دولتكم » . هذا ما صار عند مقابلتى بدولة المشار اليه .

س : حيث انكم احضرتم مجلس النواب بالفعل للمحروسة للخلاف الذى قيل عنكم انه حاصل بينكم وبين الحضرة الخديوية ، فلماذا لم يفتح المجلس المذكور ويعرض الخلاف عليه كما صممتم على ذلك من قبل ؟

ج : بحضور جميع أعضاء مجلس النواب واخبارهم عن لزوم افتتاح المجلس رسميا للنظر فيما حصل من الخلاف . واسبابه فتوجهوا للخديوى وطلبوا صدور

امره بالمفتاحه فلم يسمح بذلك ..

س : زعمتم أن النواب موافقون لرأيكم ولرأى باقى النظار فى ذلك الوقت ، فلو كان هذا حقيقيا لأمكنكم بالاتحاد معهم فتح المجلس والنظر فى أحوال البلاد بدون رخصة من الحضرة الخديوية وحيث أنه لم يصر افتتاحه بالفعل على حسب رأيكم ، فيعلم ان النواب لم يكونوا متحدين معكم جميعهم كما قلتم.

ج : لا اظن أن أحدا من المصريين على اختلاف مذاهبهم يسمح بحصول تداخل أجنبى فى بلاده ، ومن ذا يعلم لكل ذى ذوق سليم ان الأمة المصرية باجمعها لا تسمح بذلك التداخل ، ولكن ارتأى رئيس مجلس النظار ان يسلك طريقا سهلا لازالة الخلاف وتسوية الحالة . فاكتفى بعقد المجلس فى بيته . وقد نجح فى مسعاه بتشكيل نظارة راغب باشا التى صدر فيها عفو عام من الحضرة الخديوية شاملا كل ما ينسب الى تلك المسائل الا مسالة اسكندرية التى حدثت فى يوم ١١ يونيو ١٨٨٢ .

س : مذكان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار وكنت ناظر جهادية اجتمعتم ليلا معه ومع باقى الضباط من رتبة بكباشى فمافوق فى قشلاق عابدين ووضعتم مصحفا على ترابيزة ووضعتم ايديكم عليه ولقنكم الشيخ محمد عبده يمينا ، فما هى هذه اليمين وما اسبابها وماهو تاريخ حلفها ؟ ..

ج : هذه العبارة لا حقيقة لها وانما دائما فى كل مجتمع كان يحصـــل التذاكر بالاتفاق على تحرير البلاد وتحسين حالتها والسعى فى جلب المنافع اليها ودفع المضار عنها بواسطة تنسيق قوانين عادلة تكفل لكل انسان حقه حتى يعيش اهل البلاد وابناؤها فى ارغد عيش مثل الأمم المتمدنة فى كافة ارجاء المسكونة والسعى فى منع جميع الاسباب التى تخل بالراحة العمومية أو تجلب على البلاد ما يشين باسمها فى تاريخ العالم . بل نعتبر أهل البلاد جميعهم ومن فيها من الأجانب اخوة فى الانسانية لهم مالنا وعليهم ما علينا ولا يتعرض احد لهم بسوء . تلك هى المجتمعات التى كانت تحصل ، وليست فى تاريخ مخصوص .

س : انت تنكر حلف هذه اليمين ، فاذا حضر الشيخ محمد عبده وغيره ممن كان حاضرا وقال بحصول ذلك امامك ، فماذا تقول ؟؟ ..

ج : لم يحصل انكار شيء ، بل ان ما اوضحته بجوابى هو شامل لما كان يحصل

فى مجتمعاتنا مع تاكيده بالايمان الموثوق بها على عدم حصول الضرر لأمن الناس كما ذكر ذلك حرصا على الراحة العمومية .

س : مذ كان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار قبل واقعة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ بأيام قليلة طلبت السيد قنديل مامور ضبطية الاسكندرية وحضر لطرفك ، فلماذا كان ذلك ؟؟ ..

ج : لما حضر فرمان الرتبة التى اعطيت له طلبناه وسلمنا اليه ذلك الفرمان .

س : الم تنبه عليه بشىء فى ذلك الوقت ؟

ج : لم انبه عليه بشىء .

س : ألم ينبه عليه ايضا بشىء محمود سامى باشا بحضوركم فى مجلس النظار فى خزنة قاعة الجلسات .

ج : لم يحصل ذلك ولم اكن موجودا فى الخزنة .

س : لما حصلت واقعة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ وتعين قومسيون لتحقيقها بالاسكندرية، وكان من اعضائه وكيل الجهادية فبدلا من التنبيه عليه بالتمسك بالعدل والانصاف وعدم الميل لأى طرف كان ، نبهتم واكدتم عليه بأن يجتهد فى ابعاد التهمة والشبهة بقدر الامكان عن الأهالى والعساكر مع معلوميتكم ومعلومية الجميع ان عساكر المستحفظين باسكندرية كان لهم مدخل كبير فى هذه المقتلة . فمن تنبيهاتكم بهذه الكيفية لوكيلكم اعنى وكيل الجهادية يعلم ان وقوع هذه الحادثة اما ان تكون بامركم او بتعليماتكم .

ج : هذه العبارة مختلقة لا اصل لها وان وكيل الجهادية ليس محتاجا لتعليماتى ولا يمكنه ان يساعد على غير الحق مهما كانت الحالة ، وأما ما ذكر من أن يكون ذلك حصل بتعليماتى فمن انا حتى تكون لى تعليمات بمثل ذلك فى جهة لم احضرها ولم اشاهدها ؟ بل من تدبر كيفية سيرنا فى مدة ثمانية عشر شهرا ، وعرف ما حصل منى من التنبيهات والتاكيدات واعلانى لجميع الناس بحفظ الأمن العمومى علم اليقين انى اجتهد كل الاجتهاد فى حفظ الأرواح والأعراض والأموال حتى لا تسقط شعرة واحدة من رأس أى انسان حرصا على عدم تسويد صحيفة تاريخ المصريين والحق انه لم يتنبه منا على

وكيل الجهادية بشيء ابدا اذ هو غنى عنى فى ذلك ، وكان طلبه على حين غفلة واستعجال .

س : قلت انك لم تعط تنبيهات لوكيل الجهادية فى شان هذه المسالة مع انه موجود جواب منك اليه مشتمل على ذلك فستتلوه عليك وقل لنا صدر منك ام لا ؟

(وتلى عليه الخطاب وهاهى صورته)

« جهادية وكيل سعادتلو افندم »

بعد السلام على سعادتكم تعلمون اهمية مركز سعادتكم الآن بالنسبة للجنة التحقيق فانه لايخفى ان اعضاء اللجنة ليسوا جميعا ممن يهمهم شرف العسكرية والأمة وهذا يقضى باخذ الاحتياطات الكلية فى سياق التحقيق واظهار منشا الحركة ، فان المتداول على السنة الخاص والعام هنا ان الفاعل لهذا الأمر رجل مالطى من تبعة الانجليز تشاجر مع وطنى وضربه بسكين وان جماعة من الأروام اجتمعوا للدفاع عن الوطن ، فتكاثرت عليهم المالطية وبعض الأوربيين وضربت عليهم النار من الشبابيك ، وعظم الخطب بتعدى الأوربيين على انفسهم، وان الوطنيين الذين حضروا فى وسط النقط انما كانوا يدافعون عن انفسهم بالعصى ، ولذلك لهجت الألسنة بان بعض الأوربيين انتهبت بعض الدكاكين. ولم يكن للوطنيين يد فى ذلك ، فليكن اجتهادكم فى الدفاع عن جانب الحكومة والأمة واظهار الفاعل الأصلى من الأجانب ، فقد قيل ان المالطى المتسبب فى الفتنة كان قبل ذلك مستخدما فى قونصلات الانجليز . وهذه امور نقدمها لتلاحظوها ولاتقبلوا كل ما يقال فى جانب الوطنيين والحكومة من غير تدقيق وبحث طويل وتحقيق تعرفون صدقه وعدم تصنيعه ، ولاتميلوا بجانبكم لأحدمن اعضاء اللجنة خشية ان تخدعكم او تستميلكم لأمر ظاهره الاصلاح وباطنه الفساد ، ولنا وثوق تام بافكاركم . وانما كتبنا هذا من باب التنبيه والاتعاظ لأقوال وافعال من معكم من رجال اللجنة ، هذا ما يقتضى من جهة اللجنة والتحقيق ، وأما ما يلزم للمراقبة العمومية فيلزم ان تلاحظوا البلد واخبارها وتتثبتوا فيما تسمعونه وترونه وتبادروا باخبارنا اولا فاولا عن جميع الأعمال والاكتشافات والمتطورات والمحذورات التى ترونها مما ظهر لكم من الحوادث، واعلموا ان الحزم فى الأمور يرشد بحسن العاقبة وصدق العزيمة يوصل الى المقصود ، والعاقل من احترس من صديقه قبل عدوه ، والرجل الحربى من

لا يخدعه السياسيون ولا اعمال المنافقين . والله يرشدنا واياكم لما فيه حفظ العباد وسلامة البلاد .

في ٢٨ رجب سنة ١٢٩٩ « ناظر جهادية وبحرية »

« أحمد عرابي »

ج : نعم صدر مني هذا الجواب الذي هو عبارة عن الأخذ بالحزم في اظهار الحقيقة والعمل بالحق وليس فيه ما ينكر عليه .

س : لما حصلت الواقعة المذكورة طلب محافظ البلد مرارا عـديدة من الآلايات الموجودة هناك امدادات ولم يجيبوا في وقت الطلب حالا حتى تمكن الأشقياء من قتل اناس كثيرين خصوصا قتل جم غفير من الأوربيين امام الضبطية والشاع في ذلك الوقت ان هذا من تداخل عساكر المستحفظين في القتل . وحيث انك كنت ناظر الجهادية في ذلك الوقت ولابد انه بلغك ما قيل في حق العساكر فان كان لم يكن لكم مدخل في هذه الواقعة لماذا تتشبثوا في التحري والحصول على معرفة ضباط الآلايات الذين تاخروا في اجراء مأموريتهم وعسـاكر المستحفظين الذين قيل انهم اشتركوا في هذا الأمر بصرف النظر عن اللجنة التي تشكلت في ذلك الوقت من طرف الحكومة بالاسكندرية للنظر فيما حصل من الأهالي المتهمين في تلك الواقعة .

ج : ان ماذكر من نسـبة عسـاكر الآلايات للتاخير عند طلبهم بمعرفة محافظ الاسكندرية لم يبلغني ولم اسمع به الا من فم سعادتكم في هذا الوقت ، بل المذكور في الجرائد الأجنبية نفسها ان عساكر الآلايات ادت ما يجب عليها من الغيرة والشرف في تدارك هذا الأمر وحفظ حالة البلد ولذلك جميع الألسن كانت تثني على عساكر الآلايات وضباطهم ، ولو كان لذلك اصل لكان المحافظ حرر للجهادية بما حصل من التقصيرات حتى على مقتضى تحرره تجرى محاكمة المتاخرين . واما ما نسب للضبطية وعساكر المستحفظين فلا حق لسؤالنا عنه اذ ان ادارتهم ليست تابعة لنظارة الجهادية .

س : حيث انه صدر لك امر من الحضرة الخديوية ومن الحضرة السلطانية بابطال التجهيزات والطوابي وزيادة وضع المدافع بها ، فلماذا لم تمتثل لهذه الأوامر واستمر العمل في التجهيزات ، ، ان جناب الأميرال سيمور لما شاهد وضع

مدافع زيادة عما كان موجودا طلب تنزيلها ولاصراركم على عدم الاصغاء للأوامر نشأ عن ذلك الضرب على طوابى الاسكندرية ؟

ج : انه على حسب العادة السنوية كنا نجرى ترميم بعض طوابى الاسكندرية ، ولما ورد تلغراف من الحضرة السلطانية الى الحضرة الخديوية بناء على تبليغات سفير انجلترا بالآستانة بابطال انشاء وتجديد استحكامات اسكندرية ، اذ يعد ذلك تهديدا للمراكب الحربية الانجليزية وصدر امر الخديوى بذلك ، ففى الحال اوقفنا الترميمات وتعين من لزم من رجال المعية لمشاهدة وقف العمل، ولما تحقق ذلك كتب للآستانة بذلك من المعية ، ولم يكن حصل اصرار وعدم سماع كما قيل ، حتى ان الطوابى الموضحة بافادة الأميرال سيمور بانه جار وضع مدافع بها قبل الضرب بيوم واحد لم يسبق وضع مدافع على بعضها منذ انشائها فى مدة المرحوم محمد على باشا ومن ضمن ذلك طابية صالح التى لم يكن بها شىء من الأسلحة الجديدة أبدا ، وطابية باب العرب ، وطابية قائد بك التى هى على بعد زائد فى وسط البحر ٠

س : لغاية اى ساعة استمر الضرب من المراكب على الطوابى فى يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، واين كنتم فى اليوم المذكور ؟

ج : ضربت الاسكندرية فى ١١ يوليو الساعة ١٢ عربى صباحا ، وعلى مقتضى قرار المجلس المشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية لم تصر مجاوبة المراكب من الطوابى الا بعد اطلاق نحو ١٥ طلقة وبعدها حصلت المجاوبة من الطوابى واستمر الضرب من الطرفين الى الساعة ١٠ر٣٠ عربى من النهار ، وفى اثناء ذلك كنت فى طابية الدماس لارتفاعها ولمناظرة الجهات منها ٠

س : هل بقيت فى الطابية المذكورة لغاية الساعة ١٠ر٣٠ حتى انتهى الضرب ؟٠٠

ج : نعم ٠٠

س : من كان قدمندان العساكر بالاسكندرية فى واقعة ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ؟

ج : كان القومندان طلبة عصمت باشا

س : هل تعين فى هذه الوظيفة بامرك أو بامر من كان ؟

ج : طلبة باشا كان قومندانا على العســاكر البرية الذين توجهوا من مصر الى الاسكندرية عقب حادثة ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ لاجل حفظ البلد ٠ وحيث وجد

هناك وكانت مأموريته حفظ البلد فصار قومندانا على جميع العساكر البرية.
وأما الطوابى فكانت تحت قومندانية اسماعيل بك صبرى ·

س : لما توجه للمكالمة مع جناب الأميرال سمور ، فبأى صفة توجه ، هل بصفة قومندان الثغر ؟

ج : بصفة كونه قومندان العساكر البرية ·

س : هل تعيينه بهذه الوظيفة منكم كان شفاهيا أو كتابة ؟

ج : كان شفاهيا ·

س : فى أى يوم رفع العلم الأبيض من الطوابى ، هل فى أول يوم الضرب أو فى ثانى يوم ؟

ج : فى اليوم الثانى عند ابتداء الضرب ·

س : فى أى ساعة ؟

ج : فى الساعة الواحدة تقريبا ·

س : هل كان هذا بأمرك ؟

ج : رفع البيرق الأبيض عند ابتداء اطلاق المدافع من المراكب الانجليزية كان بناء على قرار من مجلس النظار وغيرهم من الذوات تحت رئاسة الخديوى بحضور دولتلو درويش باشا رئيس الوفد العثمانى ·

س : أين قضيت ليلة الأربعاء ؟

ج : فى باب شرقى ·

س : فى غرفة من ؟

ج : فى غرفة حكمدار الآلاى ، ولست متذكرا ان كانت غرفة سليمان بك سامى أو عيد بك ·

س: مع من ؟

ج : مع طلبة باشا عصمت ·

س : الم يكن معكم ايضا فى تلك الليلة سليمان سامى وعمر رحمى ومحمود سامى وخلافهم ؟

ج : لم اكن متحققا من وجود احد معنا فى تلك الليلة خلاف طلبة باشا ·

س : أين توجهتم فى ثانى يوم صباحا ؟

ج : حضر لى طلب من المعية فى الساعة ٢ تقريبا فتوجهت من باب شرقى للرمل .

س : لأى شىء طلبت ؟

ج : طلبت لدى الخديوى وسألنى حينها اذا كان رفع البيارق البيضاء صار أولا ، وعن الضرب الذى حصل من المراكب ، فجاوبته انه صار رفع البيارق المذكورة، واستمر الضرب من المراكب بعد رفعها من ٢٥ الى ٣٠ جله .

س : هل حقيقة بعد رفع الأعلام البيضاء أطلقت ٢٥ جله من المراكب الانجليزية كما قيل منكم ؟

ج : نعم انما لم يكن اطلاق هذه الجلل من مركب واحدة بالتوالى بل من مراكب متعددة فى آن واحد .

س : ماهو الزمن الذى مكثتموه فى الرمل ؟

ج : بقينا فى الرمل الى الساعة ١٠ تقريبا حيث كان عقد مجلس النظار تحت رئاسة الخديوى عن طلبات الأميرال سيمور بخصوص تسليم ثلاث قلاع الى العساكر الانجليزية لاتخاذها معسكرا للجيش الانجليزى وتلك القلاع هى طابية المكس وطابية العجمى وطابية باب العرب وكان ارسل له حسب ما تقرر من لزم صحبة طلبة باشا لابلاغه أن الفرمان السلطانى لا يرخص للخديوى بذلك وانه سيعرض للحضرة السلطانية عن تلك المقترحات .

س : قيل فى أجوبتكم المتقدمة أنكم توجهتم الى الرمل الساعة ٢ صباحا وبقيتم لغاية الساعة ١٠ أفلم تحضر من هناك فى أثناء هذه المدة لباب شرقى أو لجهة أخرى ؟

ج : نعم فى منتصف تلك المسافة قبل انعقاد المجلس كنت توجهت صحبة سعادة راغب باشا رئيس النظار بعربته الى منزله ، وبعد مضى نحو ساعة أو ساعة ونصف ساعة عدنا سويا الى الرمل معا .

س : القصد الافادة عما اذا كنتم حضرتم لباب شرقى قبل الساعة ١٠ أم لا ؟

ج : لم نحضر .

س : علم من التحقيق انه فى يوم الأربعاء حضر لطرفكم لباب شرقى سلطان باشا

وسليمان باشا اباظة وشريعي باشا وياور من طرف دولتلو درويش باشا وحسن حسنى بك ياور من طرف الحضرة الخديوية وهؤلاء الذوات حضروا لكم معا بالباب المذكور ليطلبوا منكم رفع كوردون العساكر الذى احطتم به سراى الرمل ، فحضورهم لكم فى باب شرقى كان فى اى ساعة من ذلك اليوم وما اسباب وضعكم الكوردون حول سراى الرمل مادام اصل الخفر المرتب للحضرة الخديوية كان موجودا هناك ؟ .

ج : أظن ان حضور الذوات المذكورين كان فى الساعة ١١ حالة كونى مشتغلا بنفسى فى جمع العساكر المشتتة بوقت خروجهم من الاسكندرية ، وفى الوقت المذكور الذى كنت فيه بالرمل سالنى الخديوى عن الأربعة بلوكات البيادة التى حضرت فى ذلك اليوم الى الرمل لوجود الخفر الكفاية هناك ، وقال ان توجههم لتادية خدمات لازمة اولى . وحيث اننى لا اعلم حقيقة الأمر ولا ماهى الأربعة بلوكات المذكورة . توجهت عند خروجى من المعية لجهة القشلاق المجاور لسراى الرمل ، وطلبت الضباط الموجودة مع الأربعة بلوكات التى حضرت الى هناك . فحضر الى ضابط برتبة صاغقول اغاس ، واظن ان اسمه على هشيمة من ٦ جى آلاى ، فقلت له « ما سبب حضور العساكر الذين حضرت بهم ؟ » فاجابنى بانه حضر بامر حكمدار الآلاى سليمان بك سامى ، فقلت له : « لأى سبب ؟ » قال : « جئت لتقوية الخفر » فقلت له : « ان الخفر هناك كفاية فخذ العساكر وتوجه الى آلايك » وكنت راكبا عربة سعادة راغب باشا فلما قربت من الجبانة القريبة من باب شرقى وجدت العساكر والأهالى مختلطا بعضهم ببعض فى ازدحام شديد خارجين من جهة وابور المياه ، فنزلت من العربة وصرت أتخلل الناس حتى وصلت الى باب شرقى وصرت اوقف بنفسى العساكر وامنعهم عن الخروج من الباب المذكور وانهاهم عن ذلك ومازلت كذلك حتى اتى حضرات الذوات المذكورين ، واخبرونى بان العساكر منتشرة فى هيئة الكوردون حول السراى ، ومن الواجب رفع الكوردون المذكور ، فدهشت حين سمعت بهذه العبارة . وكان قد حضر طلبه باشا الذى هو قومندان العساكر فنبهت عليه بسرعة التوجه لرفع ذلك والوقوف على اسبابه وقد توجه مع من ذكروا .

س : يفهم من كلامك اولا ان الصاغقول اغاس لم يصغ لأوامرك حيث انك قلت له خذ العساكر وتوجه الى آلايك وبعد ذلك عمل الكوردون حول السراى . ثانيا ان جناب الخديوى نفسه امركم باعادة الأربعة بلوكات المذكورة وانت

بالرمل ، ومن جوابك علم انكم حضرتم من الرمل الى قشلاق باب شرقى ولم تصرفهم .. ثالثا اتضح من التحقيقات ومن اجوبة بعض من حضر ذلك من الذوات لباب شرقى انك لم ترض برفع الكوردون الا بعد تكرار الرجاء والحاح ياور دولتلو درويش باشا ، فمن هنا يعلم ان اصل وضع الكوردون كان بامركم ، اذ ان وجودكم بصفة ناظر الجهادية ووجود العساكر فى جهة واحدة لايجعل احدا يتصور ان اميرالايات الآلايات وضباطهم يتجاسرون على فعل امر مهم مماثل لذلك بدون امرك .

ج : الأمر المهم المماثل لذلك كنت اتولاه بنفسى ولا ارتكن فيه على غيرى . ولكن الانسان مهما كانت قوته لا يمكنه حصر وضبط افكار جميع الناس الذين معه خصوصا فى مثل هذا الوقت الصعب الذى كثيرا ما تذهل فيه العقول فكيف يقال انه لا يتصور وقوع امر من احد حكمدارية الآلايات بدون امر منى مع انى لست بضابط لأفكاره كما ذكر ، وانى كما اوضحت لا علم لى باصل ارسال البلوكات الى محلاتها . وتركته وتوجهت لرؤية الأشغال الضرورية. وأما القول بأن المخبر لى برفع الكوردون كان من الترجى والالحاح ، فهذا لا حقيقة له بل بمجرد ما اخبرت وتمالكت نفسى من الدهشة ارسلت حالا معهم قومندان العساكر طلبه باشا كما ذكر . وحتى بعد عودته وسؤاله عن الكيفية اخبرنى انه لم يوجد هناك كوردون اصلا وقيل له انهم تفرقوا قبل وصوله ...

ثم عاد عرابى الزعيم الخالد الى السجن عند الظهر لتستريح هيئة المحكمة قليلا او قل لتوثق عقد المؤامرة وتنسج شباكها . وبعد ذلك استدعى البطل العظيم من سجنه ثانية لاستكمال سؤاله . ثم وجه اليه رئيس المحكمة الأسئلة المحررة ادناه فاجاب عنها بما سيأتى :

س : حيث انك تدعى ان وضع الكوردون كان بغير امرك ، بل بامر سليمان سامى افلم تبحث عن اسباب وضعه ، وماذا اجريت مع سليمان سامى بالنظر لوضعه الكوردون المذكور من تلقاء نفسه ؟

ج : قلت فيما تقدم ان الصاغقول اغاسى اجاب بانه حضر لتقوية الخفر ، وبحضور سليمان بك سامى بعد تجمع العساكر فى كفر الدوار ، افاد بأن ارسال العساكر كان لتقوية الخفر وحيث ان كثرة أشغال المدافعة كانت شغلتنا جدا

-فلم يحصل تحقيق كيفية ارسال العساكر بغير اذن وبالضرورة عند انتهاء الحرب تجرى محاكمة من يقتضى محاكمته .

س : من أجوبتك السابقة علم انك حضرت من الرمل فى الساعة العاشرة الى باب شرقى وذكرت ان العساكر كانوا وقتها مزدحمين وخارجين من باب شرقى ، فهل ترك العساكر محلاتهم وخروجهم من البلوكات بأمرك أو بامر من ؟

ج : من أجوبتى المتقدمة يعلم انه بحضورى من الرمل وجدت العساكر خارجين من الاسكندرية الى جهة وابور المياه وانه بحضورى الى باب شرقى كنت امنع العساكر بنفسى عن الخروج . فمن ذلك يعلم ان العساكر تركوا الاسكندرية بصورة هزيمة ، فى الحقيقة ان قشلاق راس التين هدمت منه محال كثيرة وجميع الطوابى ايضا . ولم يكن تجمع العساكر الا بعد الخمارية باربعة ايام ومعلوم صعوبة تجمع العساكر بعد انهزامهم ، حتى أن بعضهم توجه الى بلاده راسا .

س : قلت ان خروج العساكر من الاسكندرية كان بصورة هزيمة ، فالهزيمة كانت فى اول يوم من المحاربة لا فى ثانى يوم ، فلو كان ما قلته حقيقيا لحصل خروجهم فى يوم الثلاثاء لافى الأربعاء كما تقول ؟

ج : فى يوم الثلاثاء لم تحصل هزيمة ابدا ، والعساكر كانوا ثابتين فى محلاتهم ، وأما اليوم الثانى بعد الضرب على الاسكندرية وعدم قبول ما ارسل به الى الاميرال الانجليزى ووجود جملة مراكب توجهت الى جهة برج السلسلة بقصد الضرب على جهة باب شرقى ، وبعد ضرب عدة طلقات على البلد ، خرج العساكر منهزمين ، وبحضورنا من الرمل كما تقدم وجدنا الحالة كما اوضحنا عنها . هذه هى الحقيقة .

س : العساكر خرجوا اذن من تلقاء انفسهم من غير اوامر منكم .. !! ..

ج : نعم لأن المنهزم لا يحتاج لاستئذان . وقد قلت انه لم يمكن جمعهم الا بعد اربعة أيام .

س : فى وقت وجودك فى باب شرقى ومنعك العساكر من الخروج ألم تر معهم منهوبات ، والم يبلغك انهم كسروا الدكاكين ونهبوا البلد ؟

ج : ان المدة التى وجدت فيها فى باب شرقى كانت تزيد عن نصف ساعة وكنت مشغولا بجمع العساكر ومنعهم من الخروج ، وفى اثناء ذلك شاهدت كثيرا من العربان والأهالى خارجين من باب شرقى حاملين امتعتهم ويظهر ان هذه الأمتعة ماخوذة من الدكاكين ، ووجدت مع بعض من اسافل ٦ جى آلاى بيادة بعض أقمشة عند حضورهم الى باب شرقى ، فصار استحضار حكمدار الآلاى سليمان بك سامى وامرته بجمع الأقمشة الموجودة مع بعض عساكر آلايه وحفظها بقصد ايصالها الى المحافظة ، وحيث انه لم يمكن منع العساكر من الخروج ، لم ادر ماذا صار فى تلك الأقمشة .

س : الم يبلغك فى ذلك الوقت انه جارى حرق الاسكندرية بمعرفة العساكر ؟

ج : بلغنى ان سليمان بك سامى حكمدار ٦ جى آلاى بعساكره جهة المنشية عازم على حرق البلد ، فارسلت اليه بوجوب حضوره مع العساكر ، وسالته عن ذلك فكذب ما قيل .

س : من الذى أرسلته اليه ؟

ج : لم أكن متذكرا .

س : فى أى ساعة بلغك ان سليمان سامى عازم على حرق البلد وفى اية ساعة أرسلت اليه طلب الحضور ؟

ج : فى وقت وصولى من الرمل الى باب شرقى .

س : ممن بلغك ؟

ج : لم آكن متذكرا .

س : لما حضر بطرفك هل حضر بالآلاى أم بمفرده ؟

ج : حضر ومعه بعض العساكر .

س : فى اى ساعة حضر ؟

ج : الارسال اليه وحضوره استغرق نصف ساعة فتكون طبعا الساعة ١١٠ فى ذلك الوقت .

س : ماذا اجريتم معه لما حضر ؟

ج : سالته عما نسب اليه من عزمه على حرق الاسكندرية فكذب ذلك كلية ، وقال

. انه كان موجودا مع العساكر لمنع خروج بحرية الانجليز الى البر من جهة الترسانة ولكن بعض العساكر الذين كانوا داخل البلد من الآلاى المذكور، كان معهم بعض اقمشة كما تقدم .

س : من كان حاضرا فى وقت الاستفهام من سليمان سامى عن عزمه على حرق البلد وجوابه اليك بالانكار والتكذيب ؟؟ ..

ج : كان حضوره وانا واقف فى وسط العساكر مشتغلا بجمعهم وسالته امامهم .

س : القصد الافادة منكم صراحة عن اسماء الضباط الذين كانوا حاضرين فى وقت الاستفهام من سليمان سامى عن مسالة حرق الاسكندرية ؟

ج : لم اتذكر احدا ممن كانوا موجودين من الضباط ذلك الوقت .

س : بماذا اشتغلت فى الساعة ١١ لغاية الغروب من ذلك اليوم ؟ .

ج : فى اثناء تجمع العساكر تجمع منهم نحو الألف نفس تقريبا من ٤ جى آلاى حكمدارية عيد بك محمد و ٦ جى آلاى حكمدارية سليمان بك سامى ، وكانت قد حضرت المراكب جهة برج السلسلة التى يمكنها من هذا المكان الضرب على قشلاق باب شرقى باكمله ، ويمكنها قطع خط الرجعة ايضا . وحيث انه لم يمكن توقيت حركة خروج العساكر المنهزمين توجهت خلفهم كى اصل الى مقدمتهم واتخذ لهم موقفا مناسبا لجمعهم فيه وأسرعت فى السير حتى وصلت الى كوبرى حجر النواتية الكائن على المحمودية ، وكان وصولى الى هناك نصف الليل تقريبا .

س : هل بقى معك سليمان سامى مع عساكره بعد حصول المكالمة بينك وبينه فى شان حرق البلد فى الساعة ١١ ولازمك حتى حجر النواتية أم رجع الى البلد ؟

ج : بعد ان علم عدم امكان توقيف حركة العساكر ، وكان من الضرورى جمع العساكر فى محل يامنون فيه ، خرجت بمفردى مسرعا لأتخذ لهم محلا مناسبا كما ذكرت قبلا ، والعساكر الذين امكن تجمعهم خرجوا مع ضباطهم وسليمان بك سامى حضر الى حجر النواتية بمن معه من العساكر فى الساعة السابعة ليلا تقريبا .

س : هل سليمان سامى هو الذى تاخر بآلايه ولم يحضر الى حجر النواتيه بعساكره الا فى الساعة السابعة او كافة عساكر الآلايات ايضا تاخر حضورهم لتلك الجهة الى ذلك الوقت ؟

ج : العساكر الذين أمكن تجمعهم فى باب شرقى حضروا مع ضباطهم فى الوقت الذى حضر فيه سليمان بك سامى وما ذلك الا لكثرة ازدحام الطريق بالأهالى والعساكر وصعوبة المرور .

س : ألم يبلغك ان سليمان سامى بعساكره حرقوا الاسكندرية ؟

ج : سبق الاجابة عن ذلك .

س : اجابتكم السابقة كانت عن ابلاغكم عزم سليمان سامى على حرق البلد ، والآن هذا السؤال هو لمعرفة ما اذا كان بلغك ان سليمان سامى وعساكره حرقوا البلد بالفعل أم لا ؟

ج : لم يبلغنى ان سليمان سامى هو الحارق للاسكندرية حقيقة .

س : حرق الاسكندرية لا ينكر فمن حرقها ؟ .

ج : محافظ البلد وضبطيتها يعلمان حقيقة الحرق وانى كنت اظن ان حرقها ناشىء عن مقذوفات المراكب كما حصل بسراى راس التين وغير ذلك لم يبلغنى شىء .

س : قيل فى جوابك انك تظن ، والآن فمن هو الذى حرق البلد على حسب ظنك ؟
ج : كنت أظن ولا ازال اظن ذلك حيث انى لا اعلم الحقيقة لانى ما كنت بداخل البلد .

س : لما كنت فى باب شرقى هل كان محمود سامى هناك أم لا وان كان هناك ، فهل حضوره كان بناء على طلبكم أم من تلقاء نفسه وماذا فعل . وألم يخبرك بشىء من جهة الحريق ؟ ..

ج : وقت حضورى من الرمل وجدت محمود سامى باشا وسالته عن اسباب حضوره ، فقال حضرت حين بلغنى مسالة الضرب على الاسكندرية لانظر الحالة ، فتركته يجمع العساكر ، ولم آكن متذكرا انه قال لى شيئا عن مسالة الحريق .

س : ألم يقض محمود سامى معكم ليلة الأربعاء فى غرفة سليمان سامى ؟

ج : لم انظره فى تلك الليلة .

س : ولا محمود فهمى ولا عمر رحمى ولا سليمان سامى ؟

ج : تقدم انى ذكرت انه لم يبت معى فى تلك الليلة الا طلبة باشا .

س : قلت فى احد أجوبتك السابقة انك قضيت ليلة الأربعاء فى غرفة اميرلاى الآلاى المقيم بباب شرقى وانك لم تكن متذكرا ان كانت الغرفة المذكورة هى غرفة سليمان سامى او غرفة عيد بك فمن حيث انك قضيت الليلة فى غرفة احدهما طبعا صاحب الغرفة نام معكم فيها فايهما كان ؟

ج : انه لا يكون فى باب شرقى على العموم غرفة مختصة لاقامة حكمدارية آلاى الا الغرفة المذكورة لأن أصل المحل مخصوص لآلاى واحد وكان موجود فيه فى هذا الوقت آلايان بياده ولذلك لم أعلم صاحب الغرفة من منهما ، وقلت انه لم يكن معى خلاف طلبة باشا . وأما الأميرالايات وجميع الضباط والعساكر فكانوا واقفين تحت السلاح على شاطىء البحر فى النقط التى كانت معينة لهم .

س : بعد انسحابكم بالعساكر وتوجهكم لجهة كنج عثمان فى اواخر شعبان صدر لكم ارادة سنية ها هى صورتها منسوخة بهذه « وتلى على أحمد عرابى صورة الأمر الصـــادر الى احمد عرابى من الخديـوى توفيق للكف عن العمليـات العسكرية وجمع العساكر وتسليم المدينة »

ج : وصل الينا هذا الأمر ، اما تاريخ الوصول فلم اكن متذكرا .

س : لماذا لم تنقادوا لأمر الخديويـة الصـادر لكم بالصـورة المتقدمة وتوجهتم للأعتاب السنية بناء عليه كباقى النظار ؟

ج : ان الحرب التى حصلت لم يسبق لها مثيل ، اذ هى خارجة عن حد القياس ، حيث أن الحرب المذكورة ما صار اجراؤها الا بمقتضى قرار من مجلس مؤلف من النظار والذوات المختارين تحت رئاسة الحضرة الخديوية وبحضور اعضاء الوفد العثمانى . فكان اجراؤها على مقتضى الحق والقانون . ثم بعد خروج العساكر من الأسكندرية التى تركها أهلها والعساكر . فلما بلغنا ذلك الأمر تحقق لنا ان انتقال جنابه العالى الى الأسكندرية وخاصة بعد توجه جناب الخديوى من سراى الرمل الى داخل الأسكندرية التى كما قلت تركها اهلها والعســاكر فلما بلغنا ذلك الأمر تحقق لنا أن انتقال جنابـه العـالى الى

الاسكندرية وخاصة بعد توجه جناب الخديوى من سراى الرمل الى داخل الاسكندرية التى كما قلت تركها اهلها والعساكر ٠مع حصول المناوشات العربية بين مقدمات العساكر المصرية والعساكر الانجليزية ، اما ان يكون لأخذ جنابه العالى اسيرا ، واما لانحيازه الى الطرف المحارب لبلاده ٠ فمن اجل ذلك كتبنا لوكيل الجهادية يعقوب باشا سامى بما حصل للمشاورة مع رجال الحكومة فى هذا الأمر الذى لم يسبق له مثيل ٠٠ وبناء على ذلك صار عقد اجتماع عام من وكلاء الدواين والمديرين والأمراء والعلماء وشيخ الاسلام والقاضى السيد السادات والسيد البكرى واعيان التجار والعمد وغير هؤلاء ، وتشاوروا فيما بينهم فى هذا الأمر الذى دهم البلاد واستقر رايهم جميعا على اعطاء قرار بعدم سماع أوامر الحضرة الخديوية وتوقيفها عن الأعمال ، حيث أنه توجه للطرف المحارب للبلاد واعترضوا على ذلك تلغرافيا للحضرةالسلطانية ببيان أسماء الشاهدين لذلك المجمع العام ٠ ومع ذلك لأجل الاحتياط والوقوف على الحقيقة ارسلت للحضرة الخديوية تلغرافيا نطلب فيه صورة الشروط المنعقد عليها الصلح حتى نتمكن من الحضور لديه فلم يرد لى جواب بعدها ٠

س : بعد صدور الارادة السنية المنسوخة صورتها بهذا ، وتليت عليكم ، حررتم تلغرافا من طرفكم للمديريات راسا باستمرار التجهيزات وجمع العساكر والمداومة على المحاربة وعدم سماع اوامر تصدر من خلافكم ٠ وحررتم أيضا لوكيل الجهادية بهذا المضمون ولم يذكر له شىء فيما كتبتوه عن جمع من اوضحتم عنهم لأخذ قرار منهم كما تدعون ، فيعلم من ذلك عدم التفاتكم لأوامر الخديوى والاصرار على جمع العساكر والمحاربة قبل صدور قرار ممن ذكرتم عنهم ٠

ج : ـ لقد قلت اولا أن هذه الحرب جرت على غير مثال ، وانه بعد خروجهم اقصد العساكر من الأسكندرية وخروج اهلها منها توجه الخديوى الى الاسكندرية التى تبواها الجيش المحارب للبلاد خلافا للقاعدة القانونية والشريعة الاسلامية ، اذ انه كان الذى يلزم حضور جنابه الى مصر عاصمة البلاد وهناك تجيش الجيوش للحرب او المخابرة فى الصلح ٠ ومع ذلك الأمر الصادر فى هذه الحالة ـ اى الانحياز الى العدو ـ لا يمكن لأى رئيس جيش العمل به بعد تحقيقه ، فربما يكون مرسلا من طرف العدو المحارب عن

لسانه ، او يكون مقهورا عليه ، اذ الحرب خدعه كما هو معلوم • ومن اجل ذلك ارسلت لجنابه طالبا ارسال صورة الصلح حتى يمكننى التوجه الى الاسكندرية ، وقد كتبت للمديريات المذكورة بسرعة ارسال أنفار من الأهالى لعمل الاستحكامات واستمرار التجهيزات الحربية ، وفى يوم ورود الأمر المذكور كانت المناوشة حاصلة بين مقدمات الجيش الى الغروب ، فلو كان هناك صلح حقيقة لما كانت تحصل مناوشات بين المقدمتين فأى رئيس من اية ديانة كانت وفى اى بلاد كان مترئسا على جيش مدافع عن بلاده لا يمكنه ان يجرى خلافا ما اجريته فى حال وجود حاكم البلاد بطرف الجيش المحارب لها •

س : ما هى المناوشة •• اوضح لنا معناها ، هل كان حصل ضرب نار من مقدمات الجيش او كيف ؟

ج : نعم كانت مناوشات حصلت بضرب نار جهة كوبرى حجر النواتيه الكائن على المحمودية •

س : كان ضرب النار من طرفكم أم من طرف الانجليز ؟

ج : من الطرفين

س : لماذا لم تنقادوا للارادة السنيه السابق نسخ صورتها بهذا وتلاوتها عليكم ، وداومتم على المحاربة ، صار عزلكم من طرف الحضرة الخديوية ، وجرى اعلانكم بذلك ، فلماذا لم تمتثلوا لهذا الأمر أيضا • ومنعتم اهالى الأسكندرية الذين كانوا حضروا منها الى جملة جهات من العودة الى وطنهم ؟

ج : تقدم انى قلت بجوابى انى اعرضت للخديوى بطلب صورة من المصالحة للوقوف على الحقيقة ومع كنت اجاب • وهذا لا يعد عدم امتثال بل بحث وراء الحقيقة ، ولما ورد امر العزل تذكرت انه من قبيل ذاك الأمر الأول حيث ان الخديوى موجود بطرف الجيش المحارب لنا ولم اقف على حقيقة كما تقدم الذكر ، فارسلته الى وكيل الجهادية للنظر فيه بالمجلس وافادتنا بما يستقر عليه الرأى • وانه لم يحصل ورود احد من اهل الأسكندرية عائدا اليها حتى يصير منعه ، بل الكل كان مهاجرا الى بلاد الأرياف مع غاية الازدحام •

س : ــ التلغرافات التى حررت الى وكيل الجهادية بمنع سفر المهاجرين ألم تكن

انت الذى اصدرتها ؟ وقطارات السكة الحديدية التى قامت من مصر بالمهاجرين الى الأسكندرية وانت ارجعتهم على رؤوس الاشهاد الم تكن انت الذى اعدتها من كفر الدوار ومن طنطا • فافد عن ذلك ؟

ج : أريد الاطلاع على صورة المكاتبة الصادرة منى بذلك وفى اى تاريخ للتذكر بالحقيقة •

س : – بعد صدور أمر الخديوى وأمر سعادة رئيس مجلس النظار بارجاع اهالى الأسكندرية الذين هاجروا قد صار نزولهم بعربات السكة الحديديه وقامت بهم قطارات متعددة وقد ارجعتم بعضهم من كفر الدوار ، والبعض من طنطا ، وتوقف قيام وابورات لهم بعد ذلك من محطة مصر • ومن التلغرافات التى تليت عليكم الآن وصورتها محررة بهذا متضح انكم أنتم الآمرون بمنع عودة المهاجرين لأوطانهم فافدنا عن سبب اجراء ذلك وعدم اتباع ما صدر فيما ذكر من الحضرة ومن رئيس مجلس النظار

(« صوره تلغراف من يعقوب سامى الى عرابى فى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٢ » « يوم تاريخه صدرت لنا ارادة سنيه تلغرافيا منبئة عن تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين منها اليها ثانيا كما ورد لنا تلغراف من سعادة رئيس مجلس النظار عن تحسين الحالة ايضا وعودة المهاجرين الى اسكندرية ولو جبرا ، وصدر بذلك تلغراف من مأمور الضبطية أيضا وبناء عليه كتب بالاجراء . فالآن وردت لنا افادة من مأمور ادارة السكة الحديد بما يفيد انه ورد له تلغراف من مأمور ادارة الجيش بكفر الدوار بأن سعادتكم ما أمرتم بذلك ، ومرغوب الافادة ممن هى هذه الأوامر ؟ والتنبيه على المحطات بعدم قيام القطارات ، كما كان جاريا وعدم التعرض لأشغال مماثلة لهذه الحالة ، وحيث لم يعلم عندنا من هو مأمور ادارة الجيش ، فقد اوضحنا الأوامر الداعية لاعادة المهاجرين ثانيا وليس معلوم لدينا الآن تتبع أى أمر • فنؤمل النظر فيما توضح وافادتنا سريعا عما يصير اجراؤه واتباعه فى هذا الخصوص »)

(« صورة تلغراف من مديرية البحيرة الى عرابى بكفر الدوار » « يوم تاريخه حضر لطرفنا باشجاويش مراسلة من طرف سعادتكم واخبرنا رجوع أحد المهاجرين الى اسكندرية والمديرية ما عندها علم بهذا الأمر • هل الأمر صادر

لمحطة السكة الحديد ، ولهذا قد صار توقيف سير الوابورات المتوجهه بالمهاجرين الى اسكندرية تحت صدور ما ترونه سعادتكم »)

ج : انى لم آمر بارجاعهم اصلا وان الجاويش المذكور بتلغراف البحيره لارجاع المهاجرين لم يرسل من طرفى أصلا وما كان هناك اقتضاء لارسال جاويش مخصوص بدون مكاتبه ، اذ كان من الممكن مخابرة المديرية بواسطة التلغراف. ومن التلغراف الذى أرسل الى وكيل الجهادية ردا للتلغراف المحرر منه انينا لابد تعلم الحقيقة ..

والى هنا انفضت الجلسة وعاد عرابى مرة ثانية فى ٢٩ ذى العقده سنة ١٢٩٩ ان أن تشرق شمس اليوم التالى لاستكمال استجواب الزعيم البطل . الذى ادخل السجن لجريمة الدفاع عن حرية وكرامة الوطن العزيز وأبناء هذه الأرض الكريمة الطاهرة . وما اغرب أن يتصف الصمود بالجحود ، وما أغرب أن يتصف الدفاع بالجريمة والخروج عن الطاعة والولاء لمن أرادوا لمصر الضياع . فاعتبروا الصامد المدافع . مجرما . واعتبروا الخائن الجبان صديقا . فأصبحت مصر بذلك محور ارتكاز لأبشع الجرائم والآثام .. وفى اليوم الموافق الجمعة غاية العقده سنة ١٢٩٩ استدعى أحمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه أوقل لاتمام المؤامرة التى نسجت خيوطها أيده ملطخة بدماء الحرية ضد رجل الحرية ورافع رايتها ، وحضر الزعيم الصادق الحر . ووجهت اليه الأسئلة الآتية فأجاب عنها : ــ

س : قلت بالأمس أنك لم تنبه باعادة المهاجرين وعدم ارسالهم الى الأسكندرية ، ولم ترسل جاويشا الى مدير البحيرة لاخباره بذلك ، مع أنه يوجد تلغراف (جفره) مختوم منكم لوكيلكم (الجهادية) وجرى ترجمته ، وها هو الأصل والترجمة اطلع عليهما وأفد عما اذا كان صدر هذا منكم أم لا ؟

(« قد علم تلغراف سعادتكم الذى فيه أنه صدرت ارادة سنية تلغرافية لكم مبينه فيها تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين منها اليها ثانيا ومثله أيضا من سعادة رئيس مجلس النظار ومزيد فيه بأن يصير اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانية ولو جبرا وحيث الأمر كما ذكر فاخبر سعادتكم أن اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا يترتب عليها ضرر عظيم اليهم لأنها مشغولة ٦٧ ٤٧ ٩١ ٦٥ ٣٧ ٨٧ ٦٥ ٣٩ ٦٥ ٢٥ ٣٧ ٢٩ ٨٩ وجارين ٦٥ ٣٩ ٣١ ٦٩ ٣٧ بمن يدخل فيها وها هو أعلنا سعادتكم بالحقيقة ٢٧ ٣٩ ٣٧ ٥٥ ٣٩ ٦٥

٦٩ ٣١ ٨١ ٢٧ ٦٥ ٦٥ الا على ٢١ ٦٥ ٥٥ ٩٧ ٨١ ٨٧ ٢١ ٢٥ ٦٥ ٣٩ ٣٧ ٢١ ٣٩ ٣٧ ٣٩ ٢١ ومأمور ادارة الجيش بكفر الدوار الذى تتفهمون عنه هو حضرة خليل بك كامل .

فى غاية شعبان سنة ١٢٩٩ الساعة ٥ والدقيقة ١٠ نمرة مرور ٤٢ (ناظر الجهادية أحمد عرابى)

« صورة حل الشفره المذكورة »

« قد علم تلغراف سعادتكم الذى فيه أنه صدرت ارادة سنية تلغرافية لكم منبئة عن تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين اليها ثانيا ومثله أيضا من سعادة رئيس مجلس النظار ومزيد فيه بأن يصير اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا يترتب عليها ضرر عظيم اليهم لأنها مشغولة بعساكر الانجليز وجارين الفتك بمن يدخل فيها وها هو قد اعلنا سعادتكم بالحقيقة ولكن لا تعتمدوا الا على ما يصدر منا لكم للبعد عن ضرر الأهالى ومأمور ادارة الجيش الذى تستفهمون عنه هو خليل بك كامل .

وعليه اشارة بامضاء أحمد منيب يفيد بأن هذا التلغراف صار حله من مفتاح حضرة عمر بك رحمى .)

ج : ـ نعم صدر منى هذا التلغراف بعد الاستعلام من وكيل الجهادية عن عدم ارسال المهاجرين .

س : ـ صدر لكم تلغراف من دولتلو سعيد باشا رئيس مجلس النظار وخارجية الآستانه المنسوخه صورته وتليت عليكم صورته بعرض محرراتكم على الأعتاب السنية الشاهانيه وصدر الأمر الهمايونى بتفهيمكم ما هو آت وهو : ـ « ان سوء فعلكم قد اوجب هيجان الأمة المصرية وأوجب تكدير خواطر كافة دول أوربا وخصوصا دولتنا العليه واشغال كافة الوزراء والسياسيين ، وأيته فعل حسن تتبادل به الأفكار لثروة مصر ورفاهيتها ، لكن من سوء الحظ سبب نتيجة الدمار والخراب لغايتكم الشخصية ، هذا وحيث انكم معزولين من تاريخ ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ بامر الحضرة الخديوية الفخيمه ، وقد وقع لدينا هذا العزل موقع الاستحسان والقبول فمخالفتكم حينئذ لهذا الأمر وباقى ما يصدر لكم من الأوامر الخديوية ، واقدامكم على سوء الفعل الموجب لدمار البلاد وتلف العباد ، مما قيد بالأفكار السامية عصيانكم

وخروجكم عن طاعة الله ورسوله وخليفته فى ارضه . ومن كان هذا الأمر فعله ، فسيرى هو ومن تبعه سوء عاقبته وغاية منقلبة » .

فهل صدر لكم هذا ووصلكم ؟؟ ..

ج : لم يصلنى ولم ار هذا التلغراف الا مختلقا لأنه لم يكن بينى وبين الباشا المشار اليه مكاتبة أصلا .

س : ـ هل لم يرفع منك شيء لرئيس النظار وناظر خارجية الآستانة المشار اليه وكم دفعة رفعتم اليه ؟

ج : ـ رفعت للمابين الهمايونى ليس للصدر الأعظم .

س : مرفوعاتكم كانت باسم من فى المابين الهمايونى ؟

ج : ان مرفوعاتى كانت الى بسيم بك من قرناء الحضرة السلطانية .

س : ـ كم دفعة اعرضت اليه ؟

ج : اتذكر انها مرة واحدة

س : ـ باى مضمون ؟

ج : ـ بمضمون ما حصل باسكندرية من الحرب وخروج العساكر وتجمعها بجهة كفر الدوار ، وتوجه الخديوى الى الأسكندرية عقيب اخلائها من العساكر .

س : ـ الم تطلب فيما اعرضت عزل الجناب الخديوى ؟

ج : ـ لا ..

س : ـ تذكر جيدا

ج : ـ لست متذكرا

س : قلت ان الذى قدمته للحضرة السلطانية هو دفعة واحدة ، والحال أنه وجد الآن ثلاثة تلغرافات محررة منكم الى بسيم بك من قرناء الحضرة السلطانية خلاف ما يوجد من التلغرافات المماثلة لذلك بعد الثلاثة تلغرافات المذكورة ، متضمنة القدح والذم فى حق الحضرة الخديوية ، وتتهمه بأمور غير حقيقية وتتهم عساكر دولة الانجليز أيضا بما لا يقع منهم مثل القتل والفتك بالأهالى وما أشبه من هذه الأقوال ، كما هى الصورة المحررة ادناه التى تليت عليك وصار اطلاعك عليها :

(« صورة تلغراف بتاريخ غرة رمضان سنة ١٢٩٩ »

« فى يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ ابتدأ الانجليز بالضرب بمدافع الدونمه على الاسكندرية واستحكاماتها والضرب تسبب عن طلبات من الآميرال الانجليزى . وبلغت الى الحضرة الخديوية وعرضتها على مجلس النظار الذى عقد تحت رئاسة الجناب الخديوى بحضور دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية وكثير من ذوات البلاد . ولما تحقق عند جميعهم ان الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن الدولة العلية قر رأيهم على معارضة طلب الأميرال ، ولو ادى ذلك الى الحرب ، وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور بلزوم المدافعة ، والا تطلق المدافع من جهاتنا الا بعد اطلاق ٥ مدافع من السفن الانجليزية .

» وحين ابتدات السفن بالضرب على مدينة الأسكندرية لم تقابلها الطوابى الا بعد ٢٠ طلقه حالة كونها على غير استعداد لاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد . فهذه الأسباب تعتبر هذه المحاربة واجبة بوجه الحق والشرع حيث أنها صادرة من الانجليز ظلما وعدوانا ، وان العساكر المصرية الشاهانية ثبتت غاية الثبات فى مراكزها وبذلت غاية جهدها مدة الحرب التى استمرت نحو عشر ساعات ونصف الى ان تخربت الاستحكامات ومدينة الاسكندرية هدما وحرقا من مقذوفات السفن ذات المواد الالتهابية . ثم تأخر الجيش خارج المدينة فى موقع يصلح للقتال برا ، وفى حال القيام من المدينة دخل اليها الخديوى بحرمه وحاشيته وبرفقته درويش باشا وانزل حرمه فى البحر واظهر انحيازه للانجليز وترتب الحرس عليه وعلى القره قولات من عساكر الانجليز ، واتخذ المصريين والجيش الشاهانى اعداء له وارسل رسله الى المهاجرين ينادونهم بالصلح ويحثونهم على العودة الى المدينة وبعد ان دخل بعضهم صار الانجليز يقتلون ويبطشون بهم وبالعساكر المصرية الشاهاينة الذين كانوا خفراء عليه ثم صدرت أوامره الى المديريات بحصول الصلح وترك جمع العساكر ، والتجهيزات الحربية فكان امره كأمر باى تونس سواء بسواء وقد تحقق ماكنا عرضناه على الحضرة الفخيمة السلطانية ، فنرجو عرض ذلك على جلالة أمير المؤمنين نصره الله »)

(« صورة تلغراف بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٢٩٩ »

« اشكوبثى وحزنى الى الله وارفع لسدة امير المؤمنين ما حل ببلادنا من تواطؤ الخديوى مع الانجليز وميل دولتلو درويش باشــا كل الميل الى تعضيد

الخديوى حتى بعد تحقق انحيازه الى الانجليز ومرافقته له حين توجه اليهم بعد خلو مدينة الأسكندرية من العساكر مع انه كان من الواجب على دولته ذمة وديانة ان ينصح للخديوى ان يتوجه معه الى العاصمة مقر الحكومة ليكون خلف الجيش لا ان يتركا جيش الاسلام الشاهانى وينحازا الى جيش العدو المحارب للبلاد ، فمما ذكر يتضح جليا أن العدوان الذى حصل من الانجليز ما كان الا باتحادهما معهم ، ولذلك صدر اعلان من الأميرال الانجليزى مقتضاه ان الخديوى فوض له دارة الأسكندرية مؤقتا . فنؤمل عرض ذلك على عرش الحضرة الملوكانية أيدها الله »)

(« صورة تلغراف تاريخه ٨ رمضان سنة ١٢٩٩ »

« أعرض للسدة العلية السلطانية أن الشعب المصرى الشاهانى لما رأى اتحاد توفيق باشا مع دولة الانجليز على وقوع التفريق بيننا وبين متبوعنا الأعظم مولانا أمير المؤمنين لشق عصا الاسلام معاذ الله ، وتحقق له ذلك من الحرب التى أثارتها علينا الانجليز بغتة ، اجتمعت كلمة أهل البلاد على حفظها والدفاع عنها وتسابقوا للانتظام فى سلك الجهادية تطوعا حتى انتظم عندنا جيش عظيم جرار ، وكذلك تجمع من قبائل العربان كل شاكى السلاح . وقد رتبنا العساكر والعربان فى النقط المهمة واصبحت قوتنا البرية عظيمه مع اعداد الذخيرة والمؤونه الكافية لهذا الجيش الشاهانى وفى كل وقت تنطق الألسنة العربية بالدعاء لأمير المؤمنين وتأييد شوكته والشعب بأجمعه واثق بأن العظمة الشاهانيه تحل مشاكلها التى جلبها عليها توفيق باشا . أما المدافعة عن البلاد واهلها والحقوق السلطانية فهى من الواجب علينا ، وفى كل حال الأمر لمن له الأمر ، افندم »)

فهل يجوز لك الدخول فى الأمور السياسية والعرض للحضرة السلطانية باشياء مماثلة لذلك ؟

ج : من المعلوم أن الانســـان لا يمكنه أن يحصى جميع اعماله وذلك قلت أنى لست متذكرا ارسال تلغرافات خلاف تلغراف واحد الى المابين الهمايونى . وبرؤية التلغرافين الآخرين وجدت انهما مرسلان من طرفى بواقعة الحال : احدهما بوقت حضور العساكر الى كفر الدوار ، والآخر بعد تقرير المجلس العام بمصر لزوم توقيف الخديوى وعدم سماع ما يصدر منه من الأوامر

لمناسبة انحيازه للجيش المحارب للبلاد . وما كان عرض ذلك للمابين الهمايونى الا لكون البلاد تابعة للسلطنة العثمانية واصبح حاكمها مع الجيش المحارب لها .

س : ــ من ضمن التلغرافات الجفرية التى حررتموها للسيد قنديل مأمور ضبطية الأسكندرية تلغراف قبل المقتله التى جرت بالأسكندرية فى يوم ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ ببضعة أيام . تقول له فيه أن يتحد مع سليمان سامى ومصطفى بك عبد الرحيم فى اجراء ما نبهتم عليه به ، فهل تتذكر هذا التلغراف ، وما هى التنبيهات التى كنت اجريت التنبيه بها على مامور الضبطية المذكور ؟

ج : ــ لست متذكرا ذلك ..

س : ــ ألم يبلغك أن عبد الله نديم كان يتوجه الى الأسكندرية قبل الواقعة المذكورة ويجتمع مع الشبان ويلقى عليهم خطبا مهيجه ، حتى ان محافظ الأسكندرية أراد أن يخرجه من البلد ويمنعه من ذلك ولانتساب نديم ومامور الضبطية اليكم لم يحصل منعه ولا اخراجه ؟ .

ج : ــ فضلا عن عدم ابلاغى ذلك فان عبد الله نديم المقول منه ليس منسوبا الى ولا هو تحت ادارتى ولا أنا مسئول عنه ، كما ان مأمور الضبطية بالاسكندرية كذلك .

س : ــ معلوم للعموم أن عبد الله نديم كان محرر جرنال الطائف الذى جميع عباراته منذ ظهوره مشتمله على تهييج الأفكار ومحتويه على أكاذيب ، وصدور الجرنال المذكور كان فى معسكر كنج عثمان الذى كان مقيما فيه المحرر المذكور معكم فى مدة العصيان ، ولابد أن محرره فى تلك الجريدة كان يجرى اطلاعك عليه يوميا ، فان كان الشخص المذكور ليس منسوبا ولا منتميا لك . فكيف يمكنه الاقامة معك بالمعسكر والتجاسر على تحرير الجريدة المذكورة التى فضلا عما كانت تحويه من التهييج والأكاذيب ، كما ذكر ، فانها مشحونه أيضا بالطعن فى حق الذات الخديوية ودولة الانجليز الفخيمة وما يماثل ذلك ؟؟ ..

ج : ان جرنال الطائف جار طبعه ونشره فى الحكومة من مدة زمانية ولم يصر قفله فى تلك المدة . اما عن اقامة محرره بالجيش أثناء المحاربة ، فليس لى حق فى منعه ، اذ انه لو اتى اى محرر لأى جرنال من الجرانيل المحلية او

الأجنبية ، فلاحق لى فى منعه أيضا كما جرت بذلك عادة المحاربات . وأما اطلاعى على ما هو محرر بالجرنال المذكور يوميا فكثرة اشغالى الدفاعية تمنعنى من الاطلاع على الجرانيل ، بل كانت تمنعنى عما هو أهم من ذلك ..

س : ـ قبولك لهذا الشخص واقامته معك بالمعسكر يستدل منه أن ما توقع من المذكور من تهييج الأفكار ضد الأوربيين بالاسكندرية كما هو معلوم للجميع ونشأ عن ذلك مقتلة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ كان بتعليماتك للمذكور واتحادك معه ، ولولا ذلك ما كان ينتمى اليكم وتحميه بالاقامة بطرفك حتى يتجاسر على تحرير جريدة مماثلة لتلك ، والآن لما علم بالقبض عليك وسجنك قد اختفى عن البصر بالكلية ، وهذا أعظم دليل على انتمائه اليك ؟ .

ج : ـ توضح بجوابى المتقدم بشأن المذكور ما فيه الكفاية ولا مناسبة لسؤالى عن أعمال شخص بمجرد وجوده بالجيش أثناء الحرب ..

س : ـ ألم يبلغك أيضــا توجه حسن موسى العقاد الى الأسكندرية قبل واقعة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ واشتراكه مع نديم فى تهييج الأفكار ؟

ج : ـ لم يبلغنى ذلك

س : ـ اما كان يتردد عليك حسن موسى العقاد بمنزلك وبالجمعيات التى كنت تجريها ؟ والم تتوجه الى منزله مرارا ؟

ج : ـ ان حضور المذكور الى منزلى لم يكن أكثر من غيره فانى فى اغلب أوقاتى ما كنت اتخلص من ازدحام الناس الوافدين الى منزلى . ولم يكن وفودهم بدعوة منى اليهم . وانى توجهت الى منزله فى مادبتين مع وجود كثير من الأعيان والأمراء والعلماء . وبعد تناول الطعام توجهت لأشغال كما جرت العادة .

س : ـ اذا كان حسن موسى العقاد المذكور ليس منسوبا لك أيضا مثل نديم ، فلماذا اختفى هو كذلك بعد ان صــار سجنك مادام أنه ليس من الجيش ولا كان موجودا فى المحاربة .

ج : ـ يؤخذ من هذا السؤال انى اسأل عن كل من غاب من الناس ولم يوجد ، مع انى لست بمأمور عليهم ولا مسئول عنهم .

س : هل كان بينك وبين عثمان باشا فوزى وكيل دائرة دولتلو زينب هانم ألفة وتودد ؟

ج : ـ ليس بينى وبينه معرفة ولا ألفه ولا اختلاط • ولكن اتذكر انه حضر مرة مع من حضر من الذوات مدة اقامة الجيش بكفر الدوار ، وبسؤالى عنه قيل انه وكيل دائرة زينب هانم •

س : ـ ألم يحضر لك من الآستانه صورة حليم باشا وعليه خطة فى ظهرها ؟

ج : ـ حضرت لى صورة مثل ذلك •

س : ـ لك بمفردك أو حضر لخلافك أيضا مثلها ؟

ج : ـ حضرت لى صورة كما قلت ولا اعلم ان كان حضر لخلافى مثلها أم لا •

س : ـ كيف كان حضورها ومن الذى أحضرها اليك ؟

ج : ـ لست متذكرا من أحضرها •

س : ألم ترد اليك مكاتبات أو مراسلات من حليم باشا سواء كان بواسطة حسن موسى العقاد او عثمان باشا أو خلافهما ؟

ج : ليس بينى وبينه مكاتبة ولا معرفة أبدا •

س : ان كان كذلك فكيف يرسل لك صورة من طرفه ؟

ج : جاءنى صور كثيرة من اناس لا اعرفهم ابدا ، ومن اوربيين فى بلادهم من غير سابق مكاتبة ولا معرفة معهم •

س : الم يبلغك ان كان جاريا تختيم عرضحال بواسطة حسن العقاد بطلب عزل الخديوى وتنصيب حليم باشا ؟

ج : لم يبلغنى ذلك •

س : لما كنت بكفر الدوار هل صدر منك تلغراف الى كل من راشد باشا قومندان خط الشرق ومحمود فهمى باشا رئيس اركان حرب بردم قنال السويس وسد الترعة الحلوه ؟ ••

ج : التلغرافات التى تداولت بينى وبين المسيو دىلسبس تعلن وتؤكد احترام قنال السويس مادام على الحياد • ولم تتخذ فيه اعمال حربية • فلغاية دخول

المراكب الحربية الانجليزية فى قنال السويس وحصول الضرب منها فى نفس الاسماعيلية على العساكر التى بجهة نفيشه كان احترام القنال مازال واقعا . وبعد ذلك حيث اتخذ القنال المذكور ميدانا للحرب ، لنا الحق فى كل ماامكن اجراؤه من الأعمال الحربية واذ ذاك تحرر لرئيس اركان حرب محمود فهمى باشا بتلك الجهة باتخاذ ما يمكن اجراؤه من التدابير الحربية وسد الترعة الحلوة ، وقد صار اعلان المسيو ديلسبس بأن الحالة الحربية أجبرتنا على ذلك لعدم احترام الانجليز لحياد القنال .

س : لم تجاوب بشيء عما امرت به فى خصوص ردم القنال !!..

ج : قد جاوبت بما لزم ولو امكن ردم القنال من اى جهة كانت لوقف حركة المراكب الحربية لكانت الحالة الحربية تقضى علينا بتعطيله مادام اتخذ ميدانا للحركات الحربية ولم تراع فيه حرية الحياد .

س : هل التلغراف المحرر صورتهادناه الذى تلى عليك وصار اطلاعك عليه عينا صدر منك لسعادة قومندان الخط الشرقى بالتل الكبير ، وهذه صورته : ــ « قد وصل لیدی تلغراف سعادتكم وعلم ما به من جهة الاقرار من طرفكم ومن طرف امراء الآلايات على حفظ مواقع نقطكم الأمامية بفرض أن قوة العدو جسيمة الى آخر ماذكر به ، وحيث أن ماقلتموه وقع عندى موقع القبول ، فنشكر لسعادتكم ولحضرات امراء الآلايات على ذلك ، وهكذا مامولى فى هممكم وما فعله الانجليز يبيح لنا سد الترعة الحلوة عن السويس ، واذا تهدد القنال زيادة على ذلك باعمال حربية داخله ابيح لنا ردمه وسده . لتعدى الانجليز على حياده فباتخاذ سعادتكم مع سعادة رئيس عموم اركان حرب التدابير اللازمة يجرى ما فيه صالحنا وبالله نستعين ونساله النصر على اعداء الدين بحرمة النبى الأمين فى ٤ شوال سنة ١٢٩٩ » احمد عرابى نمرة ٧٢٧ »

ج : نعم صدر منى هذا التلغراف

س : الم يكن بينك وبين أحد من الدولة العلية بالآستانه تعليمات او مراسلات خلاف التلغرافات التى سئلت عنها قبل هذا ؟

ج : لم يكن بينى وبين أحد من رجال الدولة العلية تعليمات ولامكاتبات خلاف التلغرافات السابقة ايضاحها .

س : الجمعية التى كان صار عقدها بمصر عقب عزلك كان تقرر فيها ارسال وفد لأجل كشف صحة الحال بالأسكندرية ، وهل كان الجناب الخديوى والنظار محجوزين بطرف الانجليز وليسوا احرارا فى افعالهم ، كما تدعون • فهل رجال هذا الوفد لم يرجعوا عليكم ثانيا واخبروكم ان الجناب الخديوى والنظار ليسوا محجوزين ، ولاهم تحت سلطتهم ، بل هم فى حريتهم ، واعطوكم نصائح بعدم اجراء ما ترونه من العصيان وعدم اســتماع أوامر الخديوى أو كيف ؟

ج : لم يحصل ذلك من أحد منهم ، وأن الوفد الذى أرسل الى الأسكندرية كان بقصد طلب النظار والحضرة الخديوية الى مصر اذا كانوا احرارا فى أعمالهم • وقبل ذلك كنت لا أقدم على عمل ما من غير راى ذلك المجلس المنعقد بمصر •

س : أى مجلس الذى تقول عنه وما اسم هذا المجلس ومن الذى أحدثه ؟

ج : هو مجلس ادارة البلاد الذى صار اجتماعه فى مصر للنظر فى احوالها وصار تشكيله عقب الحرب باتفاق وكلاء الدواوين ، وهناك مجلس آخر بالجهادية المعبر عنه بالمجلس العرفى •

س : بأمر من تشكل ؟؟ ••

ج : باتفاق وكلاء الدواوين وبعض الباشوات الموجودين بمصر وموافقتنا على ذلك •

س : فى أجوبتك السابقة تدعى أن أهالى البلاد توسطوا بك أنت وباقى الضباط أبناء جنســكم فى طلب تشكيل مجــلس النواب لينوب عن الأمة ومنحتكم الحضرة الخديوية والدولة العلية ذلك ، فان كان العصيان الذى ارتكبته انت وباقى الضباط ضد الحضرة الخديوية والدولة العلية فيه ادنى موافقة للأمة المصرية كما تدعون ، فلا أقل من أنك تستشير راى مجلس النواب بدل الارتكان على وكلاء الدواوين ، وكم شخص من الباشوات كما أوضحت الذين اغلبهم لما سئلوا الآن اجابوا ان قبولهم الدخول فى ذلك المجلس هو فقط من التهديدات التى كانت تحصل منكم وممن ارتكب جنحة العصــيان معكم من باقى الضباط ، فمن هنا يرى أن الأمة المصرية حاشا أن يكون لها مدخل فى هذا العصيان الواقع منكم أنتم ورؤساء بعض العســاكر ، وأن ما تحصلتم عليه من الذخائر والاستعدادات فى وقت العصيان • كان بواسطة

قوة الأســـلحة التى اعطتهـــا لكم الحكومة لحفظ امتها وشرفها ، وانتم استعملتموها فى هذا الأمر الشنيع الذى أدى الى الخراب وقتل النفوس بدون وجه حق ، فافد عن ذلك ؟

ج : ان المجلس الذى تشكل للنظر فى أحوال البـلاد كان يزيد عن الأربعمائة نفس كما قلت اولا ، منهم البرنسات اعضاء العائلة الخديوية وشيخ الاسلام والقاضى والمفتى ووكلاء الدواوين والمديرون وقضـاة الآقاليم واعيـان التجار وكثير من اعضاء مجلس النواب وغيرهم من اعيان عمد البلاد وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود ، وأنهم قرروا بلزوم اناطتى بالمدافعة عن البلاد حيث كنت موجودا صحبة الجيش فى كفر الدوار وجميع العســاكر كانت موزعه فى الثغور والمراكز الحربية ، وما كنت موجودا معهم فى المجلس ، فكيف يتأتى مع ذلك أن حضـــورهم كان بصورة تهديدية وكيف مع ذلك ينســب الينا رؤساء الجيش (العصيان) الذى تكرر لفظه بهذه المذاكرة ، مع انه لا توجد امة من الأمم متصفة بالعدل والانصاف وتنسب الينا هذا العصيان المقال عنه ، اذ ان الحرب كان افتتاحها بمقتضى قرار مجلس مشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية واقراره مع ذلك ، بل الحق ان الحرب كانت شرعية قانونية ، ثم بعد ذلك قمنا بالمدافعة عن البلاد بمقتضى ذلك القرار الذى لا يمكن القدح فيه بوجه من الوجوه فالأسلحة صار استعمالها لما وجدت من أجله وهو الذب عن البلاد وحمايتها ، فكانت مدافعة شرعية على مقتضى ما تقدم ذكره .

س : الم يبلغك البيان الصـــــادر من الحضرة السلطانية فى حقك بانك من العصاة بسبب ما فعلته ؟؟ ..

ج : لم يبلغنى !! ..

س : بعد هزيمتك بالتل الكبير ورجوعك الى المحروسة حررت عريضة الى الحضرة الخديوية وارسلتها مع رؤوف باشا وبطرس باشا وعلى الروبى بطلب العفو من لدن الحضرة الخديوية وانك مطيع ومنقاد لأوامرها العلية وبعد سفرهم ابتدات ثانيا باتخاذ خطوط نار بالعباسية وطلبت مرعشلى باشا وامرته بذلك، هل يصح انه بعد العرض بالطاعة يحصل العصيان ؟

ج : التنبيه على مرعشلى باشا باستكشاف خط تحفظى على مصر كان قبل تحرير

العريضة وتوجيه رؤوف باشا ومن معه . ولما رؤى عدم اللزوم صرف النظر وتحررت تلك العريضة .

س : لما سئلت عن سبب حصر سراى عابدين بالمعسكر فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ اوضحت فى أجوبتك السابقة بأن بعض أصحاب القضايا تبقى قضاياهم بالمجالس نحو العشرين سنة حتى يموت أصحابها كمدا ولا تنظر قضاياهم ولذلك أردتم تشكيل مجلس النواب لينوب فى رؤية حقوق الأمة كما هو جار بالبلاد المتمدنة . والحال من سياق التحقيقات الحاصلة الآن قد علم انه بعد واقعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ المذكورة توجهت انت وعلى فهمى وعبد العال حلمى وطلبة عصمت ومحمد عبيد وجانب من الضباط لمنزل قدرى باشا مذ كان ناظر الحقانية وطلبتم منه اطلاق عنانى بك من السجن الذى كان متوقعا عليه بأمر المجلس المختلط ، ولما لم يوافقكم قدرى هددتموه ولم يتخلص منكم الا بتوجيه لطرف رئيس النظار وقتها وانتم توجهتم فى اثره الى محمود سامى ناظر الجهادية وقتها وأخذتموه معكم وتوجهتم لطرف رئيس مجلس النظار لهذا الغرض ، فهل يقع ذلك من أحد يدعى انه يسعى فى نيل العباد حقوقها، ويريد التشبه بالبلاد المتمدنه .

ج : الحقيقة غير ذلك ، جرى سجنه فى الضبطية فى أيام العيد وكنا توجهنا مع من ذكروا للمعايدة على سعادة قدرى باشا كما جرت العادة فى أيام الأعياد، فذكرنا سعادته بمسألة العنانى بك وترجيناه فى اخلاء سبيله لأجل المعايدة مع اولاده وفيما بعد اذا كانت عليه قضية يحاكم بمقتضاها ، فجاوبنا سعادته بانه مسجون بالضبطية بأمر المجلس المختلط وسينظر فى امره ، ولم يحصل تهديدات ولايجوز أبدا اجراء تهديد لمثل هذا الفاضل هذا هو الحق .

س : اطلع على أصل الجواب المحرر صورته أدناه الواردة من سعادة قدرى باشا بانه توقع ما ذكره بالسؤال السابق وافد بما تقوله ..

« صورة الجواب الوارد من قدرى باشا المؤرخ فى ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ »

« الى سعادة رئيس القومسيون ..

« بناء على تذكرة سعادتكم الواردة يوم تاريخه المرغوب بها الاستفهام عما وقع من بعض ضباط العسكرية بشأن اطلاق مصطفى بك العنانى من السجن الذى كان مودعا فيه باذن المحكمة المختلطة بمصر فى مدة تقليدنا نظارة الحقانية ، افيد سعادتكم انه فى أول يوم عيد الأضحى الماضى حضر بمنزلنا وقت الظهر بعض ضباط الجهادية، وفى مقدمتهم عرابى وطلبه وعلى فهمى ومحمد عبيد وآخرون معهم لا اعرف اسماءهث

ثم بدأ عرابى وبعده طلبة ومحمد عبيد بالكلام قائلين أن العنانى مسجون بامر المحكمة المختلطة بغير جور ويرغبون اطلاق سراحه من السجن حتما فى هذا اليوم ، وانهم لايتوجهون الى منازلهم هم ومن معهم من الضباط مالم يحصل اطلاقه . وتلفظوا بألفاظ تهديدية فافهمناهم أن سجن المذكور لابد أن يكون بمقتضى قرار صادر من المحكمة المختلطة ، كما أن الافراج عنه لايكون الا بموجب قرار من المحكمة المختلطة ايضا فان المحاكم المختلطة لها قوانين وقواعد يجب مراعاتها ، ولايجوز لها بأى وجه كان . فلم يقتنعوا بذلك واصروا على طلبهم فاعلمتهم ثانيا أن تعرضهم لهذا الأمر مخالف للنظام العمومى فلم يلقوا سمعهم الى ما أبديته لهم ، بل خرجوا قائلين أنهم ذاهبون الى ناظر الجهادية محمود سامى ليتوجهوا معه الى منزل دولتلو رئيس مجلس النظار ويطلبوا منه أمرا بالافراج عن العنانى . وبعد خروجهم بادرت بالتوجه الى منزل دولتلو رئيس مجلس النظار واعلمته بما وقع من المذكورين . وفى الأثناء حضروا بمنزل دولته مع ناظر الجهادية وخاطبوا دولته فى اخراج العنانى المذكور من الحبس . هذا ما تذكرته الآن مما وقع من المذكورين فى ذلك ، وللمعلومية لزم الايضاح » .

ج : اطلعت على الجواب المذكور وعلمت مافيه من المبالغة التى لم تقع اصلا . واذا كان هذا الفاضل تكلم بما لم يقع منه فاظن ذلك لعدم تذكرة سعادته حيث قد مضت سنة تقريبا ولكبر سنه ايضا . والا لو كان متذكرا للحقيقة لما بالغ هذه المبالغة لأننا لم نذهب مع ناظر الجهادية الى رئيس مجلس النظار . ولأن العنانى بك لم يسجن بحكم من المحكمة المختلطة ، بل بأمر من الحكومة كما ذكر لسبب الوليمة التى أقامها فرحا وسرورا بصدور الأمر بافتتاح مجلس النواب ولو كان مسجونا بحكم من المحاكم المختلطة كما قيل لما امكن اخلاء سبيله وخروجه من السجن فى ذلك اليوم .

س : قد تعجب قناصل الدول من ادعائكم أنكم أردتم حصول الأمن والراحة اللذين تكفلت بهما لهم مع انه لم يمض على ذلك سوى ١٥ يوما حتى وقعت مقتلة الاسكندرية الشنيعة التى حصلت فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ حالة كونك كنت ناظر الجهادية واتضح من التحقيقات تداخل بعض عساكر المستحفظين فيها ، كما وأن عساكر الآلايات الذين كانوا بالاسكندرية لما دعوا من المحـــافظة للحضور لمنع تلك المقتلة لم يجيبوا طلب المحافظة بل تاخروا للغروب حتى تمكن الفاعلون من القتل والنهب ، وبذلك نزع من العموم الأمن الذى قلتم عنه انكم تكفلتم به ، ثم الم تعلموا انه بالممالك المنتظمة ووجود الحضرة

الخديوية بمقر الحكومة ، لايجوز وجود احزاب حتى تمضوا تلك المكاتبة بصفتكم رئيس الحزب الوطنى ، فهل تصرح لكم من الحضرة الخدوية بذلك. وان كان لم يتصرح لكم فهل جعل نفسكم رئيسا لحزب داخل الحكومة لايعد عصيانا ، وان كنتم ترتكنون على عدم وجود وظيفة لكم وقت تحرير هـــذا الجواب أنما كان يمكن أن توضعوا فى الامضاء ناظر الجهادية سابقا كالجارى فيمن يرفتون من مأمورى الحكومة ؟

ج : من المعلوم بداهة أن مصر مأهولة باجناس مختلفة وعناصر متنوعة وكل عنصر منهم يعتبر نفسه حزبا ، كما أن أهل البلاد هم حزب قائم بذاته يعتبر عند الآخرين منحطا عنهم ، ويطلقون عليه لفظ فلاحين ، اذلالا لهم وتحقيرا .. اولئك هم الحزب الوطنى وهم أهل البلاد حقيقة . وحيث أنهم أنابونى عنهم فى طلب ما يكفل لهم الحرية وحفظ الحقوق ، وكنت انا القائم بطلب ذلك ولم تكن لى صفة فى الحكومة فى ذلك الوقت فوضعت امضائى بذلك لما لى من حق الرئاسة على الحزب الوطنى وليكون ذلك ادعى لاجتناب ما يخل بامر الراحة العمومية . ولا يعد ذلك عصيانا لأن كل أمة من الأممالمتمدنة الراقية فبها أحزاب مختلفة قائمون بحفظ حرية بلادهم والمدافعة عن حقوقهم . وأما حدوث مسألة ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ بالاسكندرية فتلك مسألة يقصد منها تجريح اعمالنا الوطنية فى نظر أوربا ، وأما ما كان يلزم لحسمها وتداركها فقد أوضحنا عنه بالأجوبة المتقدمة . ومع ذلك فان التنبيهات والتحذيرات لاتغنى عن القدر شيئا . وماهى الا صادرة عن افكار تطرأ على الانسان ، فيبلغها احتراسا مما عسى ان يقع كما جرت بذلك عادة الانسان وما قدر لابد واقع .

س : قد تكرر منك القول بالافتراء بانك نائب عن الأمة فابرز الحجج التى بيدك تثبت لك هذه النيابة ، اذ الأمة نوابها موجودون وهم أعضاء مجلس شورى النواب المعلومون رسميا للعموم وأنت لم تكن منهم .

ج : هذا السؤال تقدم فى صدر إجوبتى بهذه المذاكرة التى يتضح منها أن مجلس النواب هذا ما انشىء الا بطلبى وما حفظ الا باهتمامى به ، والا كان نصيبه نصيب سابقه الذى انشىء فى زمن الخديوى السابق للاقرار على ضـــمانة الخزينة المصرية لدين المرابين من الأوروبيين الذى قدره مائة مليون وواحد من الجنيهات ثم ارفض وقبر فى وقته ..

ثم عاد مرة ثانية عرابى البطل السجين الى سجنه . ثم استدعى ثانية فى ١٠ ذى الحجة للاجابة على الأسئلة الصادرة من المجلس اليه وهى كالآتى :

س : قد وجد فى الأوراق التى ضبطت ورقة محرر فيها صورة سؤال استفتاء من العلماء عن جواز عزل الخديوى لأسباب تمويهية مخترعة فى تلك الصورة . فهاهى الورقة المذكورة اطلع عليها وافد ...

« صورة الاستفتاء المذكور »

« ما الأمر فى حاكم ولى من طرف سلطان المسلمين على أن يعدل فى الناس ويقضى بأحكام الله ، فنقض العهد واحدث الفتن بين المسلمين وشق عصاهم ، ثم انتهى به الأمر الى ان اختار ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين وطلب من الأمم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم فى بلاد حكومته الاسلامية وأمر رعاياه أن يذلوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية ، وبذلك عنايته فى المدافعة عنها ، ولما دعاه المؤمنون للرجوع عن ذلك ابى وامتنع ، واصر على الخروج عن طاعة السلطان والمروق من الشريعة ، فهل يجوز شرعا أن يبقى هذا الحاكم حاكما حتى يمكن قوة الأجانب من السلطة فى البلاد الاسلامية ، أو يتعين فى هذه الحالة عزل واقامة بدل له يحافظ على الشرع ويدافع عنه ، افيدوا الجواب » .

ج : اطلعت على الورقة المذكورة ولم تكن بخطى ولا كانت بطرفى .

ج : هل لا تعلم بها كليا ؟

ج : لا أعلم بها كليا .

س : هل تعرف الخط المحرر بها هو خط من ؟

ج : لا اعرفه خط من ..

س : هذه الورقة ضبطت ضمن الأوراق التى ضبطها عساكر الانجليز من منزلكم ووردت بالقومسيون من طرفهم مترجمة بظاهرها بالانجليزى كما صار اطلاعكم عليها ، فاذا لم يكن لكم معلومات بها فكيف توجد بمنزلكم ؟ ..

ج : يمكن أنها وجدت بالمنزل من ضمن الأوراق ولايبعد انها كانت مع أحد الناس وتركها على الترابيزة التى عليها الاوراق .

س : فى مدة أيام سقوط وزارة محمود سامى كنتم جارين تحرير محاضر بمنزلكم بعزل الخديوى وجارين احضـــار الأهالى والعلمـــاء لتختيمهم عليهـا بالجبر عنهم ، واستحضارهم لمنزلكم كان بواسطة ضباط من الآلايات وأشخاص من مستخدمى الضابطة كما هو متضح من التحقيقات التى جرت بهذا القومسيون. فافيدوا عن أسباب ذلك ؟ .

ج : لما نعدمت اللائحة المقدمة من فنصلى دولتى الانجليز وفرنسا وقبلها الخديوى ولم تقبلها الوزارة وحضر أعضاء مجلس النواب وأتسبع ذلك بين الناس ، توارد الناس أفواجا من المديريات والمحافظات ومن مصر واسكندرية لرفض اللائحة المذكورة ورفض من يقبلها محررين بذلك اعراضات ومحاضر . فهل كان كل هذا جبرا للناس وكنت انا الجابر لهم ؟ . الحق ان جميع المصريين أنكروها لما فيها من تداخل الأجانب فى أمور البلاد الداخلية .

س : الى أين توارد الناس ، هل الى منزلكم او لأى جهة أو هل كانت المحاضر التى يحررونها ترد اليكم مختومة او تختم بمنزلكم . وما الذى اجريتموه فى ذلك ؟

ج : كانت تأتى المحاضر مختومة ، وكان حضور الناس بها جهرا لاخفية ، وبحضور الجميع لمنزلى أو لمنزل رئيس النظار محمود باشا سامى . وكانوا ياتون بها ويقدمونها الينا اعلانا بعدم قبولهم اللائحة المذكورة . وكان ذلك بحضور كثير من أعضاء مجلس النواب وكلهم موافقون على ذلك . وكما قلنا ان الأمة المصرية لم تختلف فى هذه الكارثة . وكانت تلك المحاضر باقية بطرف أربابها وبحضور دولتلو درويش باشا وتشكيل وزارة راغب باشا وصدور العفو العمومى صرف النظر عن هذا وذاك .

س : من اقوالكم يعلم أنك لم تستحضر احدا الى منزلك واجريت تختيم تلك المحاضر ، فهل كان كذلك أم كيف ؟ .

ج : لما جاءنى المحضر المقدم من أهل القاهرة قام أناس من الموجودين من النواب والعلماء وغيرهم الذين لم يسبق ختمهم وختموا عليه فى منزلنا .

س : هل أنتم ختمتم أيضا عليه معهم ؟

ج : لا .. اذ لا لزوم لختمى عليه .

س : مادام أن هذا المحضر صار تختيمه بمنزلك فماذا صار فيه ، وأين يوجد الآن ؟ .

ج : صار تمزيقه لصدور العفو وانتهاء المسألة بتشكيل وزارة راغب باشا .

س : هل المحرر بذلك المحضر كان معينا فيه من يلزم تعيينه بدل الجناب الخديوى؟ معلوم وواضح بالفرمان الهمايونى ..

ج : لا وانما كان الغرض من المحضر أن يعرض على الذات الشاهانية عن يد الوفد الذى أعلن التلغراف بحضوره ولم يكن عين به شخص معلوم ، اذ أن ذلك معلوم وواضح بالفرمان .

وبذلك الاستجواب كانت نهـــاية محاكمة البطل السجين . وليس هذا فحسب بل كانت بداية عهد حـــالك أسود على الشعب المصرى بأجمعه حيث تجلى الظلم بأبشع صوره والاجحاف بأصدق معانيه .

وان كان هنـــاك بعض الاســـتجوابات القليلة والتى تختص بمذبحة الأسكندرية واستحكامات كفر الدوار الا اننى آثرت حذفها لأن القارىء بلا شك قد ادرك بما ألم به من معلومات مدى البطولة والتضحية والبسالة التى ظهرت فى شخصية عرابى وفى وطنيته وخوفه على بلاده وبنى أمته . ومـــدى الخيـــانة والظلم والجبن والتخاذل الذى ظهر من الحاكمين والموالين لبلاط فاسد وحكومة مهزوزة ..

بلنت يعين محاميا للدفاع عن عرابي

وفى تلك الأثناء كان صديق عرابى الحميم المستر « ولفرد بلنت » قد عين أحـــد المحامين الانجليز وهو المســـتر « برودلى » للدفاع عن صديقه المفترى عليه . وقد شارك فى الدفاع عنه أيضا، المستر « نابيار » والمستر « ايف » . وكان المستر « برودلى » قد استحضر « المستر سنتليان » وهو تونسى الأصـــل لالمامه التـــام باللغة العربيـــة والانجليزية ، برفقته لهـــذه المهمة وذلك بمقتضى خطاب أرسله صديقه المستر « ولفرد بلنت » اليه هذا نصه : ــ

« الى صاحب السعادة صديقى العزيز السيد أحمد عرابى باشا حفظه الله » .

« بعد السلام التام والســـؤال عن خاطركم الـكريم ، أعلم جنابكم أن حامل هذه الأسطر المستر « برودلى » وهو من المتشرعين

الماهرين ومشهود له بحب الاستقامة والانصاف وقد كان من قبل بتونس وهو يحب العرب وقد اخترته ليحضر الى مصر لكى يحامى عنك وعن بقية الأسرى أصـــدقائنا الأعزاء ، وهو أول متشرع ، ويكون المســتر « نابيار » مســاعدا له ، فاجعلوا كل ثقتكم فيه وأطلعوه على جميع الحجج والبراهين التى فى يدكم وســـلموه نســـخ جميع الرسائل التى تقوى دعواكم حتى يترجمهـا الى الانجليزية أو يرسلها الى لندن لنترجمها ونرسلها له لئلا يترجمها اناس ذوو أغراض . فيغيروا معناها الأصــلى بقصــد تشـــويه دعواكم والحاق الضرر بكم ، ولا حاجة الى تكرار خلوص حبى لكم ، وانى فى كل حال صديقكم الأمين ، ولا يخفى عليكم بأن جميع مصاريف الدعوى والمحامين تكون على ذمتى وذمة بعض أصدقائى من أصــحاب الأفكار الحرة والمحبين للعــدالة ، فلا يكون عندكم أدنى فكر من هذا الخصوص . اتكلوا على الله القوى الذى لا يهمل من يتكل عليه ، وأدام الله بقاءكم .. تحريرا فى ٢٩ ســـبتمبر سنة ١٨٨٢ .

ا المحب المخلص ــ ولفرد بلنت) .

وقد كان أعداء عرابى حتى من الانجليز أنفسهم يعجبــون به حتى انه أجرى اكتتاب بانجلترا بتلك المصــــاريف الباهظة التى صرفت للدفاع عن أحمد عرابى ، دفع منها الجنرال « غوردون » مبلغ ٢٠ جنيها ولكن فى الحقيقة كانت أكثر المصاريف من طرف صديق عرابى المخلص المستر « ولفرد بلنت » .

واظهارا لجــلال الحقيقة أقول أن المحــامين الذين حضروا للدفاع . انما حضروا بعد استجواب الزعيم أحمد عرابى ، ولذلك لم يسأل عرابى بعــد هذا فى شىء . الا أن المستر « ولفرد بلنت » كان دائم الاهتمام بالسؤال عن صديقه والاهتمام بأموره . حتى أنه عندما عين المستر « نابيار » المحامى الانجليزى للدفاع عنه .

قام بارسال خطاب آخر الى صـــديقه أحمـد عرابى بنفس تاريخ الخطاب السابق ارساله ، هذا نصه :

« الى صديقى العزيز السيد أحمد عرابى باشا . صـــانه المولى وابقاه .

« بعد السلام التام والســـؤال عن خاطركم العزيز اعلموا جنابكم أن المستر « نابيار » حامل هذه الأسطر هو صديقى ، وهو من عائلة شريفة ومعروف من أكابر الانجليز . وقد حضر الى مصر لكى يحصـــل على أدلة وبراهين للمحاماة عنكم وعن باقى أسرى الحرب . وهو متشرع ماهر مشهود له بالباع الطويل فيمكنكم أن تثقوا به لأن حضوره الى مصر هو بناء على طلبى كى يناضل عنكم فى الشرع وقت المحاكمة وكذا عن بقيـة أصدقائى الذين هم الآن أسرى بأمر الله . فلا تعتمدوا على كلام أى كان من الذين ربمـــا ينصحونكم ان تتكلوا على رحمة المجلس العسكرى ويجتهدون بأن يقنعونـكم بأن لا تتعبوا أنفسـكم فى جمع الأدلة والحجج اللازمة للمحاماة عنكم . فان الذين ينصحونكم بمثل هذه النصائح لهم أغـراض شخصية لا تجهلونها ، واما انا فأنصـحكم بأن تتجرأوا وتظهروا كل ما لديـكم من البراهين والأدلة ، ولو أنهـا لا توافق صالح غيركم ، فتكلموا كل الحق واظهروا ما عندكم من الحجج وتوكلوا على الله ، ثم أنى قد فوضت لصديقى المستر نابيار أمر الاعتناء بعائلتكم المصونة ومساعدتها فى كل ما تحتاج اليه من مال وغيره على ذمتى مادامت الأحوال على هذا المنوال ، فلا تتحاشوا من ذكر كل ما تريدون ذكره وطلب كل ما تريدونه ، فانى مستعد بكل قلبى ورغبتى لأفعله حبا بكم ولو صعب فعله وعظم قدره . هذا وحضرة السيدة « أنة » قرينتى تسلم عليكم وتســـأل عن خاطركم .

تحريرا فى ٢٩ سبتمبر سنة ١ . محبكم المخلص ــ ولفرد بلنت » ..

حاشية

« لا يخفا ان جميع مصاريف ا ى كدنها تكون على ذمتي وذمة أصدقائى بلندن من أصحاب الحرية والمحبين للعدل والانصاف » « ولفرد بلنت » .

كل هذا وعرابى فى سجنه يقاسى من سوء المعاملة حتى من حدم القصر وبعض من طاب لهم عيش الذل والخضوع والارتماء فى احضان الخديوى المتخاذل . حتى أن عرابى كان يرسل الى صديقه المستر « ولفرد بلنت » بهذا كله كما ذكر ما كان يحدث من سوء معاملة وتحقير . للمستر برودلى والمستر نابيار ..

وكان عرابى برغم كل هذا شجاعا مؤمنا بالله وبصدق الرسالة التى خلق من أجلها لحرية مصر والحفاظ على كرامة المصريين ولهذا لم يأبه بكل ما كان يحدث .

وكانت الرسائل تتوافد عليه من كل فج ومن كل شخصية محبة للعدالة والانصاف والحرية ومنها مثلا هذه الرسالة :

« الى عرابى باشا .. سيدى العزيز ..

« انى حظيت بكتابك الذى يخولنى شرفا عظيما ، فتشجع يا صاحبى واعلم ان بعد العواصف تشرق الشمس وان مصر للمصريين ثم انى وقفت على أفعالك الوطنية من الأسكندرية الى مصر ، ورجائى قوى بأنك ستنتصر على الحدثان والمحن المحدقة بك ... (الأكثر اعتبارا لك ــ «جوليا كارتين») .

(نيويورك تحريرا فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٢) .

ولما فرغ المجلس المؤلف برئاسة اســـماعيل باشا أيوب من استجواب أحمد عرابى . أحال الأوراق الى المحكمة العســكرية المخصـــوصة وبعد أن جرت المفاوضة فى شأن توقيع الجزاء على أحمد عرابى وعلى زعماء الثورة العرابية . ما بين الحكومة وبين اللورد « دوفرين » كان من تصميم الحكومة قتل أحمد عرابى ومحمود سامى البارودى ويعقوب ســامى ومحمود فهمى وعلى فهمى وعبد العال حلمى وطلبة عصمت . وكان المجلس الابتدائى قد حاول كثيرا الصاق مسئولية مذبحة الأسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وحرق الأسكندرية فى ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ بأحمد عرابى كما اتضح من الاستجوابات الســـالفة ، الا أن الله جلت قدرته ، أراد أن يظهر براءته وبراءة باقى الزعماء بالرغم من سعى الحكومة لادانتهم ، فنطق المســتر « غلادستون » بصــوت جهورى فى مجلس البرلمان بأنه قد ثبتت جليا براءة أحمد عرابى باشا من حريق الأسكندرية ومذبحتها ، وأهاب بوجوب معاملته وزملائه معاملة الثوار الســـياسيين وعليه تقرر نفى عرابى مع اخوانه المذكورين الى جزيرة سيلان بناء على اختيارهم واختيار حكومة ســـيلان لهم بمعرفة صديق عرابى « السير وليم جريجورى » الايرلندى كاتم أسرار الملكة ، فاستعفى ناظر الداخلية رياض باشا وتحطمت المشانق التى اعدتها الحـــكومة لاعدام عرابى وزعماء الثورة . وخنق رجال الاستبداد لعدم تمكنهم من التمثيل بعرابى والعرابيين .

حكم الإعدام يستبدل بالنفى المؤبد

وكان قد تقرر اعدام أحمد عرابى والزعماء المذكورين بناء على القانون العسكرى العثمانى الذى يقضى باعدام الخارجين على

الدولة بالسلاح . وطبقت المحكمة المذكورة احكام المادة ٩٦ من القانون العسكرى العثمانى والمادة ٥٩ من قانون الجنايات على من كان يدافع عن بلاده ، ويقاتل دولة أجنبية طامعة فى الاستيلاء عليها ، قياما بالواجبات العسكرية ، والفرائض الوطنية مدافعة شرعية قانونية ، الا أن الخديوى استجابة لصوت غلادستون رئيس أحرار الانجليز استبدل الاعدام بالنفى المؤبد . ثم اجتمعت بعد ذلك المحكمة العسكرية المذكورة فى جلسة علنية بحضور عدد كبير من الذوات والأوربيين وكثير من عقيلات أكابر الأوربيين حتى اكتنطت المحكمة على سعتها . ثم دعى أحمد عرابى لسماع الحكم. فقام رؤوف باشا رئيس المحكمة المذكورة ، وتلا على الحاضرين الأمر القاضى بالاعدام . ثم جلس دقيقة ، وقام يتلو أمر الخديوى القاضى باستبدال حكم الاعدام بالنفى المؤبد . فأشار عرابى بالرضا والقبول مع الشكر ، وهنا قامت السيدات الأوربيات يتسابقن فى نثر الورود والأزهار عليه مهنئات بشفقة وحنان ، وقدمت السيدة اللادى (نابيير) زوجة المحامى المستر (نابيير) بعد أن نثرت كثيرا من الورود والياسمين ، قدمت بيدها باقة ورد عظيمة تقديرا منها لعرابى فتقبلها منها شاكرا لها هذا العطف .

وفى ٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ اجتمعت المحكمة أيضا فى جلسة علنية حضرها كثير من المصريين والأوربيين لسماع الحكم على كل من محمود سامى باشا وعلى فهمى باشا وعبد العال حلمى باشا وطلبة عصمت باشا . وبحضورهم تلى عليهم رئيس المحكمة القرار القاضى بالاعدام ، ثم جلس قليلا وقام فتلى عليهم الأمر الخديوى المؤذن باستبدال عقوبة الاعدام بالنفى المؤبد .. ثم عادت المحكمة فاجتمعت فى جلسة علنية فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وقد حضرها كثير من الذوات المصريين والأوربيين ودعى لسماع

الحـــكم فيها كل من يعقوب سامى باشا ومحمـــود فهمى باشا . وبحضـــورهما قام رئيس المحكمة وتلى عليهما الحكم كالمعتاد وبنفس الطريقة السابقة .

وهاك نص الأمر الخديوى : ـ

أولا : ــ الحكم الصادر على كل من احمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى ــ المقتضى جزاؤهم بالقصاص وقع تبديله بالنفى الى الأبد من الأقطار المصرية وملحقاتها .

ثانيا : ــ هذا العفو يبطل ويقع اجراء الحكم على كل من احمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب ســـامى المذكورين بالقتل اذا رجع الى الأقطار المصرية وملحقاتها .

ويتلو ذلك مادة التنفيذ الذى أنيط به كل من ناظر الداخلية وناظر البحرية والجهادية (عمر لطفى) وبعد صدور الأحكام عليهم راى مجلس النظار رأيا مخالفا للعدل ومجحفا بالحقوق الشرعية وذلك بأن تضبط املاكهم المنقولة وغير المنقولة وان يعين لهم فى مقابل ذلك راتب سنوى يكفى لمعيشتهم فصدر بذلك أمر خديوى هادم لصروح العدل والفرائض القرآنية فى المواريث .

وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٢ صدر أمر الخديوى القاضى بتجريد الزعماء الســـبعة من جميع الرتب والألقاب والنياشين وبمحو أسمائهم من دفاتر ضباط الجيش المصرى محوا ابديا .

أما ما قيل من المرائين المنـــافقين فى كتاباتهم وادعاءاتهم وتضليلهم بأن عرابى تخاذل وجبن عند محاكمته . فهذا لا مكان له من الصحة ، ولنعد الى ما قبل صدور هذه الأحكام الظالمة .

فبعد أن انتهت المحاكمات الســـالفة حضر كل من المستر « برودلى » والمستر « نابيير » المحاميان عن أحمد عرابى وزملائه، وأشار عليهم بأن يعترفوا بالعصيان على الخديوى اعترافا صوريا بشرط أن يكون نفيهم نفيا مكرما وأن يترتب لأحمــد عرابى معاش سنوى من الحكومة المصرية مقداره ألفا جنيه مصرى مدى حياته ، ويكون هذا المعاش حقا لأولاده من بعد وفاته ، ولكل واحد من اخوانه الذين ينفون معه الف وخمسمائة جنيه مصرى ســـنويا مع حفظ جميع أملاكهم واطيانهم وامتيازاتهم على حسب اتفاقهما مع اللورد « دوفرين » والمرخص من الحكومة الانجليزية . وصرحا بأن ذلك متفق عليه بين اللورد دوفرين وبين الحكومة الانجليزية، وقالا أيضا بأن بعض الضباط والأمراء قد تقرر نفيهم من القاهرة الى بلادهم فقط ، وباقى الضباط والعلماء والأعيان وغيرهم من المسجونين بسبب الحرب يصدر عنهم عفو عام ولا يحرمون من الخدمة بسبب الحرب .

وبناء على ذلك طلب منهم أن يكتبوا الى اللورد دوفرين بما يفيد قبولهم بالنفى الى المحل الذى تعينه الحكومة عن رضاهم واختيـــارهم ، فكتبوا بما يفيد ذلك ، وفعلا صرف النظر عن التشبث بطلب الأوراق والدفاتر والمستندات التى تثبت حقوقهم وتحفظ شرفهم ، وهى تلك الأوراق التى كانوا قد كتبوا الى المستر « برودلى » بطلبها من المعية الخـــديوية ، وصرف النظر عن التحقيقات وتألف مجلس عسكرى صـــورى ، وحكم عليهم فيه بالاعدام ، ثم أعلن أمر الخديوى باستبداله بالنفى فى جلســـة واحدة ، ولم تحدث أى صورة من صور الدفاع ولا اقامة حجة بناء على ما سبق من الاتفاق عليه ، ولم يذكر الأمر الخديوى تجريدهم من الامتيازات والنياشين ولا ســـلب الأملاك ولا نهب الأموال . وكان عرابى قد أرســـل فى هذا الخصوص فى ٣

ديسمبر سنة ١٨٨٢ خطابا الى مدير جريدة التيمس بلندن وكان وقتئذ بسجن الدائرة السنية وهاك صورته : ـ

« انى قد اتبعت ما اشار به على كل من المستر برودلى والمستر نابيير المحاميان عن اللذين يستوجبان دوام الشكر منى على ما بذلاه من الهمة والاجتهاد فى قضيتى ، واعترفت لدى المجلس العسكرى بالعصيان على الخديوى صوريا اذ ان وزراء الانجليز قد أعلنوا مرارا بأنى عاص فلا أؤمل انهم يعدلون عن رأيهم هذا دفعة واحدة ، بل ولا يمكنهم ذلك وامتثلت بأن أتوجه الى المحل الذى تعينه لى انجلترا للاقامة فيه الى أن يأتى الوقت الذى يمكن لانجلترا فيه أن تغير رأيها فى شأنى .

ولهذا فلست متكدرا لما أصابنى ولا من الحكم الذى صدر على لكونه يدل على أنى برىء مما حاول خصومنا الصاقه بنا ونسبته الينا من مقتلة الاسكندرية وحريقها ، الأمر الذى لم يكن لى يد فيه قط ، بل هو من الفظائع التى هى ضد أعمالنا الوطنية ومشروعاتنا الأساسية . ويقتضى بأن معاملتى فى المستقبل بكرم الأمة الانجليزية فسأفارق مصر مطمئن القلب والخاطر خصوصا لما اتحققه من أن انجلترا لايمكنها الآن أن تتأخر عن اجراء سائر الاصلاحات التى كنا نرغب اجراءها فى بلادنا ، وأنه بعد مضى مدة قليلة يصير أبطال المراقبين وتخرج مصر من أيدى المتوظفين من الأجانب ، الذين احتلوا كل وظيفة فى مصر ، وأنه يصير اصلاح حالة المجالس المحلية ، وتوحيد قوانينها ونشرها للعمل على مقتضاها . وأن يكون للأمة مجلس نواب منها يكون له صوت معمول به ونظر فى مصالح الأمة المصرية . وأن توضع حدود لمعاملة المرابين مع الأهالى . وبالوقوف على حقيقة احتياج البلاد لتلك الاصلاحات يعلم للأمة الانجليزية أن عصيانى له موجب وسبب عظيم .. انى ابن فلاح مصرى وقد اجتهدت على قدر طاقتى فى نوال هذه الاصلاحات كلها

للوطن العزيز الذى أنا من أبنائه ومحبيه ، فلسوء البخت لم يتيسر لى الحصول على الغرض المقصود . لكنى اؤمل من الأمة الانجليزية أنهـا تتمم الاشـغال التى ابتدأتها . واذا فعلت ما أؤمله منها من الاصلاحات وسلمت مصر للمصريين كمـا هـو واجب على ذمتهـا وشرفها تبين لجميع العـالم اذ ذاك مسـاعى عرابى ذلك العـاصى وحقيقة مقاصده .

ان الأمة المصرية كلها كانت معى محبة لى كمـا انى محب لها ابدا ، فأؤمل أنها لا تنسانى عندما تتمم انجلترا الاصلاحات التى كنت طالبها وأحاول الوصول اليها . وانى غير آسـف على شىء حيث كان ذلك ذريعة توصل مصر الى ما هى جديرة به من الحرية والعمران . وعندما تتمم انجلترا اصلاح البلاد أرجو من شفقتها وانسانيتها أن تسمح لى بالعـودة الى بلادى العزيزة لأشـاهد ثمرات الفلاح والعمار بوطنى قبل أن أفارق هذه الدنيا .. انى متشكر للمستر غلادستون واللورد غرنفيل لتوسطهما فى مسألتى اذ أنقـذانى من الخطر وسـيعلمان أنى لم أكن عاصـيا حيث كنت قائدا لأمة عظيمـة لا ترغب فى شىء سـوى العدل والانصـاف والمساواة . وكذا أشـكر اللورد دوفرين حيث أظهر نحوى غاية الملاينة وعلو الهمة . كما أنى أعلن تشكراتى وممنونيتى الى صديقى المستر بلنت واخوانه ممنونية لا يمكننى القيام بواجباتها اذ أنه دافع عنى وأعاننى بنفسه وماله فى وقت الضيق والعسر حين تركنى أحبائى من المصريين الذين كانوا يلازمون جانبى فى أيام اليسر .. أما صاحبا الشرف والأمانة المستر برودلى والمستر نابيير فانهما بذلا غاية جهدهما فى خلاصى وخلاص اخوانى وأظهرا فى مساعيهما غاية الأمانة وكمال الصداقة الأمر الذى أرانى عاجزا عن القيام بواجب شكرهما وأنا متشكر لجميع الأمة الانجليزية كما أنى متشكر لك أيها الفاضل ولسائر مديرى الجرانيل الانكليزية الذين اتحدوا فى طلب

معاملتى ومعامله اخوانى بالعدل والانصاف • ولأعضــاء الحكومة الانكليزية الذين ارتفع صوتهم مرارا فى خصوص مسألتى واظهار حقوقى • وكذلك أشكر السير شارلس ولسون الذى تردد الى كثيرا وتعهدنى بأحسن ملاحظة فى مدة سجنى .. ها أنا مهاجر من مصر العزيزة الا أنى متيقن من أن الأيام والحوادث ســتبين أعمالنــا وما كنا عليه من العمل بالعدل والانصاف • وأن انجلترا لا تندم ابدا على ما أبدته من التسامح والتساهل مع من قاتلته فى المعارك الحربية حين تتبين لها حقيقة معاه ..

« أحمد عرابى المصرى »

والحقيقة أن عرابى برغم كل الوعود والعهود التى من شأنها حفظ حقــوقه وممتلكاته ، كان على يقين من أن هــذه العهــود والمواثيق والوعود كلها لن يعمل بها . ذلك لأن حاكم مصر فى هذه الفترة العصــيبة من فترات تاريخ الأمة المصرية ، حاكم متردد ضعيف الشخصية . مسلوب الكرامة . خائن أجرم فى حق مصر وفى حق أبناء مصر . وقد صدق احساس عرابى فى نفسه . حين اصدر ذلك الحــاكم الخائن فى ١٤ ديســمبر ســنة ١٨٨٢ أمرا بســلب أملاك عــرابى وصحبه من الزعماء جميعــا من أطيــان وعقار وغيره . وحيث ان هــذا الأمر الخديوى لم يبن على وجه شرعى وبدون محاكمة حقيقية ولم يسبق معاملة من نفى قبلهم من مصر بهذه المعاملة التى هى ضــد الشرائع العــادلة فقــد قدموا احتجاجا على ذلك وطلبوا من المستر برودلى تحريريا معارضــة هذا الأمر وعدم قبوله حفظا لأملاكهم وحقوقهم وحجتهم فى ذلك أن الأمر المذكور مخالف للاوامر الالهية المقدسة بما نص فيه من ابطال أوامر الله ســبحانه وتعــالى بحرمانهم من كل ارث شرعى يؤول اليهم فى المستقبل وبمصادرة أملاكهم بلا تحقيق خلافا لقول النبى (**مال المسلم على المسلم حرام**) ومن أمر أمرا مخالفا لكتاب

الله فهو رد عليه ولا يجوز للمسلمين الاقرار على هـدم اصـول دينهم ابدا ، وقد كتبت قائمة من أحمد عرابى وصحبه وسلموها الى المستر « برودلى » بمقدار أطيانهم ليدافع عنهـا • وبالنسبة للاطيان الخاصـة بأحمد عرابى والتى صـودرت بغير حق شرعى فهى تبلغ ٨٧٧و٥ فدان .

من هنـا ندرك الظلم الذى وقع على عرابى نتيجـة دفاعه وحرصه على كرامة وشرف أمته وأبناء وطنه . فقد حرم عرابى من كل شىء بما فى ذلك أطيانه التى ما زال أبناؤه وأحفاده يطالبون بردها كحق شرعى لهم • ولعله من الشجاعة والاقدام والرجولة أن يصمد عرابى وصحبه أمام هذه المحنة أو مثل تلك الكارثة صمود المؤمنين المجاهدين الصابرين . فانه حين صـدر امر الخـديوى الخائن فى ٢١ ديسمبر سـنة ١٨٨٢ بتجريد الزعمـاء السـبعة المحكوم عليهم بالنفى من جميع الرتب والالقاب وعلامات الشرف. رفضوا فى اباء وعزة وكرامة وشجاعة تسليم علامات الشرف الى مندوب الحكومة وسلموها الى « المستر برودلى » للمدافعـة عن حقوقهم • لأن ذلك ضـد الاتفاق السابق أولا ، ثم لأنه ليس من حقوق الخديوى سلب الرتب والنياشين الفخرية والميداليات الشاهانية التى اكتسبت فى المحاربات الدولية . وفوق ذلك فانه لم يذكر بحكم المجلس الحربى تجريدهم . وليس هذا فقط بل أن الحكومة المصرية نكثت بعهدها الذى عاهدت به اللورد دوفرين وصرفت لـكل من أحمد عرابى وزملائه ٣٠ جنيهـا فقط فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨٢ .

وقد كان مظاهر فرحة مصر والمصريين بنجاة عرابى وصحبه من مخالب الموت أن كتبت الرسائل والبرقيـات الى « المسـتر برودلى » ومنها رسالة من حرم محمد سـعيد باشا والى مصر السابق تشكره فيها على دفاعه عن عرابى وصحبه وتهنئه بنجاح

مسعاه ودفاعه لانقاذ الزعيم المظلوم وصحبه من القــادة الأكفاء وهذا نصها :

« جناب المستر برودلي المحامى »

بعد اهدائك تسليماتى وتشكراتى لشخصك الكريم ، أنتهز هذه الفرصة لأن أصرح لكم بأن بلاد مصر تشرفت بمجيئكم الينا. وانا وجميع أهلها مسروورون من أعمالكم لانكم دافعتم عن مبـدأ الانسانية والعـدل · ونحن المصريون ، نبتهل الى الله فى كل أيام حياتنا أن يهنئكم وينجح مقاصدكم ونرجو أن العدل والشـفقة يحكمان هذه البلاد . هذا وبدفاعكم عن ابناء مصر (الذين سعوا لخيرها ودافعوا عنها) · قد جعـلته انجلترا محبـوبة عنــدنا لأن الانجليز عطفوا علينا فى حزننا ومصيبتنا . وانى أشـكر جنـاب المستر « بلنت » بقلب خالص لطيبته وانعطافه نحونا . وجميع المصريين مسروورون من الأخبار التى دلت على أعمالكم . ولا يجرؤ أحد على تأييد العكس مع تبلج نور الحقيقة .

وانى لعاجزة حقيقة عن توضيح تشكراتى ..

« مصر فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ » ..

« انجى »

وداع المصريين لزعماء الثورة عند الرحيل

وفى ٢٥ ديسمبر ســنة ١٨٨٢ . بدأ الركب الحـزين حين خرج الزعماء السبعة اخوان السراء والضراء الى قصر النيــل ، حيث تلى عليهم على باشا غالب وكيل الجهـادية وقتها نص الأمـر الخديوى الصــادر بتجريدهم من رتب حكومتهم أمام عســاكر

أورطة المستحفظين وصف ضباطهم ، وهم يذرفون الدمع من مآقيهم حزنا على ما آل اليه أمر زعماء بلادهم وأمر بلادهم . وبعد ذلك عادوا مرة ثانية الى السجن بين حشد هائل عظيم من الأهالى الذين كانوا يبكون أيضا وينتحبون ، الا واحدة فقط هى التى ذهبت خصيصا لتظهر الشماتة والحقد على الزعماء السبعة الأبطال . فقد كانت فى عربتها خارج قصر النيل لهذا الأمر وهى والدة الخائن الذى باع كرامته وكرامة شعبه وفى ليلة الأربعاء ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ توجه الزعماء السبعة مرة ثانية الى قصر النيل وهى المرة الأخيرة . لتبدأ رحلة الرحيل وقد أعد لهم قطار خاص من قطارات السكة الحديد ، فركبوا جميعا فى الساعة الثامنة صباحا . ومكثوا هناك حتى العاشرة حيث دخلت الميناء الباخرة (مربوط الانجليزية) المعدة لسفرهم الى جزيرة سيلان ..

عرابى وصحبه فى المنفى

وفى سيلان تفتح صفحة جديدة من صفحات حياة أحمد عرابى وصحبه . فقد نزلوا فى أرض سيلان الكريمة التى تنبض بكل صنوف الحب والود العميق تجاه الزعماء السبعة الأحرار . بعد أن ودعوا وطنهم الغالى وأبناء أمتهم العزيزة بقولهم « **يا كنانة الله صبرا على الأذى ، حتى يأتى الله لك بالنصر** » وكان وصولهم ميناء ثغر كولومبو بجزيرة سيلان فى غروب يوم الأربعاء ٩ يناير سنة ١٨٨٣ فقابلهم هناك وكيل حكومة سيلان وحياهم تحية القدوم هم ومن كان بصحبتهم أمثال نجيب بكاريوس بصفة ترجمان على حسابهم ، والكولونيل موريس بك ، ومعاونة سليم أفندى عطا الله بصفته مأمورا بتوصيلهم وتسليمهم الى حكومة

سيلان ، والصاغ على أفندى عباس وهو أحد ضباط البحرية وبعض العساكر بصفة حرس عليهم فى مدة السفر .

ثم قام وكيل سيلان بالتحدث الى موريس بك وأخبره بأن الحكومة اعدت أربعة بيوت لذوى العائلات من الزعماء المنفيين ، وفيها الخدم وكل ما يلزم من أسباب الراحة الى جانب غذاء يكفى الضيافة لمدة ثلاثة أشهر على حساب مصر . وأمضوا ليلة الوصول فى الباخرة المذكورة وفى صباح اليوم التالى ١٠ ينساير سنة ١٨٨٣ اخرجوا الى البر وكان رصيف الميناء مزدحما بالمسلمين من أهل الجزيرة وأهل الجاوه والهند والملايو وأعيان طائفتى « التمل » و « الشنكليز » أهل البلاد من عبدة الأوثان على مذهب « البوذا » وكلهم قدموا لتحية الأبطال السبعة . ثم تقدمت لهم العربات فركبوا وتوجهوا الى البيوت المذكورة . وكان قد خصص للزعيم احمد عرابى، بيت عظيم يسمى «اليك هاوس» ومساحة حديقته ١٤ فدانا ومعظم أشجاره من جوز الهند والموز وغيره . فتوجه اليه عرابى وبصحبته طلبة عصمت باشا وعبد العال حلمى باشا وذلك لأنهما تركا أسرتيهما بمصر . وتوجه محمود باشا سامى مع محمود باشا فهمى لاقامتهما فى منزل واحد . أما على باشا فهمى ويعقوب باشا سامى فقد انفرد كل منهما ببيت على حدة لوجود أسرتيهما معهما .

وما أن دخلوا البيوت المذكورة حتى أخذت الطوائف المذكورة تتوارد عليهم لتحيتهم بوجوه باشة وقلوب مليئة بالمحبة والحنان ليلا ونهارا . وكان عدد الانفس التى توجهت مع الزعماء من عائلاتهم الى سيلان على الوجه الآتى :

		ذكور	اناث
٦	احمد عرابى	٣	٣
١٤	على فهمى	٦	٨
٩	يعقوب سامى	٤	٥
٣	محمود سامى	٣	—
٤	عبد العال حلمى	٤	—
٣	طلبه عصمت	٣	—

أما الكولونيل موريس بك فعاد الى مصر بعد اسبوع من وصوله الى كولومبو بمن معه من رجال الحرس لانتهاء مأموريته . وأما نجيب افنـدى بكاريوس فمكث مع الزعماء ثلاثة أشـهر ثم ودعهم وابحر الى مصر .

وقبل أن نستعرض معا حياة عرابى وصحبه فى منفاهم . يجب أن نسـتعرض معا ذلك البيـان الذى طلبه اللورد دوفرين للاصلاح فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ قبـل رحيل الزعيم عرابى وكان طلب اللورد المذكور بواسـطة المسـتر برودلى محامى العرابيين فتقدم عرابى بالبيان الآتى :

١ ــ يجب على الحاكم فى مصر أن يكون محـدود السـلطة ، مقيدا بقوانين شورية ، وعليه مراعاة تنفيذها والمحافظة عليها . وتلك قاعدة أسـاسية تكون مرعيـة الاجراء على الدوام .

٢ ــ يجب انتخاب مشـاريخ البـلاد بمعرفة الأهالى من الذين اشـتهروا بالعفـاف وحسن المعـاملة حيث أن كثيرا من المشاريخ الموجودين طبعوا على سلب اموال الأهالى ليدلوا بها الى الحكام فى سبيل ترقيتهم واعتبارهم .

٣ — يجب انتخاب مجلس نواب من نبهاء الأمة المصرية وان يكون انتخابهم حرا كما فى الممالك المتمدنة وتعرض عليه جميع اللوائح والقوانين الادارية والاقتصادية وتعطى لأعضائه الحرية التامة فى المداولة وابداء آرائهم الصريحة ليتمكنوا بذلك من حفظ حقوق منتخبيهم . ولا يلزم الحكومة العمل بما يقرره المجلس المذكور الا بعد مضى مدة فيها يعلم اقتدار أعضائه على النظر فى مصالح البلاد بواسطة نشر مجادلاتهم العلانية فى الجرائد . وحينئذ تكون قرارات مجلس النواب قطعية والوزراء مسئولون أمام ذلك المجلس ، وتلك المدة لا تزيد على خمس سنوات .

٤ — يجب أن توضع قاعدة بين سكان القطر المصرى عموما لا يمتاز فيها الأجنبى على الوطنى فى جميع المعاملات وضرب الضرائب والرسوم وغير ذلك .

٥ — يجب وضع حد للمرابين لمنعهم عن استعمال الغش وادخاله على الأهالى لسلب أموالهم . كما يجب ايقاف المزارعين عند حد فى الأخذ بالربا .

٦ — يجب تسوية دين المزارعين وتوحيده وتسديده بواسطة الحكومة الى الدائنين على أقساط مناسبة لحالة المديونين تسدد الى الحكومة مع أقساط الأموال الأميرية .

٧ — يجب ابطال ضرائب الويركو والفردة والدخولية وجميع المكوس التى أضرت كل الضرر بالفقراء .

٨ — يجب ابطال طريقة التسخير التى هى السبب الوحيد فى عدم العمران وتشتيت شمل الفقراء الذين لا قوت لهم الا من كد أيديهم وعرق جبينهم .

٩ – يجب أن تشهر أشغال تطهير الترع والجداول وانشاء المصارف وحفظ جسور النيل فى زمن الفيضان فىالمناقصة بين المقاولين بواسطة وزارة الأشغال العمومية .

١٠ – يجب توحيد القوانين القضائية فى جميع محاكم القطر المصرى ومراعاة تنفيذها بعناية الدقة بدون ذوى السلطة فى تأويلها واستعمالهم الطرق القديمة فى مراعاتها ظاهرا وعدمها فى الحقيقة .

١١ – يجب ابطال المحاكم المختلطة التى أضرت بالوطنيين وكانت هى الوسيلة الوحيدة لاعانة المرابين على تجريد كثير من الوطنيين وأملاكهم .

١٢ – يكتفى من الأجانب الموظفين بقدر الضرورة مع مراعاة حالة مالية البلاد فى رواتبهم والمناسبة بينها وبين رواتب الموظفين الوطنيين حتى لا تقع المنافسة والمنافرة بسبب الامتيازات الفاحشة .

١٣ – يجب أن يكون قنال السويس حرا بكفالة الدول الموقعة على معاهدة برلين . وفى مقابلة تنازل الأمة المصرية عن حقوقها الصريحة فى ذلك يعوض لها مبلغ كاف يعادل هذا التنازل لتسدد به جانبا من الدين ومع ذلك يبقى لمصر حق فيه كباقى الدول المذكورة . وعلى الدول أيضا أن تدفع مبلغا سنويا يكون كافيا للقيام بحفظ القنال المذكور

١٤ – يجب تعديل الضرائب وجعلها متناسبة مع حالة الأراضى واستعداداتها بدون فرق بين الأغنياء والفقراء .

١٥ – لأجل تأمين الدائنين على أموالهم من كل خطر يخشى

وقوعه فى المستقبل يجب تنزيل الدين الى ٥٠٪ والفائدة ١٪ والاستهلاك (١) سنويا .

١٦ ــ يجب ان الأراضى العشورية تدفع ضرائب تساوى الأراضى الخراجية حيث ان الخراجية صارت ملكا حرا لمالكيها بمقتضى قانون المقابلة .

١٧ ــ يجب اعتبار الأموال التى دفعت من طرف المزارعين فى المقابلة دينا على الحكومة اسوة بالأجانب وقدرها ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ سبعة عشر مليونا من الجنيهات .

١٨ ــ يجب تعميم التعليم وتوسيع دائرته فى انحاء القطر بحيث يكون اجباريا حتى سن ١٥ .

١٩ ــ يجب أن يكون لمصر (وزراء مفوضون) فى جميع الممالك الموقعة على معاهدة برلين لفهم حقيقة ما يكون جاريا فى مصر وتسهيل المعاملات التجارية وغيرها .

كان ذلك هو برنامج الاصلاح الذى اقترحه عرابى . لاصلاح بلاده التى ضحى فى سبيلها .

أما حياة الزعيم فى منفاه فبعد ثلاثة أيام من وصول الزعماء السبعة الى الجزيرة بدأت مظاهر الحفاوة والترحاب ، والولائم وبعد ذلك اقام الزعماء وليمة كبيرة جامعة لأعيان المسلمين والانكليز والتمل والشنكليز وقد بلغ عدد المدعوين اليها ٢٠٠ شخص على اختلاف الأجناس والمذاهب والمعتقدات شكرا لهم على حسن احتفائهم بهم .

وفى الشهر التالى أى فى فبراير سنة ١٨٨٣ حضر الى الجزيرة الحاكم الجديد السير « أرثر غوردون » فقام عرابى وصحبه بكتابة عريضة بخصوص ارجاء الحكومة المصرية تعيين

المرتبات اللازمة لمعيشتهم الى ما يرد اليها من حاكم سيلان بالنسبة للاسعار الجارية فيها . وبما أنه يلزم لكل منهم خمسون جنيها شهريا ، فانهم يأملون فى مخابرة الحكومة الانجليزية بذلك وبناء على ما ذكر ترتب لأحمد عرابى خمسون جنيها شهريا ولكل من الزعماء ثمانية وثلاثون جنيها انجليزيا شهريا .

وعاش الزعماء فى كرم عظيم مع ذكرى أمجادهم وبطولتهم ومع حنينهم الى أرض مصر الطاهرة الطيبة . وكان لهم مطلق الحرية فى التجول والتزاور .

حتى كان يوم ٢٠ أكتوبرسنة ١٨٨٣ . حيث حضر صديقهم المخلص المستر « بلنت » من انجلترا لزيارتهم وتهنئتهم على نجاتهم من ايدى خصومهم وكان بصحبته زوجته (اللادى آنابلنت) وكان معهما القس (لويس الصابونجى) وتوجه بعد ذلك الزعماء السبعة والمستر بلنت وزوجته والقس المذكور الى « سراى مورجين » المعدة لاقامة ذلك الضيف الكريم مدة ضيافته . وهى على بعد ثلاثة أميال من الميناء بجبهة (متوال) وهى مشرفة على البحر .

وكانت السراى مزدانة بالأنوار الكهربائية وأقواس النصر مكسوة بالأزهار والرياحين وبأغصان (الكووتن) وبجريد نخل جوزالهند وعراجينه وبالقرنفل والموز والدوم والبرتقال والأناناس وبجميع أصناف الأزهار السيلانية وأثمارها ، حتى صارت السراى كما وصفها عرابى فى مذكراته . نزهة الناظرين وضمت بين جدرانها خلاصة أهل سيلان الكرام على اختلاف مذاهبهم وكان مكتوبا على اقواس النصر بالانجليزية **(مرحبا واهلا وسهلا بالصديق الوفى المستر والفرد سكافن بلنت)** . وقد أعدت له وليمة فى اليوم المذكور حضرها نحو مائتى مدعو من أعيان جميع

الطوائف فى سيلان . وبعد تناول الطعام قام الفيلسوف الكبير (محمد سدى لبى) المحامى والقى خطبة بالانجليزية يشكر فيها المستر بلنت على غيرته وانتصاره للعدل والحرية ومدافعته عن واجب الانسانية . ثم قام المستر بلنت والقى خطابا وجيزا شكر فيه أهل سيلان احتفاءهم به واكرامهم له .

ومكث المستر « بلنت » فى سيلان ٢٢ يوما سافر بعدها الى الهند فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٣ فشيعه الزعماء وأهل الجزيرة بأجمل مظاهر التوديع . ثم توجه بعد ذلك الى « حيدر آباد » ليشهد تتويج (النظام) اى أمير حيدر آباد (النواب حبيب الله) لبلوغه سن الرشد . وفى أثناء عودته توجه الى مصر الا أنه منع من دخول مصر بأمر (بارنج) الذى صار فيما بعد «اللورد كرومر» فتوجه الى الآستانة حيث قوبل بكل احترام وحفاوة وتقدير بأمر الحضرة السلطانية . وكان منعه من دخول مصر بسبب زيارته للبطل أحمد عرابى وصحبه ولصداقته الوطيدة لهم .

ثم عاد بلنت الى انجلترا . وكتب قصيدة بليغة بالانجليزية يشكو فيها الى الله من ظلم الانجليز واعتدائهم على مصر وبغيهم على الأمم الضعيفة ، وينذرهم بسوء المنقلب والانتقام العاجل من الله القادر ملك الملوك ورب الأرباب ، ويعزى مصر على ما أصابها من الظلم ، ويبشرها بالخلاص من ربقة الظالمين ، وأن الله سينصرها ويرد اليها مجدها وسؤددها ، وأن على الباغى تدور الدوائر ، وقد ترجم هذه القصيدة الى العربية القس « لويس الصابونجى » فجاءت كأنها من نبوءات النبى « حزقائيل » بانتفاضة ثورة مصر عام ١٩٥٢.
وبقى عرابى والزعماء الستة فى الجزيرة التى تبلغ مساحتها (٢٠) مليون أيكر « فدان انجليزى » وهى جميعها أراض خصبة . وعدد أهلها فى ذاك الوقت ثلاثة ملايين تقريبا منهم مائتان وخمسون ألفا من المسلمين والباقون من الشنكليز والتمل على مذهب « البوذا »

وبعضهم هنود على مذهب « براهما » وجميعهم أهل دعة وسكون وكرم يكرمون الغريب ويحسنون ضيافته واكرامه .

وفى يناير سنة ١٨٨٤ تكرم سلطان مملكة « جاهور » الهندية بزيارة الزعماء فى منفاهم وكان معه مستشار انجليزى واستغرقت الزيارة نصف ساعة عاد بعدها الى دار حكومة سيلان . وفى نفس العام زارهم اللورد « روزبرى » واللورد « مكدونلد » فى محل اقامتهم بجهة « متوال » وأخذ اللورد « روزبرى » يسأل عرابى عن حملة هكس فى السودان ، وهل هى كافية لدحر قوة محمد أحمد المهدى أم لا . وكانت المحادثة باللغة الفرنسية ، وكان محمود باشا فهمى يقوم بترجمة كلام اللورد « روزبرى » وهذا نص الحديث :

س : ما رأيكم فى دعوة مهدى السودان هل هو المهدى المنتظر عند المسلمين ؟

ج : وماذا يعنيكم من أمره ؟

س : ان أمره يهمنا كثيرا فان عندنا فى الهند ٦٠ مليونا من المسلمين وكلهم يعتقد أنه المهدى المنتظر بجمع شتات المسلمين تحت رايته .

ج : ان هذا الاعتقاد يعتقده كل مسلم ولكن له مقدمات لم تأت بعد .

س : اذن ليس هو بمهدى ؟

ج : كل داع الى العدل والاصلاح فهو مهدى ولكن غير المنتظر .

س : ان الحكومة المصرية أرسلت جيشا من عشرين ألفا

لقتاله بقيادة رجل انجليزى اسمه « هكس » فهل ترون ان هـذا الجيش كاف للتغلب على المهدى ؟

ج : نحن نرى أن وجـود قائد انجليزى على جيش مصرى يكون من صـالح المهدى فانه يحكم بكفر المصريين الذين يقاتلون المسلمين تحت قيادة مسيحية ويستبيح قتلهم بسبب هذه القيادة. واذا استولى على أسلحة هذا الجيش وذخيرته أصـبح قويا يخشى جانبه .

س : أى علاج فى نظركم لاطفاء شعلة ثورته ؟ .

ج : اننا نرى أنه قائم بدعوة دينيه وعلاجها أن يرسل له وفد من اجـلاء العلماء يحاجونه بالدليل والبرهان ويقنعونه بأن وقت المهدى لم يحن بعد فيرجع عن دعوته . وان كان طالب ملك فيجعل اميرا على السـودان تابعا للحكومة المصرية وعلى الحكومة المذكورة أن ترسل العلماء من القضاة والحكماء والمهندسين والمعلمين ، وتفتح المدارس ، وتجرى الاصـلاحات اللازمة فى الأقطار السـودانية لتمدينها ، وفى مقابل ذلك يعطى مصر جزية سنوية بنسبة دخلهـا ومصروفها ..

وفى اليوم التالى لهذه المحادثة توجه عرابى مع محمود فهمى الى دار الحكومة لرد زيارة اللورد المشـار اليه واللورد مكدونلد .

فوجدا أن اللورد روزبرى توجه الى صـيد الأفيال ، وأما اللورد مكدونلد فقد آخبرهما بورود تلغراف الى اللورد روزبرى يفيده بأن حملة هكس هلكت عن آخرها واستحوذ المهدى على جميع أسـلحة الحملة ومدافعها وذخيرتهـا وكان الأمر تماما كما توقع عرابى بالأمس !

وفى السنة المذكورة زار سيلان الدوق (أدف كنوت) ثالث أنجال ملكة انجلترا وكان قد تقدم وصوله الى الجزيرة حضـور

صديق العرابيين السير « وليم جريجوى » كاتم أسرار الملكة الذى قدم العرابيين الى الدوق عند وصوله الى رصيف الميناء ، فلاطفهم الدوق ودعاهم الى وليمة فخمة فى سراى الحكومة التى ازدهت بالأنوار والأضواء ·

عرابى ينشر دعوة الحرية ويشرح أسباب ثورته

ثم تمر الأيام سراعا كان فى خلالها عرابى ينشر على أهل الجزيرة دعوة الحرية ويشرح فى فصاحة أسباب قيام ثورته فى سبتمبر سنة ١٨٨١ وما قيل سبتمبر سنة ١٨٨١ · كما اهتم أيضا بتعليم أهل الجزيرة اللغة العربية والمسلمين منهم القرآن الكريم · حتى أصبح فى قلب كل فرد من أفراد هذه الجزيرة الكريمة مثال الصورة الحية الصادقة للزعيم والقائد والمعلم والملهم· حتى عاد مرة ثانية صديق العرابيين السير « وليم جريجورى » فى عام ١٨٨٧ وبالتحديد فى مايو من نفس العام ، وشاهد احتفال العيد الخمسين لجلوس الملكة فكتوريا على عرش انجلترا الذى أقيم فى ٢٠ يونيو سنة ١٨٨٧ · وقد أشار على العرابيين بأن يحرروا عريضة الى الحكومة الانجليزية طالبين فيها العودة الى بلادهم لانحلال قواهم بالنسبة لرداءة الجو ، ووعدهم بمساعدتهم بقدر امكانياته · ولكنهم حرروا عريضة التمسوا فيها نقلهم الى جزيرة قبرص لموافقة هوائها لهواء مصر مراعاة لصحتهم ، لأنه رجح عندهم أن الوقت الذى يجب أن يطلبوا فيه العودة الى مصر لم يحن بعد · وقدموا العريضة الى صديقهم المشار اليه فأرسلها الى الحكومة الانجليزية التى كتبت عنها للحكومة المصرية حيث رفضت بدورها اجابة طلبهم

وأشارت بارسالهم الى مدينة « الكاب » فى جنوب أفريقيـــا ، أو « زيلع » فى الشرق منها ، حيث كان رياض باشا رئيس الحكومة المصرية اذ ذاك لسوء الحظ • فعلل ربط ما يأخذونه من المعـاش الزهيد على ابعادهم عن مصر • كأنه لا يعلم أن ما يعطى لهم هو فى مقابل ما سلبته الحـكومة من أملاكهم ونهبته من أموالهم • فصبروا على ذلك وفضلوا البقاء فى سيلان على الانتقال الى الأصـــقاع التى اختارتها الحكومة المصرية •

معجزة فى المنفى

ثم بدأت حملة الفواجع والكوارث تصب كيلها على العرابيين من جديد وتزيد من حمى المأساة • ففى عام ١٣١٠ هـ توفى الى رحمة الله شهيد الوطنية والغربة البطل عبـــد العال باشا حلمى • وفى وفاته رأى أهل سيلان جميعهم عجبا حدثهم عن كرامة هذا البطل الراحل ، حين اجتمعت أسراب من الطير فوق نعش الشهيد الغريب تسير بسير الجنازة • حتى تم دفن جثمانه الطاهر فى مقبرة قسم « مردانه » وضريحه العطر مازال مشهورا يزار حتى الآن ، اعترافا بعظمته كواحد من أعلام الحرية وبطل من أبطال دعوة الحق وثائر من ثوار ثورة الجيش والشعب معا •

وبقى الزعماء الســـتة الباقون ينعون زميلهم وصديقهم • الا أن هذه الفجيعة لم تثن عرابى عن عزمه فيما ســـعى من أجله لتعليم أبناء الجزيرة • والمسلمين منهم أصول دينهم ولغة هـــذا الدين الحنيف • وفى سنة ١٨٩١ زارهم صديقهم السير « توماس لبتن » ولما رأى بعينيه ســـوء حالتهم الصحية من تأثير الرطـوبة والحـــرارة الملازمتين لمدينـة « كولمبو » تكرم بدعوتهم للتوجه الى

مزارعه فى البلاد العالية المرتفعة لطيب هوائها وحسن منظرها ترويحا للنفس • وقد تكفل بمصاريفهم وعين لمرافقتهم اثنين من وكلائه وهما المستر « فيزر » والمستر « بيوكتن » وأمرهمـــا بتلبية كل طلبات العرابيين حتى يصلوا الى مزارعه فى « دمبتنه » فقام عرابى من كولمبو ومعه على باشا فهمى والوكيـــلان المذكوران الى مدينة « كندى » العاصمة القديمة ومقر الحكومة ومنها الى « نورالبة » ومن هناك ركبوا المركبات وصعدوا الى سطح الجبل وأقاموا ليلتين فى فندق يقال له « جراند هوتيل » وهو على ارتفاع ٧٣٠٠ قدم فوق سطح البحر وهناك بلدة عامرة وبركة عظيمة طولها ميلان وعرضها ربع ميل ، وعليها بوابات محكمة الصنع تقذف ما يزداد من المـــاء المتجمع فيهـــا من الســـيل الى مجارى الوديان المنخفضـــة بترتيب هندسى • ولما سمع المسلمون بقدومهم حضروا لزيارتهم والاحتفال بهم أفواجا فى اثر أفواج • وفى اليـــوم الثانى زاروا مســـجدهم وسوقهم ثم توجهوا فزاروا منتزه « الهجاله » ويقع فى جنوب منتهى البركة الشرقى وتبلغ مساحته حوالى ٧٠٠ فدان • كما يوجد جبل مرتفع عن سطح البحر بمقدار ٨٣٠٠ قدم وعن أرض الفندق بمقدار ١٠٠٠ قدم وهو فى شمال « نورالبا » يرى الناظر من فوقه الفيله وأنواع الغزلان والمها والجواميس المتوحشـــة والوحوش أسرابا • فكان منظرا جميلا خلابا جعلهم ينسون بعض آلامهم وكان لنقاء الهواء هناك فضل كبير فى تقدم صحتهم فى زمن قليل •

وفى اليوم الثالث غادروا « نورالبا » الى « الهجاله » ثم تابعوا السير بعد ذلك الى أن وصلوا بلدة اسمها « ديكولا » فباتوا هناك فى محالات انشأتها الحكومة لنزول مستخدميها وغيرهم عند مرورهم لتادية واجبات ، أو للنزهه نظير دفع شىء كثمن الطعام أو أجر المبيت لمدير النزل بعد أن كتب ذلك فى دفتر خاص لحصر المصـــاريف وهكذا سلمت الأهالى من احتمال المصـــاريف الباهظه عند مرور

الحكام وأتباعهم عندهم كما هو جار في البلاد المصرية اذ ذاك .
وفى اليوم الرابع قاموا مبكرين وساروا الى أن بلغوا بلدة «ادم ولا»
فهرع المسلمون هناك لاستقبالهم بكل ترحاب ، ثم رحلوا الى بلدة
« بندراولا » . فباتوا فى نزلها وتمتعوا بهوائها النقى .

وفى اليوم الخامس سددوا خطواتهم الى « دمبتنا » وهنـاك
استقبلهم المسلمون وغيرهم بكل اكرام وتناولوا فيها طعام الغداء ثم
امتطوا جيادا كانت معدة لهم وصعدوا الى سراى السير « توماس »
وكان يحيط بهذه السراى بساتين نضرة وتكتنفها مزارع خضراء من
شجر البن والشاى والكينا ، وأنواع الورد وشجر الخوخ والبرتقال
وغيرهما . وأقاموا هناك فى ضيافة السير « توماس لبتن » شهرا
كاملا . ورأوا فى غضونه كيفية جمع ثمر البن ، الذى يشبه تماما
ثمر النبق . وطريقة بشره وغسله ونشره ، وكذلك زراعة الشاى
وكيفية جمع أوراق أطراف الأغصان وفرمها ونشرها حتى تذبل ثم
ادخالها فى فرن طوله ٨ أمتار وأخراجها منه ثم وضعها فى غرابيل
تفرزها الى أربعة أصناف لكل منها قيمة معلومة ، ثم تقطع أوراق
الشاى الخضراء التى تشبه ورق الملوخيه الى قطع صغيرة جافه وتكون
تامة الصنع صالحة لأن توضع فى صناديقها فى مسافة لا تزيد
على ساعة واحدة .

هدية عرابى لمصر والمصريين

ولعدم وجود البن فى مصر أرسل عرابى هدية الى صـديقة
المرحوم أحمد باشا المنشاوى تقاوى تكفى لزرع عشرين فدانا حتى
يعمم انتشاره . كما أرسل لهذا الغرض أحسن أنواع « المانجو » ،
و « الموز » الأحمر والأصفر المضلع أيضا وغيره من الأصناف المتعددة

من الفاكهة زكيــة الرائحة لذيذة الطعم التى أراد انتشــارها فى مصر حيث كانت غير معروفه فى ذاك الحين وأيضا أنواع الحبهان والقرنفل و « البانيلياه » • فكان لعرابى الفضل الأول فى ادخال كل هذه الأنواع مصر لأول مرة لتكون له ذكرى خالدة عطره فى نفوس المصريين كافه •

ثم زاروا مزارع صديقهم المستر « لبتن » بجهر « بيراسيا » ومكثوا بها شهرا أيضا •

وعادوا بعد ذلك الى « دمبتنا » وأقاموا فيها ٤٠ يوما كأربعين لحظة فى سرور وراحه • وذلك بفضل اعتناء المستر « موريس » ناظر مزرعة « دمبتنا » والمستر « برى » ناظر مدرسة « بيراسيا » ثم عادوا الى « كولمبو » شاكرين لصديقهم السير « توماس لبتن » معجبين بكرمه •

وتمر الأيام بطيئة مكتهلة ، حتى كان عام ١٨٩٢ حين انتقل أحمد عرابى الى مدينة « كندى » عاصمة الجزيرة قديما وفى هذه المدينة آخذ أحمد عرابى على عاتقه أن يقيم بها وذلك لقرب مناخها من مناخ مصر فى فصل الربيع ، وقد أمر الحاكم الســـير « ارثر غردون » بسفر عرابى وأسرتهالتى كانت معه فى صالونه الخــاص بالسكة الحـــديدية • وكان قد استأجر له ولعائلته منزل المســتر « فيجانيكا » حاكم البلدة وهناك أقام عرابى الى أن عاد مرة ثانية الى بلاده • وكان قد سبقه بالاقامة فى مدينة كندى صديقه وزميل كفاحه محمود سامى البارودى وزميلاه يعقوب سامى وطلبة عصمت ثم قـــام على أثرهم زميلهم المخلص الوفى على فهمى ولم يبق فى كولمبو اذ ذاك غير محمود فهمىلمرضه بالشلل فى جانبه الأيسر • وفى ٤ ذى الحجه سنة ١٣١٢ هـ حضر محمود فهمى الى « كندى » لتغيير الهواء ونزل ضيفا على الابن الأكبر من أبناء عرابى وهو محمد

أحمد عرابى . ولكن أجله لم يمهله حيث توفى فى ليلة ١٣ من الشهر المذكور ودفن بمقبرة « منيرة كندى » .

عرابى سيد العرابيين

لقد كان عرابى كما ذكرت سالفا مهتما بنشر دعوة الايمان ودعوة تحصيل العلم وتلقين أبناء منفاه من المسلمين أصول دينهم الحنيف ، وتفهيم أهل منفاه دواعى ثورته وأسباب هزيمة تلك الثورة ، حتى لقبه أهل سيلان بلقب « سيد العرب » وانشأ جامعة لا تزال هناك مهدا لتلقى العلم وذكرى خالدة من ذكريات عرابى فى المنفى وهى جامعة « **الزهراء** » أو « **جامعة عرابى** » كما يقال عنها وبقى هكذا عرابى المعلم الملهم ، والزعيم المخلص رمزا للزعامة الفائقة والبطولة الخارقة والايمان القوى بالله جل جلاله وبالحرية وبالعدالة وبالمساواة . حتى كان عام ١٩٠٠ م ففى فبراير سنة ١٩٠٠ صدر ترخيص لطلبة عصمت بالعودة الى مصر بناء على قرار جمعية من الأطباء ، بأنه اذا لم يعد الى بلاده فلن يعيش أكثر من خمسة أشهر ووافق على ذلك حاكم سيلان السير « ردجوى جوزيف » فعاد الى مصر ولكنه لم يعش أكثر من المدة التى قررها الأطباء فلبى دعوة ربه ودفن بمقابر الامام الشافعى رضى الله عنه .

وحدث لمحمود سامى البارودى ارتشاح فى « القرنيتين » أفقده البصر ، وقرر مجلس الطب وجوب عودته الى بلاده لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه . ووافق على ذلك حاكم الجزيرة المذكور فترخص له بأمر الخديوى العودة الى مصر . فعاد فى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٠ وقد نال رضى الحضرة الخديوية ، ومنح حقوقه المدنية ، وردت اليه أملاكه الموقوفة ، واستولى على ريعها

المتجمد مدة نفيه من ديوان الأوقاف ، ولكن لم يعد اليه بصره الى أن مات .

وفى شهر اكتوبر سنة ١٩٠٠ م توفى يعقوب سامى ودفن بجوار قبر صـــديقه وزميله البطل محمود فهمى بمقبرة « منيرة كندى » فنعاه عرابى الى حاكم سيلان ، فكتب حاكم سيلان خطاب تعزية الى زوجته وابنته وذكر فيه أنه صدر له الأمر بالعودة الى وطنه المحبوب وكان يود أن يبشره بذلك لولا أن القدر لم يسمح له بأن يرى بلاده ، وبعد سداد ديونه من مرتبه الذى كان يصرف لامراته ، أرسلت وابنتها الى مصر على حساب الحكومة المصرية فى الدرجة الأولى .

وقام عرابى وفاء منه وعرفانا وتقديرا لزميل جهاده يعقوب سامى ، بارسال ابنه على أحمد عرابى مع زوجة صديقه وابنتهـا لحفظهما ورعايتهما حتى يصلا الى وطنهما .

وبقى عرابى وعلى فهمى ، بعد أن مات عبد العال حلمى ومحمود فهمى وطلبة عصمت بعد رحيله الى مصر ومات أيضـا يعقـوب سامى . ورحل عنهما محمود سامى البارودى .. أجل بقى عرابى وعلى فهمى ينعيان أصدقاء العمر وزملاء الجهاد والكفاح وبقى كل منهما ينتظر دوره اما فى الممات أو فى الرحيل الى وطنه الغالى . وفى عين كل منهما دمعة على ماضى المجد والشباب .

وحـدث فى ١٢ مايو سـنة ١٩٠١ ان زار مدينة كندى « ركاب » ولى عهد الحكومة الانجليزية . وفى يوم ١٤ من الشهر المذكور التقى بعرابى الذى لقى منه كرما وحلما وكمالا . وجلس فى حضرته نحو ربع ساعة ، سأل فيها ولى العهـد المذكور عرابى عن صحته وحالته ، ووعده بالسعى لدى الخديوى لاعادته الى الوطن ثم جرت المخابرة بين ولى العهد وبين الحكومة الانجليزية

والحكومة المصرية فى هذا الصدد . وفى ٢٤ من الشهر المذكور وصلت عرابى وزميله برقية من حاكم الجزيرة يقول فيها انه قادم الى كندى ليبشرهما بصدور أمر الخديوى بالعفو عنهما وعودتهما الى وطنهما العزيز . وعند حضوره توجه عرابى وعلى فهمى والتقيا به وقدما شكرهما له وعرضا عليه أن لهما الحق فى السفر على حساب الحكومة التى حملتهما الى تلك الجزيرة . فأخذ بيانا بعدد الأنفس التى معهم . وكتب الى الحكومتين الانجليزية والمصرية بهذا الشأن . فصدر الأمر بسفرهما ومن معهما على حساب الحكومة المصرية .

فاستعدوا لذلك وشرعوا فى تسديد ما عليهم من الديون شيئا فشيئا ، حتى ابرأوا ذمتهم وطرحوا عن كاهلهم حملا ثقيلا . وفى شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بارح على فهمى جزيرة سيلان بعد أن ودع صديقه عرابى ودخل القاهرة فى أول سبتمبر من السنة المذكورة .

عودة عرابى إلى أرض مصر

وفى ٤ سبتمبر سنة ١٩٠١ بارح عرابى وأسرته مدينة كندى صباحا وقد أعد صالون الحاكم خصيصا لعرابى ومن معه فأقلهم القطار الى كولمبو . بعد أن احتفل أهل كندى بوداعهم احتفالا عظيما اختلطت فيه الدموع بالابتسامات . دموع الفراق وابتسامات الفرحة بلقاء عرابى بوطنه وأهله وعشيرته . وقد غصت أرصفة المحطة بالمودعين ، وفى مقدمتهم محمد أفندى يوسف والدكتور « كيت » طبيب عائلة عرابى ، وابراهيم لبى وغيرهم ، ولما وصلوا ثغر كولمبو نزلوا فى بيت صديقهم « كرمجى

جعفرجى » الكائن فى « بمبلابتيا » واقاموا به ١٤ يوما فى انتظار السفينة المسماة « البرنس هنرى » الالمانية الآتية من الصين وفى تلك المدة دعى عرابى تقديرا لعظمته وكفاحه وبطولته وعلمه لتوزيع المكافأة على الناجحين من تلاميذ مدرسة « ميردانة » الاسلامية التى صار افتتاحها بحضور عرابى ، على نفقة المسلمين تحت رئاسة « وبش ماركار » وولده عبد الرحمن العضو العامل فى مجلس الحكومة عن طائفة المسلمين ، وكذلك زار عرابى المدرسة « الحميدية » لتوديع أساتذتها وطلبتها ، ثم زار بيوت الأعيان بالثغر ونبهائه .

وفى أصيل ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠١ الموافق ٦ جمادى الآخر سنة ١٣١٩ دخلت السفينة « البرنس هنرى » ميناء كولمبو وتغطت صفحة الماء بالزوارق والرفاصات وتكدست جموع المودعين حتى أن عرابى وأولاده لم يتمكنوا من الوصول الى السفينة الا بشق الأنفس . ثم تليت عليه قصائد التوديع من نخبة أهل سيلان ثم سلمت اليه فى محافظ من الفضة الخالصة بديعة الصنع .

وبعد الغروب نزل المودعون وهم يبكون للفراق ، وتفرقوا جماعات ووحدات وقد أمطرت السماء فى تلك اللحظة مدرارا كأنما تفتحت ينابيعها فنزل السيل كأنه من أفواه القرب ، والطيور محلقة فى الجو فوق الميناء أسرابا كأنها أتت لتودع مع المودعين الزعيم أحمد عرابى أو لمشاهدة ذلك الاحتفال الكبير لوداع بطل الحرية . ثم أقلعت السفينة بعد ساعتين من مغادرة تلك الجموع الهائلة ، تمخر فى عرض المحيط الهندى لأول مرة وكانت حمولتها كما يقول عرابى فى مذكراته ١٢٠٠٠ طن وسرعة سيرها بنسبة ١٦ عقدة فى الساعة وهى مستوفية لأسباب الراحة ، وكانت الريح هادئة وما هو الا القليل حتى غابت شواطىء الجزيرة عن العيون وقصر مدى الابصار عن ادراكها ، فلم يعد يرى عرابى

وأسرته غير مسبح الفلك ، ومسرح الحوت ، فباتوا الليلة ولم يطعم الكرى أجفـــانهم فرحين بقرب رؤية الوطن الحبيب ، حتى خيل اليهم أن السفينة لا تسير مع أنها كادت تطير لشـــدة سرعتها وودوا لو أن لهم أجنحة فيطيرون ، وراحوا جميعهم يرددون تلك الليلة قول الشاعر :

رياح الفــلا هلا تكونين مركبى
فان بخار القطر ليس بمعسف

ولما كان الصباح قاموا مبكرين واشرفوا على منظـــر يأخذ بمجامع القلوب ويستهوى النفوس ، فقد رأوا الشمس بارزة من خدرها ، وقد أرسلت أشعتها الأرجوانية على أديم الماء ، فأخذ يلمع كالذهب الوهاج ، واينما القوا بصرهم رأوا سبيكة من النضار لا تستبين آخرها العيون . وعلى هذا النمط مرت الأيام والليالى حتى اجتازت السفينة خليج عدن وهى تتهادى فى مياه البحر الأحمر كأنها عروس فى ليـــلة زفافها تميل ذات اليمين وذات الشمال معجبة بدلالها وعظمتها ، وبعد أن قطعت نحو ثلاثة آلاف ومائتى ميل ، رست فى ميناء السويس فى غروب يوم ٢٩ سبتمر سنة ١٩٠١ الموافق ١٤ جمادى الآخر سنة ١٣١٩ فباتوا تلك الليلة فى السفينة ، وفى الصباح ودعوا من فيها وخرجوا الى البر وهم يلهجون بأنواع الدعاء الى الله سبحانه وتعـالى لوصولهم الى بلادهم سالمين بعد مضى ١٩ عاما ذاقوا فيها وتحملوا مكرهين ألم الفراق والغربة . وهناك نزلوا فى بيت الشيخ « البخارى » بعد أن كتبوا الى محافظ المدينة اذ ذاك ويدعى مصطفى بك ماهر الذى كان تلميذا من تلاميذ السيد عبد الله نديم وكان معروفا بحب الحرية والوطنية ، الا أنه جبن وتنكر لعرابى وأعرض عنه ولم يتنازل حتى بالرد عليه . فأرسل عرابى تلغرافا الى قائمقام الحضرة الخديوية وكان فخرى باشا فكتب بدوره الى مصلحة

السكة الحديدية بتخصيص صالون لنزول عرابى ومن معه من افراد عائلته من السويس الى القاهرة على حساب الحكومة وكان عدد عائلة أحمد عرابى وحاشيته ٢١ شخصا .

وفى أول أكتوبر سنة ١٩٠١ برحوا السويس ووصلوا القاهرة قبيل الغروب .

وقد كان ازدحام المودعين من أهل السويس كبيرا ، وكذلك كان استقبالهم فى الزقازيق وبنها والقاهرة يزيد على الوصف والتعبير برغم التنبيه والتشديد بعدم التجمهر والاحتفاء بقدوم عرابى . وعندما نزل عرابى ومن بصحبته فى محطة مصر ، اخذوا المركبات المعدة لهم الى منزل أولاده الذين كانوا يحيون بالقاهرة بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت ــ بالسيدة زينب . واجتمع بهم بعد غياب تسعة عشر عاما وأربعة أشهر . وقد صدق من قال : ــ

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وعاش بعد ذلك عرابى حياته فى مصر كالغريب ، مقيد الحرية .

حرمان عرابى من الصلاة فى بيوت الله

ومن غرائب الحياة أو قل من غرائب الحكم فى بلاد انتهبت ظلما وعدوانا . أن حرم ابن البلاد حتى من تأدية صلاة الجمعة فى المسجد الذى كان يؤدى فيه الخديوى أو حاشيته الوضيعة صلاة الجمعة . حتى أن عرابى ذات يوم من أيام الجمعة رؤى وهو يصلى الجمعة بمسجد السيد زينب رضى الله عنها .

وبعد الصلاة تجمهر حوله لفيف من المصلين يحيونه ويباركون عودته الى وطنه . فاشتد لذلك غضب الحاكم وامر بالقاء أشد صنوف العذاب حقدا على كل من هم بتحية عرابى . ثم أرسل أحد مندوبيه الى عرابى فى منزله ليبلغه أمر الحاكم بعدم تأدية فريضة الصلاة فى الجامع الذى يؤدى فيه الحاكم أو من يلوذ به . فتعجب عرابى لهذا ولم يجد بدا من أن ينظر الى السماء ليخاطب ربه القادر على هذه المظالم والمساخر .

وبقى عرابى ومعه أولاده كالغرباء المنبوذين ، لا يستطيع أن يتفوه أحد من ابناء مصر باسم عرابى ولا يقوى أحد من أبناء مصر أن يجسر على زيارته الا خفية خوفا من بطش المستبدين ومن مظاهر السخرية أن بعض العامة اعتقدوا تحت تأثير سموم السلطة أن عرابى هذا خائن تسبب فى احتلال البلاد ومن ذلك أن الابن الأصغر من أبناء عرابى يدعى عبد القادر دخل على أبيه يوما وهو يبكى . وحين سأل عرابى ابنه عن سبب هذا البكاء . تحشرجت الكلمات فى حلق الطفل الصغير الذى كان لم يبلغ بعد الرابعة من عمره ثم أجهش بالبكاء ثانية ثم قال : : لقد صفعنى أحد الاولاد بلا سبب وقال لى بعد أن بصق على وجهى انك ابن عرابى الخائن لوطنه ..

فربت عرابى على كتف ابنه الصغير وقال :

لا تبك يا بنى ، ان أباك ليس بخائن ، ولسوف يأتى اليوم الذى يعرف فيه الجميع عظمة أبيك !!

لم يدهش عرابى من كل هذه التفاهات ، لأنه كان يعلم أنه لابد أن يحاول المستعمرون وحاكم البلاد أن يشوهوا حقائق تاريخ الثورة العرابية ليظفروا برضاء أبناء الأمة المهيضة الجناح ويكسبوا حبهم بمثل هذه الأكاذيب والافتراءات . ولذلك أو عزوا الى

المؤرخين أن يشوهوا صورة عرابى وصفحة تاريخ ثورته ليظهروه أمام شعبه وأمام أبناء وطنه خائنـا لوطنه وسـببا فى احتـلال هذا الوطن .

حتى أن شاعر القصر الذى ترعرع فى بلاطه اراد هو الآخر أن يلطخ اسم عرابى فكتب بايعـاز من سـيده قصيدة كلهـا ذم وتحقير من شأن عرابى حيث قال فى مطلعها :

صغار فى الذهاب وفى الاياب ... أهذا كل شأنك يا عرابى

وكان هذا الشاعر هو أحمد شوقى

وهكذا عاش عرابى حياته بعد عودته من منفاه وعاش معـه أولاده وبناته وعائلته حياة كالعـدم محفـوفة بكل ألوان الضيم والسخرية والاستهتار بحقه كزعيم نادى بالحرية وبدستور أسنه

عرابى يطالب برد أملاكه المصادرة

وفى اليوم الثامن من شهر يونيـو عام ١٩٠٥ حاول عرابى الكثير والكثير من المحاولات لاسترداد حقوقه المسـلوبة واملاكه المنهوبة . فقد كتب فى هذا التاريخ خطابا الى « اللورد كرومر » نوه فيه بما ضمنه تقرير اللورد عن مصر والسـودان فى السـنة السابقة من أن الثورة العرابية كانت ضد العسف وسوء الحكم . ثم قال عرابى : أن الحكومة السـابقة المسـتبده الظالمة سـلبت ونهبت أملاكه بغير حكم شرعى ، وطالب برد هذه الأملاك والأموال أو تعويضه عنها لتكون معاشا بعـد وفاته لعائلته التى تزيد على خمسين شخصا . فكان جواب اللورد انه يأسـف لعـدم امكانه التدخل فى مسألة نظرت فيها الحـكومة المصرية عام ١٨٨٢ . مع أن اللورد كان له مطلق التصرف فى الحـكومة ولاراد لأمره اذا

أمر .. وفى ١٩ ديسمبر من تلك السنة كتب عرابى الى مستشار المالية المصرية مطالبا اما برفع المرتب السنوى المقرر له من الحكومة المصرية من ستمائة جنيه الى الفى جنيــه طبقا لما وعد به اللورد « دوفرين » عقب حوادث سنة ١٨٨٢ ، واما برد أملاكه المنهوبة بغير حكم شرعى قانونى وريعها يزيد على ٣٠٠٠ جنيه فى الســنة أو تعويضه عنها احقاقا للحق وحفظا لكرامة عائلته ، فرد المستشار فى ٢٨ ديسمبر بأنه يأسف لأنه لا يقدر على أن يشير على الحكومة المصرية بتحقيق ما طلبــه عرابى ، فلجأ الى رئيس الوزراء ثلاث مرات فلم يجب بكلمة ما ، لأنه لا يقدر على شىء . ثم عاد فى ٣٠ مارس ســـنة ١٩٠٦ وكتبت الى ولى عهـــد انجلترا البرنس « أوف ويلز » لمناســبة وجوده بقصر عابدين أثنــاء زيارته لمصر للتوسط لدى الخديوى لمنح عرابى حقــوقه المدنيــة ورد أملاكه المسلوبة أثر ترتيب معاش معادل لها تتوارثه ذريته من بعده . كما كتب بذلك الى الحضرة الخــديوية ومصطفى فهمى باشا رئيس الوزراء وللورد كرومر . فتلقى عرابى فى ١١ أبريل التـــالى من سكرتير ولى عهد انجلترا أن أعمال سموه لا تسمح له بالتوسط المطلوب . كما تلقى من اللورد كرومر ردا بهذا المعنى ولم يتلق ردا من الخديوى أو رئيس نظاره .. وفى ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ سلم عرابى . أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخــديوى التماســا لعرضه على الخديوى لاتمام العفو عنه حيث كان العفو عفوا أبتر لمنحه الحقوق المدنية ورد أملاكه وتسوية معاشه . فوعد بعرضــه ولم تظهر أية نتيجة فعلية .

ولم ييأس عرابى فى المطالبة بحقوقه وأملاكه ففى ١٠ مايو من السنة المذكورة كتب فى ذلك الى رئيس الحــكومة الانجليزية ووزير خارجيتها ورئيس البرلمان الانجليزى والى كثير من الأحرار الانجليز فتلقى فى ٢١ اغســطس التــالى من وزارة الخــارجية

البريطانية ردا أحالته فيه على الحكومة المصرية . وهكذا تبين له أن الحكومة المصرية لا تريد أن تسمع لصوت الحق ولا ترد على من يخاطبها ، أو هى لا تقدر على عمل يخالف ارادة الانجليز . كما تبين له أن الحكومة الانجليزية لا تريد أن تتوسط فى اقامة العدل وردع الظلم ورد أملاكه المنهوبة بقوة الاحتلال ، وتحيل شكواه الى حكومة الخديوى عباس حلمى الثانى التى لا تقدر على عمل ما بغير أمر الانجليز .

فصمت عرابى وكف عن المطالبة بقلب يقضمه الأسى. وعكف على مذكرات حياته ليكتبها ويوضح فيها معالم الظلم الذى ألم به . بعد أن وجد سفينة آماله ترتطم بصخور الظلم فى محيط الطغيان . ولم يجد أمامه غير قلمه ليودعه أناته وآلامه .

فأوصى أولاده وأحفاده من بعده وذريته بالمطالبة برد الحقوق المسلوبة قائلا :

« لذلك تركت لأولادى وأحفادى من بعدى ولذريتى جيلا بعد جيل ، الحق فى المطالبة بحقوقى وأملاكى المنهوبة ، من الحكومة المصرية ومن المجلس النيابى المصرى ، حين تسترد الأمة حريتها واستقلالها ومجلسها النيابى·وانى واثق بأن أمتى المصرية الكريمة لا تنسانى ، ولا تترك أولادى حين يأتى اليوم الذى تعرف فيه حقيقة أعمالى الوطنية الواجبة على كل وطنى حر » .

لقد صدر قرار مجلس قيادة ثورتنا فى ٨ نوفمبر عام ١٩٥٣ باعادة أملاك عرابى الى ورثته . واعلانه بأن ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ما هى الا امتداد لثورته . وقررت حكومة ثورتنا صرف مبلغ ٢٠ ألف جنيه كاسعاف للأسرة الصابرة وعدت باعادة النظر فى رد أملاك عرابى فى أول سانحة عادلة تسنح لرد الحق المنهوب ..

وفى عام ١٩٦٧ أصدر الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قرارا بصرف معاش استثنائى لكل ابن من أبناء أحمد عرابى على أن يتوارث هذا المعاش الأحفاد الى الأبد . وقد قدر المعاش بمبلغ ٩٠ جنيها لكل ابن . الا أن القرار العادل المشار اليه أدخل ضمن لائحة قانون المعاشات . فحرم بذلك الكثيرين من الأحفاد ، برغم صراحة ووضوح القرار الجمهورى لاصلاح حال أسرة عرابى اجتماعيا .

لقد لقى عرابى ربه فى ٢١ سبتمبر عام ١٩١١ . عامر القلب بالايمان والنفس والروح بالتقوى ، ليبقى فى سمع الزمان خالدا فى سجل الخالدين ، على الرغم من العدد القليل الذى شيع جثمان عرابى الى مثواه الأخير بمدفنه فى صحراء الامام الشافعى .

فقرات من افتراءات مؤرخ

أشرنا من قبل الى قصيدة شوقى التى سخر فيها من عرابى ، ولم يكن شوقى فى ذلك غريبا ، فقد صنع مثله كثيرون من الكتاب . بل ان مؤرخا معروفا نقدره ونحترمه وقع فى مثل ما وقع فيه شوقى ، وهو الأستاذ عبد الرحمن الرافعى مؤلف كتاب « أحمد عرابى الزعيم الثائر » الذى طبع ثلاث طبعات آخرها بعد وفاته .

وسنشير هنا الى أهم فقرات ذلك الكتاب التى حفلت بالأخطاء والظلم لشخصية عرابى .

يقول الرافعى :

« فى شخصية عرابى تجتمع المحاسن والأضداد . ولقد كان لكل منهما أثره فى الدور الذى قام به فى تاريخ مصر السياسى

ولا بد لكى تكون لدينا صورة صحيحة لهذه الشخصية الكبيرة أن نعرف مزاياها ونقائصها أو مالها وما عليها » .

ويستطرد قائلا : « ان عرابى لم يكن على حظ كبير من الكفاية السياسية وبعد النظر . ومن هنا جاء شططه فى كثير من المواطن ، وعدم تقديره للأمور وملابساتها .. وعرابى معذور فى ذلك لأنه لم ينل حظا كبيرا من الثقافة والالمام بشئول السياسة وأطوارها . فهو لا يعدو أن يكون ضابطا من تحت السلاح ، لم يتخرج فى المدارس الحربية ولا المدنية ، ولم يعلم نفسه بنفسه تعليما ناضجا ولم يكن له من العبقرية ما يغنيه عن الدرس والاطلاع والتحصيل » .

ويقول ايضا : وكان علمه محدودا . فقد تلقى فى الأزهر بعض قشور من العلوم الفقهية واللغوية . ولم يطل مكثه به أكثر من أربع سنوات ولم يزد محصوله العلمى عن بعض الآيات الشريفة والأحاديث النبوية ، استظهرها وتفهم معناها . وبعض المطالعات الأدبية من آثار السلف الصالح ، وكتابات الصحف الوطنية فى ذلك الحين .. وهذا المحصول لا يكفى لتكوين الرأس المدبر للثورات ، القدير على تذليل المعضلات وحسن التصرف فيما يعرض على البلاد من أحداث !!

لم يصل الى ما وصل اليه من مركز مرموق ورتبة عالية . الا بذكائه ونضوج عقله فكان يحظى فى كل امتحان بالأولوية الساحقة على ضباط الحربية الذين يتحدث عنهم المؤرخ المذكور والذين تخرجوا فى المدارس الحربية حتى وصل الى رتبة القائمقام فى سن لم يصل الى هذه الرتبة مصرى سواء فى مثل سنه أو يزيد وأخذ يتدرج الى ان وصل الى رتبة اللواء !! .. اليس هذا يكفى لاظهار علمه وذكائه وفطنته ونضوج عقله ؟ .. والا فكيف وصل الى هذه

الرتبة ؟ كيف وصـــل الى منصب وزير الجهادية والبحرية دون سواه من المصريين ؟؟ .. ولو كانت هذه الالقاب والرتب تبـاع في ذلك الحين ، لحرم منها احمـد عرابى لأنه مصرى . ولكن لعلمه وشجاعته وذكائه استطاع أن يصل الى كل هذا وكان فى امكانه الوصول لأكثر من هذا لو أراد ولكن نبل أخلاقه كان يضع حرية الوطن فوق كل اعتبار وحق الشعب فوق كل حق ، وكرامة المصريين فوق كل كرامة . والدليل على ذلك رفضـه الأريكة الخديوى حين عرض عليه أن ينادى به خديويا على مصر .

ويقول الرافعى فى موضع آخر من كتابه : ــ « **ومما يؤسف له أن عرابى كان على جانب كبير من الغرور ، وقد كان ذلك من العوامل الفعالة فى اتجاهه السياسى ، فمن ذلك انه حين تحفزت انجلترا لضرب الاســكندرية ابان له بعض مواطنيه ضرر الحرب وسوء مستقبلها فكان يقول « أنا اقوى من دولة الانجليز ودولة فرنسا » وقال « أن الطوابى والعساكر المصرية لا تقاوم الانجليز فقط بل جميع الدول مدة ثلاث سنوات بحيث لا يمكن لأحد دخول مصر » وكان ظنـه أن الانجليز لا طاقة لهم على قتال البر ، وأن قوتهم محصورة في البحر وفى ذلك كان يردد هو وانصاره كلمتهم المأثورة « الانجليز كالسمك .. اذا خرج من البحر هلك » وهذا من الغرور النـاشىء عن الجهل لا محالة** » وردا على هذا أقول ان عرابى لم يكن مغرورا ولم يكن كاذبا حين قال انه أقوى من دولة الانجليز ودولة فرنســـا . ولولا خيانة حاكم البلاد وارتمائه بين أحضـــان الانجليز وخروجه بلا شك عن دينه وخضوعه للانجليز حرصا منه على عرشه لتغير مجرى أحداث ضرب الأسكندرية منذ بدء الشغب فى ١١ يونيو حتى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ . ولو كان هذا الحاكم مصريا صميما فى مصريته لما جرؤت انجلترا فى يوم من الأيام على ارتكاب ما ارتكبته من آثام ، ولكن ماذا يمكن أن

أقول أو يقول غيرى ، غير أن الحاكم الذى يتربع على عرش الأريكة الخديوية « توفيق » كان عدو بلاده .

ومع ذلك فقد ظهر صدق عرابى فى أنه أقوى من دولة الانجليز حين انتصر عليهم فى كفر الدوار والقصاصين والمحسمة، تلك المعارك التى ضرب فيها الجيش المصرى أروع الأمثال للبسالة والاقدام . وقد تولى عرابى خلال هذه المعارك القيادة الفعلية ، ولم يندب غيره من القواد ليحمل عبئها فى ميادين القتال . ولكنه كقائد وزعيم ووزير أيضا كان يخطط ويشرف بنفسه على ما وضعه من خطط القتال فى قلب ميادين القتال . ومن قرأ كتاب المؤرخ السالف ذكره سوف يجد بلا شك أنه يناقض نفسه بنفسه حين يقول : « **ان عرابى لم يتمرن على ضروب القتال ولا خاض غمار الحروب فى ماضيه ولا فى حروب الثورة نفسها** » . .

فهل نسى المؤرخ ما كتبه فى صفحة كتابه رقم (١٨٠) تحت عنوان « عرابى فى الميدان الشرقى » لن أقول شيئا أكثر من أن أطالب القراء الأعزاء بالاطلاع على كتاب المؤرخ ليعرف الجميع أن عرابى لم يترك مواقع القتـــال لحظة ، وليس كما قال المؤرخ « **أن عرابى لم يباشر الدفاع عن الحصون فى الاسكندرية ، ولما انسحب الى كفر الدوار عهد بقيادة الجيش المرابط بها الى طلبة باشا عصمت ، ولما تحرجت الحال فى الشرق وانتقل الى رأس الوادى لم يتسلم زمام القيادة فى معركة القصاصين التى كانت اشد معركة نشبت بين المصريين والانجليز ، بل عهد بها الى الفريق راشد باشا حتى واللواء على باشا فهمى ، وترك القيادة فى معركة التل الكبير الى على باشا الروبى ؟** » .

كان الأجدر الا يذكر المؤرخ كلمة « انسحب » وكلمة «انتقل» لأن فى ذكر الكلمتين دلالة على أن عرابى خاض غمـار الحروب

واشترك فيها . فكونه انسحب الى كفر الدوار دلالة على قيادته للجيش الذى انسحب به الى كفر الدوار بعد ضرب الاسكندرية لحماية المدينة ، وكذلك كونه انتقل الى رأس الوادى برهان يؤكد قيادة عرابى بالفعل للجيش فى هذه المعارك . وليس معنى أن يعهد الى قائد من قادة الجيش بقيادة موقع أنه ترك له القيادة كلها .

هل كان المؤرخ يريد أن يحارب عرابى فى جميع الجهات بمفرده دون الاستعانة بقادة جيشه وضباطه بمفرده يدافع بيمينه فى كفر الدوار وبيساره فى القصاصين وبراسه فى موقعة القصاصين الثانية وبساقه فى التل الكبير ؟؟

وفيما يختص بأسباب اخفاق الثورة العرابية ، فقد صور الرافعى الوضع القائم بأنه انقسام جعل من البلد معسكرين متحاربين ، معسكر الثورة ، ومعسكر الخديوى ، فوقع الاصطدام بينهما ، وتفاقم امره . وانه لمن المستغرب أن يقال عن ثورة بأنها انقسام جعل من البلد معسكرين ؟

وأصبح الأمر خلافا يتسع ويتفاقم حتى كان من امره أن اعتزم العرابيون خلع الخديوى ، وتحدثوا فى ذلك علنا وهذا أقصى مظاهر التنازع والشقاق بين أبناء البلد الواحد !! ..

هذا ما قاله الرافعى فماذا كان ينتظر من استبداد حاكم يحكم البلاد بظلمه وبعده عن كل وجوه العدالة ؟

ماذا كان ينتظر المؤرخ أن يقابل حكم توفيق واستبداده ؟ هل كان من الواجب أن يقابل مثل هذا الحكم بالحفاوة البالغة وسعة الصدور والابتسامة العريضة والخضوع والسجود أمام صولجان حكمه ؟ . ثم أين هم ابناء البلد الواحد ؟ .. أيعتبر المؤرخ أن

الخديوى ابن من أبناء الأمة المصرية ؟ .. لو كان هذا صحيحا ، لسارت الأمور طبيعية وببســـاطة وما كانت الأمور تتفاقم حتى تجعل المؤرخ المذكور يصفها بالإنقسام بين أبناء البلد الواحد ! ..

وقد تناول المؤرخ موضوع « قناة السويس » قائلا : — **« وقد تجلى عدم الكفاية الحربية فى احجام عرابى وصحبه عن سد قناة السويس عند ابتداء القتال وهذا المثل وحده يدلك على جهل تام بفنون الحرب »** وردا على ذلك أشير الى أن عرابى أمر بردم القنـــاة ويكفى أن أقول هنا أن خيانة الخديوى وخضوعه لآراء وأوامر انجلترا وخيانة بعض الضباط أمثال على يوسف خنفس ونفر قليل من جيش مصر فى تلك الآونة ، كان له الأثر الكبير الفعال فى اخفاق الثورة العرابية ، وليس من الحكمة فى شىء أن يخوض عرابى غمار حرب ضد انجلترا بألف جندى أو ألفين بعـد هزيمة التل الكبير ولهذا ضحى عرابى بنفسه حقنا للدماء وحرصا على أرواح أهله وعشيرته من أبناء مصر الذين رأوا أنفسهم فى موقف من أحلك المواقف التى شهدها القرن التاسع عشر .

وهكذا بعد أن قدمت الصورة الصادقة لحياة وكفاح البطل الفلاح أحمد عرابى ، وأظهرت الحقائق الجلية تصويبا لأخطاء جاءت على لسان أحد المؤرخين حاول أن يقذف عرابى بشتى صنوف الأباطيل والأكاذيب ارضاء منه لذوى النفوذ وذوى السلطة فى عهده .

أجدنى أحمد الله أن يخرج كتابى فى هذه الفترة المهمة من حياتنا وكفاحنا ضد الصهيونية والامبريالية . وانى لا أضيف جديدا الى كفاح وجهاد المصريين ضد قوى البغى والعدوان ولكنى أعتقد أن هذه الفترة التى نحياها الآن فى حربنا ضد الاستعمار الصهيونى ؛ هى من أمجد وأخلد فترات حياتنا . لأننا فيها التقينا لقاء فعليا فى حرب ضد اليهود . حرب ندعو الله أن يكللها بالنصر المؤزر . لايماننا بحقنا وبكرامتنا وبطهر أرضنا . تلك الأرض التى طالما جاهد من أجل حريتها الكثير والكثير من عظماء وأبناء هذه الأمة الخالدة خلود ذكرى أبطالها .

تم بحمد الله

كتـــاب الاذاعة والتلفزيون :صدر منها

● لغتنا الجميلة	فاروق شوشـــة
● ممنوع من التداول أربع طبعات	محمود عوض
● قصة الضمير المصرى الحديث	صلاح عبد الصبور
● عصر التلفزيون	عبد المنعم حسن
● مذكرات محمد كريم (جزءان)	محمود على
● اسلاميات	سامح كريم
● ليالى مسرحية	عبد القادر حميده
● لقاء بين جيلين	محمد عبد الحليم عبد الله
● أهل المغنى	مجدى نجيب
● أفكار اسرائيلية	محمود عوض
● الأحاديث البهية فى شرح الحياة الفنية	فؤاد معوض (فرفور)
● العطش	حسن محسب
● نافذة على الحياة	عبد الرحمن سليمان
● ترويض المراهق	فريد حسن
● خفايا النكسة	عاطف الغمرى
● البنات والبحر	عبد المنعم صبحى
● معركة العبور	صلاح قبضاية
الكتاب القادم (طه حسين)	اعداد سامح كريم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٥١٠٦/١٩٧٣

● **المراسلات :**

التحرير : ١١١٧ كورنيش النيل ـ ماسبيرو
تليفون ٧١٠٠٥٥/٧١٠٠٥٦/٧١٠٠٥٨

الادارة : ٢٦ شارع منصور – باب اللوق
تليفون ٣٣٩٧٦ ، ٣٣٩٧٧
(صندوق بريد ١٣٢٨)

الاعلانات : يتفق عليها مع ادارة المجلة تليفون ٣٣٩٧٨

هـــــذاالـــكـتـــاب

« لقد افتروا على عـــرابى وظلموه حيـا وميتـا ... لقد صادروا أملاكه وهذا لا يهم فى كثير أو قليـل ولكنهـم أرادوا مصادرة مجده وطمس تاريخه.

ولكن التاريخ نفسه أكبر من كل هؤلاء فانه لن يظلم عـرابى وهذا الكتاب الذى نقـدمه محاولة لنفى الأكاذيب وتبـديد الأباطيل التى لحقت بتاريخ ابن من أبناء مصر الأبطال ولاينقص من قيمة هذا الكتاب أن مؤلفـه من أحفاد أحمد عرابى ».

من مقدمة
محمد السيد أيوب
محافظ الشرقية



الثمن ١٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب